الشخصية الإنسانية

بين الحقيقة وعلم النفس



دكتور

طارق إبراهيم الدسوقى عطية

دار الجامعة الجديدة

٣٨ ش سوتير - الأزريطة - ت : ٤٨٦٨٠٩٩

الشخصية الإنسانية

[بين الحقيقة وعلم النفس]

دكتور

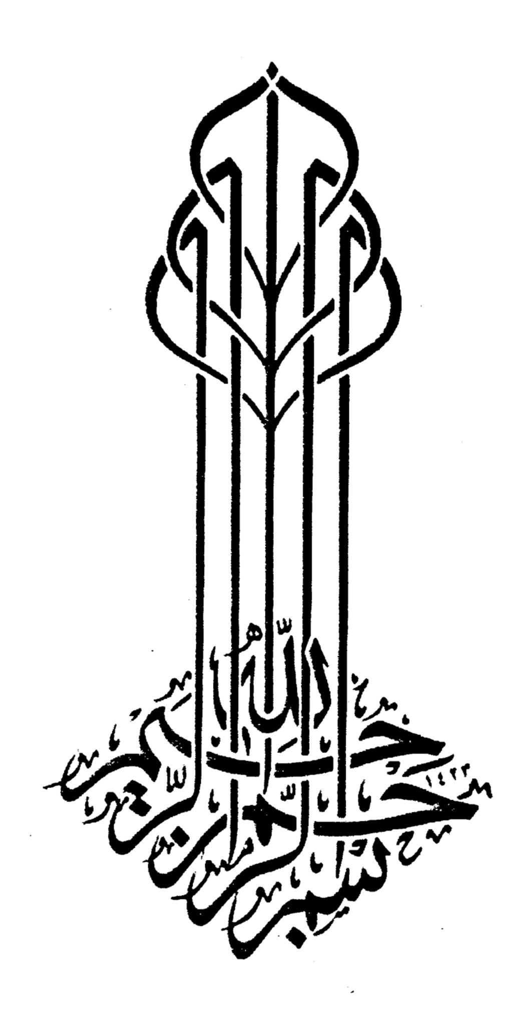
طارق إبراهيم الدسوقي عطية

٢٠٠٧

دار الجامعة الجديدة

٣٨ ش سوتير . الأزاريطة . الإسكندرية ت : ٤٨٦٨٠٩٩

E-mail : darelgamaaelgadida@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الرُوحِ قُلِ الرُوحُ مِن أَمرِ رَبِي
وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العلمِ إِلاَ قَلِيلا ﴾

سورة الإسراء
الآية: ٨٥.



إهـــداء

- إلى روح والدي الطاهرة الأستاذ/ إبراهيم الدسوقي، لقد اشتاقت نفسي إليك.

- والدتي الحبيبة والجنة تحت قدميها.

- منال الحياة ومنة القلب ولؤلؤة الروح وقُرة العين مُحمد.

تقديـــم :

تتكامل العلوم الاجتماعية ويتعاظم دورها في ارساء بنيان المجتمع ، من أجل ابراز الكثير من المعاني الانسانية، وتعميق المفاهيم والدلالات في الدراسات والتعاريف المختلفة، وعلى رأس الموضوعات الهامة يبرز موضوع الشخصية الانسانية، حيث كان - ومازال - هذا الموضوع محل دراسة وبحث من الفلاسفة والعلماء والباحثين على مر العصور والأزمنة، حيث أن الانسان يعيش حياة مليئة بالمواقف زاخرة بما فيها من صراعات، هي حياة متغيرة ومتنوعة ، تحمل بين جنباتها الكثير من المفاهيم والمعاني والعبر، تدور بداخله وفي جانب آخر بينه وبين غيره . فهل يفهم الانسان ويعي ويعتبـــر ، ويدرك ماهو مقبل عليـه ؟

ونجد أنه من الأهمية أن يتوقف المـــرء أمام ذاته، يحلل ويستنبط مامر به من مواقف ،وما كان عليه من تصرفات، ومع من دارت الصراعات (ذاته أو غيره) ، كل ذلك من أجل أن يتعلـــم ويستفيد ويعتبر . وهو بذلك يعد العدة لجولات وجولات في حياته ، تستمر به الأحداث وتتقلب عليـــه الأمور ، فمن تعلم وادرك يستطيع أن يحقق النجاح في حياته.

ان الانسان مدفوعاً برغبته في البقاء والعيش ، ينظر الى الحياة نظرات مختلفة ، تسيطر عليه مجموعة رغبات تتغير من انسان الى آخر، والانسان المعتدل هو الذي يتمتع بتوازن

لكى ولكي فى إشباع رغباته الحياتية، وإن هناك ما بداخله من مكونات نفسية، تلك التى تتنوع بين رغبة فى البقاء وأخرى فى حب الاقتناء، وثالثة فى حب النجاح ورابعة فى إشباع العاطفة .... إلى غير ذلك.

وأحسب أن دراسة الشخصية الإنسانية رغم تعدد الجوانب التى تتناولها، تتوقف عند جانب هام لا يملك الباحث فيه سوى التأمل والتسليم بخلق الله - سبحانه أحسن خلق - هذا الجانب هو الروح، حيث أنها من أمر الله فيتوقف العلم والفكر.

وقد تناول الباحث فى كتابه الشخصية الإنسانية من خلال رؤية فلسفية تبحث عن حقيقة الإنسان، عبر تطور تاريخى من الفلسفة الغربية وما اشتملت من آراء لفلاسفة المسلمين، ثم الفلسفة الحديثة وما تلاها من فلسفة معاصرة، ثم أدلى بدلوه فى ما ذهب إليه باحثى علم النفس من نظريات توضح الكثير من جوانب الشخصية الإنسانية، ولا شك أن هذا قد أثرى الدراسة بما شملته من آراء ونظريات، ثم اختتمت الدراسة بعرض لمظاهر السواء للشخصية الإنسانية فى الجانب النفسى وفى الجانب الأخلاقى، وهذا ما يدفع المرء إلى الاعتدال والتعاطف والتواصل مع الغير لصالح المجتمع، وما أعظم أن نصل إلى الشخصية الإنسانية السوية.

أ. د. محمد نبيل سعد سالم
عميد المعهد العالى للخدمة الاجتماعية
٢٠ يناير ٢٠٠٧ (بدمنهور)

• مقدمة:

اهتمت العلوم الإنسانية بفروعها المختلفة بدراسة الشخصية اهتماما بالغا، ذلك لأن دراسة الشخصية من الدراسات التي نالت حظاً عظيماً من البحث على مر العصور. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الدراسات لا تزال في بداية الطريق، لأن هناك عوامل كثيرة ومتعددة تتدخل فتعطل فهم الإنسان لذاته، فالإنسان الذي أعتبر نفسه محوراً لهذا الكون، وأن كل شيء مخلوق من أجله، مثل هذا الإنسان قد يجد صعوبة في النظر إلى الأمور التي تتصل به وبشخصيته بعين مجردة، أو أن يقف منها موقفاً علمياً موضوعياً خالياً من كل تمييز ومن كل رغبة شخصية، والمتأمل في الدراسات التي تناولت الشخصية يجدها تتأرجح بين الموضوعية والذاتية.

ومن الأهمية لدراسة الشخصية الإنسانية بفهم وعمق، أن نقف عند حقيقة هامة هي حقيقة الإنسان، ذلك لأن البحث يتناول الجوانب الإنسانية في النفس البشرية، ويقف البحث طويلا أمام الإنسان لما في شخصيته من أبعاد وركائز.

والإنسان في اللغة العربية من (الإنسُ) البشر، والواحد (إنسي) بالكسر وسكون النون، و (أَنسِي) بفتحتين والجمع (أَناسِي)[1]، يقول تعالى: (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً)[2]. وقال ابن عباس رضي الله عنه إنما سمي إنساناً لأنه عُهِدَ إليه فنسى يقول تعال: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)[3].

والإنسانية إنما تعني جملة الصفات التي تميز المرء، وتشير الطبيعة البشرية بالمعنى العام إلى (طبيعة الإنسان)، مع الاهتمام بصفة خاصة بتكوين شخصيته، أو تكوين مجموعة المقومات التي يكتسبها خلال مراحل حياته، كما تشير الطبيعة البشرية إلى التعاطف الذي يربط الإنسان بغيره، وإلى مشاعر الحب والكراهية والروابط الاجتماعية المختلفة.

١- مختار الصحاح – باب الهمزة: ص ١١.

٢- سورة الفرقان– آية: ٤٩.

٣- سورة طه– آية: ١١٥.

وبينما تناول الفلاسفة عرض وشرح وتفسير حقيقة الإنسان، بداية من فلاسفة العصور القديمة ثم فلاسفة العصر الإسلامي، نهاية بفلاسفة العصر الحديث وما تلاه من الفلاسفة-المعاصرين، نجد أن العلماء قد تباينت أرائهم بشأن دراسة مفهوم الشخصية، والوقوف على الركائز الأساسية التي يمكن أن تنسج بناء الشخصية. وإن ظهرت اجتهادات تفسيرية لتحليل الشخصية من خلال عمليات الإدراك والتعلم، والذات والأنا الأعلى، والسمات والأفكار، والاتجاهات والاستعدادات ....

لكن الحقيقة المؤكدة أن الشخصية الإنسانية يصعب إخضاعها لتقيم ثابت، أو دراستها من خلال نماذج جامدة، حيث أن محور الشخصية هى النفس البشرية، والنفس ليست جامدة أو محددة إنما هى من خلق الله – عز وجل- عالم له أبعاد عميقة، غير مقيدة ولا معينة ولا محددة.

- **الإجراءات المنهجية:**

اعتمدت دراسة الشخصية الإنسانية على بعض مناهج البحث، حيث يعتبر أسلوب البحث العلمي من المسلمات في أي مجال من مجالات المعرفة الإنسانية. والمنهج(*) في الاصطلاح هو: " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة "(1). أو هو: " خطوات منظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها، إلى أن يصل إلى نتيجة معينة "(2). لذا بات الإلمام بمنهجية هذا الأسلوب من الأمور الضرورية، التي يتعين مراعاتها والتقييد بها.

(*) المنهج في اللغة هو: الطريق الواضح في أمر ما من علم أو عمل. وجاء في مختار الصحاح مادة نهج أن المنهاج الطريق الواضح. (مختار الصحاح- للشيخ/ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي- بيروت- مكتبة لبنان- سنة ١٩٨٦- ص٢٨٤).

١- دكتور/ عبد الرحمن بدوى- مناهج البحث العلمي – دولة الكويت – وكالة المطبوعات – ط ٣ – سنة ١٩٧٧ – ص ٥.

٢- دكتور/ عبد اللطيف محمد العبد- دراسات في الفلسفة الإسلامية- القاهرة- مكتبة النهضة المصرية- سنة ١٩٧٩- ص١٩٠.

ومع ظهور اتجاه معاصر في الفكر الإنساني ينادي بتكامل العلوم وتكامل المناهج المستخدمة فيها[1]، لم تعد العلوم مستقلة بعضها عن بعض، بل أصبحت نتائج احدها متممة ومكملة لنتائج بحوث علم آخر، كما وأن بعض العلوم تستعين بالمناهج المتبعة لدي علوم أخرى.

وإذا كان الملاحظ في الدراسات الحديثة وجود العديد من المناهج وطرق البحث المستخدمة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، فإن طبيعة الدراسة تجعل الباحث يغوص في أعماق مجموعة متنوعة من العلوم الاجتماعية والإنسانية، مما أدي إلى تنوع مناهج الدراسة.

وقد استخدام المنهج التاريخي إذ يخطيء من يظن أن التاريخ هو مجرد سرد لوقائع وأحداث توالت في أزمنة معينة. فالتاريخ علم يقوم على أصول دقيقة لا تقبل مثل هذه الوقائع والأحداث، إلا بعد تمحيص وتفنيد ودراسة واقية مبنية على أسس موضوعية علمية، لا على أسس خاصة تسييرها الأهواء وتدفعها المصالح الخاصة.

كما تم الاستعانة بالمنهج الفلسفي واستخدام المنهج التحليلي، وهو منهج عام يراد بها تقسيم الكل إلي أجزائه ورد الشيء إلي عناصره المكونة له، وتم الاستعانة بالمنهج التكاملي، الذي يهتم بدراسة المفردات الاجتماعية من خلال

١- تتداخل المناهج في كثير من الأحيان عند إجراء البحوث، إلا أنها تتمايز لتظهر ما فيها من أوجه الاختلاف في تطبيقها. للمزيد يراجع: (دكتور/ يوسف مصطفي القاضي – مناهج البحوث وكتابتها – دار المريخ الرياضي – المملكة العربية السعودية – سنة ١٩٧٩ م – ص ١٠٣).

ومع هذا فيجب ألا نغالي في توكيد هذا الاختلاف في مناهج العلوم تبعا لاختلافها. فإن وراء هذه المناهج كلها وحدة العقل الإنساني. للمزيد يراجع: (الدكتور/ هلالي عبد اللاه أحمد – ضمانات المتهم في مواجهة القبض بين الشرعية الإسلامية والقانون الوضعي – القاهرة – دار النهضة العربية – سنة ٢٠٠٠ – ص ١٠). ولذا نجد كلود برنارد (*CLAU-BERNARED*) الذي أكد التمييز في مناهج العلوم المختلفة ، وقد حاول هو نفسه أن يرد المناهج إلي منهج واحد، بمعني أنه ليس من الممكن أن نفصل المناهج بعضها عن بعض في تكوين العلم الواحد. للمزيد يراجع: (الدكتور/ عبد الرحمن بدوى – مرجع سابق – ص ١٣٩).

ردها إلي الصورة الكلية التي تشملها، وبذلك تتكامل المعرفة بالمفرد محل الدراسة في ضوء المفردات الأخري المتصلة به، على أساس أن العناصر المفردة إنما تستمد معناها من الصورة الكلية، بل إن وظائف هذه العناصر ودلالاتها إنما تستمد من وضعها في وظائف الصورة الكلية بعناصرها المتفاعلة.

- محتوي الدراسة:

في محاولة الدراسة الجادة للوصول إلى القدر اليسير من الفهم الرشيد لطبيعة الشخصية الإنسانية بين حقيقتها وما ذهب إليه علم النفس، يتم عرض موضوع الدراسة (الشخصية الإنسانية)، في بابين رئيسيين:

ـ الباب الأول: المفاهيم الأساسية للشخصية. وينقسم إلى:

الفصل الأول: التعريف بالشخصية وسماتها المختلفة.

من حيث تعريف الشخصية في الحياة اليومية، وعند علماء الاجتماع وعلماء علم النفس. ثم بيان العناصر الأولية للشخصية، لما في ذلك من أهمية للوقوف على كنة الشخصية وحيث يمثل مفهوم الشخصية حجر الزاوية للبحث. ثم بيان بعض المصطلحات التي تتداخل مع مصطلح الشخصية. ثم عرض العوامل المؤثرة في بناء الشخصية الإنسانية.

الفصل الثاني: الشخصية الإنسانية عبر الفلسفات المختلفة.

(بين الحقيقة والفلسفة)

ويتناول حقيقة الإنسان بين الفلسفة العامة والفلسفة الإسلامية من خلال أفكار الفلاسفة في هذا الشأن والتي تتفرع إلى ثلاثة اتجاهات، اتجاه يمثله سقراط وأفلاطون، واتجاه يمثله أرسطو ومن تبعه من علماء النفس، ثم الاتجاه الثالث الذي يحاول التوفيق بين الاتجاهين السابقين ويمثله الفلاسفة المسلمون. ثم وضع حقيقة الإنسان في الفلسفة الحديثة والفلسفة المعاصرة. ويلي ذلك عرضا للنظرة الشمولية للشخصية الإنسانية من خلال رؤية متعمقة للشخصية، ثم توضيح السلوك الإنساني من حيث المقصود به وطبيعته ،، ظ بفته.

ـ الباب الثاني: النظريات المختلفة للشخصية.

الفصل الأول: النظريات المبكرة في مجال دراسة الشخصية الإنسانية.

حيث يتم عرض النظريات التحليلية الكلاسيكية، ثـم نظريـات التحليليـون الجدد، ثم النظريات الأكاديمية الأمريكية المبكرة، ثم نظرية الأنماط.

الفصل الثاني: النظريات الحديثة في مجال دراسة الشخصية الإنسانية.

حيث يتم عرض نظرية علم النفس المعرفي، ثـم نظريـات علـم الـنفس الإنساني (تحقيق الذات)، ثم نظرية الذات نظرية علم النفس الوجودي، ونظرية عوامل الشخصية، ويتبع ذلك نظريات المدرسة السلوكية.

الفصل الثالث: النظرة الإسلامية للشخصية الإنسانية.

حيث يتم دراسة النظرة الإسلامية للشخصية، ثم بيـان سـمات الشخصـية السوية من الجانب النفسي والجانب الأخلاقي.

الباب الأول

المفاهيم الأساسية للشخصية

الفصل الأول
التعريف بالشخصيـة وسماتها المختلفة

الشخصية (*Personality*) موضوع آثار اهتمام الكثيرين من كافة طبقات المجتمع من شعراء وكتاب وفنانين ورجال ديـن وسياسـة وقـانون وتجـارة، وعلماء في مختلف المجالات.... بالإضافة إلي عامة الجمهور المثقـف، وكـل إنسان يرغب في فهم نفسه بالصورة السليمة الصحيحة، حتى يعيش فـي سـلام وهدوء في مجتمعه، بما يشمل ذلك من علاقات مختلفة هو طـرف فيهـا مـع الآخرين من أبناء المجتمع. والاهتمام بموضوع الشخصية ليس حديثا ولا هـو نتيجة للتطور المتسارع الذي يشهده عالم اليوم، وإنما هو اهتمام له تاريخ، رغم أن هذا الاهتمام قد احتاج لسنوات طوال حتى يدخل في دائرة الدراسة العملية[١].

ودراسة الشخصية بمنظور علمي تخصصي، موضوع يتقاسمه ويشـترك في دراسته عدة علوم، أهمها علم النفس وعلم الاجتماع والطب النفسي[٢]:

ـ **فعلم النفس**: يدرس الشخصية من ناحية تركيبها أو أبعادهـا الأساسـية، ونموها وتطورها ومحدداتها الوراثية والبيئية وطرق قياسها، وكل ذلك على أساس نظريات متعددة، والهدف هو التنبؤ بما سيكون عليه سلوك الفرد فـي موقف معين، حتى يمكن ضبطه والتحكم فيه.

ـ **وعلم الاجتماع**: يهتم بدراسة الشخصية الإنسانية من حيث نتاج لحضارة أو ثقافة معينة تشتمل على أنظمة اجتماعية وتنظيمية، كـالزواج والأسـرة والدين والنظام السياسي والقانوني وغيرها، وعلم الاجتماع يهتم في دراسته للشخصية بالمحـددات البيئية والاجتماعية لها، مـع عـدم إنكار العوامـل الوراثية بطبيعة الحال.

ـ **والطب النفسي**: على الرغم من أنه يهتم [بالدرجة الأولي] بأنواع محددة

١- دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح- الصحة النفسية- دار أتون للطباعة- سنة ٢٠٠٢- ص ٥٧.

٢- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – الأبعاد الأساسية للشخصية – القاهرة – دار المعارف – سنة ١٩٧٩ – ص ٤.

من الاضطربات والأمراض من حيث تشخيصها وعلاجها، إلا أنـــه توجــد روابط ظاهرة ومتينة ومتزايدة يوماً بعد يوم بين علم النفس والطب النفسي، وبخاصة على تلك الأرض المشتركة بينهما وهى بحوث الشخصية.

أولا- ماهية الشخصية:

يعد مفهوم الشخصية من أكثر مفاهيم علم النفس تعقيداً وتركيباً، فهو يشمل كافة الصفات الجسمية والعقلية والوجدانية في تفاعلها بعضها الــبعض، وفـــى تكاملها في شخص معين يتفاعل مع بيئة اجتماعية معينة. ولهذا تعــددت الآراء، وتباينت المحاولات التي تعالج مفهوم الشخصية وطبيعتها وخصائصها واختلفت تعاريفها اختلافاً كبيراً، فمنها ما يتناول الشخصية كما يراها الغير، فتصف الأثر الذي تتركه مجموعة الصفات الجسمية والعقليـــة، والوجدانيـــة للشـــخص فـــي الآخرين[1]. ومن التعاريف ما يتناول الشخصية كما يحسها ويتصـــورها الفـــرد نفسه، وتدور حول شعور الشخص بذاتيته ووحدته.

وقبل التعرض لدراسة الشخصية يكون من الأفضـــل أن نحـــاول تحديـــد المعنى العلمي لهـــذه الكلمة، خاصة وأن استعمالها فـــي الأحاديث العادية مـــن المرونة بحيث يحتمل أكثر من معنى واحد. هذا وللشخصية عند العامة مفهـــوم يختلف عن مفهومها عند العلماء، فقد تعود الناس خطأ أن يقولوا عن {س} مـــن الناس أنه ليست له شخصية، وعن {ص} من الناس أن له شخصية. ومعني هذا في نظرهم أن الشخصية شئ موجود عند الأفراد ومفقود عند البعض الآخـــر. والحقيقة العلمية أن لكل إنسان (يعيش في المجتمع) شخصيته الخاصة به، غيـــر أن العلماء يختلفون في نوع هذه الشخصية وليس في وجودها أو عدمها.

* في اللغة: كلمة شخصية من شخص. والشخص سواء الإنسان أو غيـــره تراه من بعد، وجمعه في القلة " أشخص" وفى الكثرة " شخوص" و " أشخاص"، و(شخص) بفتحتين يشخص شخوصاً، خرج من موضع إلي غيره[2].

١- دكتور/عبد الرحمن محمد عيسوى- علم النفس في الحيـــاة المعاصـــرة - الإســـكندرية - دار المعارف- سنة ١٩٧٨ - ص ٢٣.

٢- مختار الصحاح - ط ١٩٨٦ لبنان- باب الشين - مادة شخص - ص ١٤٠.

و(شخص) من بلد إلى بلد أي ذهب وبابه خضع ، وشَخَصَ البصر أي فتح الرجل عينيه لا يطرف، وكلمة (شَخَص) الرجل تعنى نظر إلي، أو حضر أمام. وشَخَصَ بمعنى عاين، عندما نقول الطبيب شَخَصَ المرض، كما نقول شَخَصَ الدور بمعنى مثله، ومشخص يعنى مجسم[1].

* والأصل في كلمة شخصية (*Personality*) أنها مشتقة من لفظ لاتيني (*Persona*) ومعناه القناع[2]، أو الوجه المستعار الذي يظهر به الشخص أمام الغير. وكان استعمال هذا اللفظ مرتبطاً بالتمثيل المسرحي حيث يبدو الشخص للغير عن طريق ما يأتيه من حديث وحركات ظاهرة.

والغرض من استعمال هذا القناع هو تشخيص خُلق الشخص الذي يقوم بدور من أدوار المسرحية. فهو بمثابة عنوان عن طباع الشخص ومزاجه الخلقي، ويشمل هذا المعنى الممثل والدور الذي يقوم به أو الصفة الطبيعية (الممثل). وربما كان ذلك على أساس أن { الدنيا مسرح كبير}، وأن الناس جميعا ليسوا إلا ممثلين على مسرح الحياة[3].

ويتضمن لفظ الشخصية معان متعددة فهو مفهوم معقد متغير، يصعب على الباحثين فيه أن يتواصلوا إلى إطار ثابت ينظم جميع مقوماته، وأن يتفقوا على تعريف ثابت له. ولهذا أختلفت وجهات نظر العلماء الذين يتناولون بالبحث موضوع الشخصية وتنوعت تفسيراتهم، وتباينت طرق دراستهم لها.

١- المصباح المنير - كتاب الشين - مادة الشخص - ص ٣٠٦.

٢- يذكر (ثاولس) *Thouless* بصدد شرح كلمة *Persona* واستعمالها، أنه كان لبسمارك *Persona* أي (قناع شخصية) يجعله يبدو للغير في الحياة الخارجية رجلا حديدياً، بينما كانت زوجته هي التي كانت ترى وتعرف كثيراً عن حقيقة شخصيته، المختبئة عن الناس وراء القناع (*Persona*)، وتصفه بأنه بطه عليلة مسكينة.

- *Thouless, General, 9 Social Psychology,PP.112-114(A poor sick duck).*

3- Shakespeare, w. As you like II –Act II,scene 7 .

* والشخصية ينظر إليها من حيث ما يعطيه قناع الممثل من انطباعات، أو من ناحية كونها غطاء يختفي وراءه الشخص الحقيقي، ويتفق هذا القول مع التعريفات التي تنظر إلى الشخصية من ناحية =

وقد أحصى العالم ألبورت (*ALLPORT*) أكثر من خمسين تعريفاً للشخصية في اللغات الأجنبية(١)، بعضها لاهوتي أو فلسفي أو اجتماعي وآخر سيكولوجي. ولعل التعاريف التي وصفت بها الشخصية أكثر من هذا العدد بكثير(٢).

[ا] الدراسات المختلفة في تعريف الشخصية:

تناولت الدراسات المختلفة تعريف الشخصية حسب الاهتمام ومجال الاختصاص، وسوف نبدأ بعرض مفهوم الشخصية عند العامة كما يُستخدم في الحياة اليومية، ثم نعرض وجهة نظر بعض من علماء الاجتماع في تعريف الشخصية، ثم نوضح تعريف الشخصية كما عالجها وتعرض لها علماء النفس.

❖ **مفهوم الشخصية في الحياة اليومية:**

ذكرنا أن تعريف الشخصية قام في البداية على فكرة التمثيل، وما يبدو على الفرد من الصفات الظاهرة، بصرف النظر عما يخفيه في نفسه من صفات داخلية. ويرتبط بهذه الفكرة تعريف الشخصية من حيث القدرة على التأثير في الغير، أو الأثر الذي يتركه الشخص فيمن حوله، وما يتعلق بذلك مما يكون لدي

= الأثر الخارجي الذي يحدثه في الآخرين....... راجع: (دكتور/ سيد محمد غنيم – سيكولوجية الشخصية [محدداتها. قياسها. نظرياتها] – القاهرة – دار النهضة العربية – سنة ١٩٧٥– ص٤٢).

1-ALLPOR,G.W. personality :a psychological interpretation, NEW YORK :Henry Holt , 1937.p-p ,25-7

٢- يذكر ألبورت أن كلمة "*personality*" في الإنجليزية، ومصطلح "*personnalite*" بالفرنسية، ولفظ "*personaliclkeit*" بالألمانية، يشبه كل منها إلى حد كبير كلمة "*personalitas*" في اللغة اللاتينية التي كانت متداولة في العصور الوسطي، بينما كانت الكلمة اللاتينية "*persona*" وحدها هي المستخدمة في اللغة اللاتينية القديمة. وقد استخدمت "البيرسونا" في الأصل لتشير إلى القناع المسرحي الذي استخدم لأول مرة في المسرحيات الإغريقية، وتقبله الممثلون الرومان قبل ميلاد المسيح بحوالي مائة عام. راجع: (دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق– ص ١٠).

• ويذكر جلفورد أن الممثل اليوناني كان يضع عادة على وجهه قناعا يدعى (بيرسونا) لأنه كان يتحدث من خلاله.

-Gilford , J.P. personality , New York : MC Graw –Hill , 1959 ,p.2.

ويكون هذا القناع ليخلع على نفسه ثوب الدور الذي يمثله، أو يظهر أمام الأعين بمظهر معين ومعنى خاص. (دكتور/ محمد عماد الدين إسماعيل– الشخصية والعلاج النفسي– القاهرة– مكتبة النهضة المصرية– سنة ١٩٥٩– ص ٦).

الفرد من هيبة ووقار وكبرياء، أو تواضع وخضوع واستسلام، وهــذا ما يعنيه العامة حين يستخدمون كلمة شخصية في الحياة اليومية فيقولون أحيانا أن فلانــاً ذو شخصية قوية، وأن آخر ذو شخصية ضعيفة، ويقصــد بــذلك أن الأول ذو تأثير على غيره وأنه مستقر في رأيه له أهداف واضحة في الحياة وأن الشخص الثاني ضعيف الإرادة ليس فيه ما يميزه عن غيره فهو يتأثر بغيــره بســهولة، ويعجز عن التأثير في الغير، إلى غير ذلك من الصفات. هذا هو التعريف العام للشخصية في حياتنا اليومية[1].

❖ **تعريف الشخصية عند علماء الاجتماع:**

يهتم علماء الاجتماع بموضوع الشخصية باعتبارها احد الأسس الجوهريــة التي تقيم الحقيقة الاجتماعية. فالمجتمع يقوم كنسق من العلاقات المتبادلــة بــين الأفراد، ولهذا لا يمكن أن نعزل الفرد عن مجتمعه وثقافته، لأنه لا يصبح إنسانا إلا من خلال تفاعله مع الآخرين في الجماعة، وهذا التفاعل في حد ذاته يخضع لقيود الثقافة وضغوطها وتنميطها.

* **وفيما يلي بعض تعريفات علماء الاجتماع للشخصية:**

– **يرى بيسانز (*Biesanz*)** أن لكل شخص شخصيته كما للآخرين، طالما أنه قد مر خلال عملية التنشئة الاجتماعية، بصرف النظر عن اتجاهاتها أو الأسس التي قامت عليها. لهــذا فهو يعرف الشخصية بأنها: (تنظــيم يقــوم على أساس من عادات الشخص وسماته.وهي تنبثق – الشخصية – من خلال العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية)[2].ويعني (بيسانز) بالتنظيم تكامل العادات والاتجاهات والسمات.

ويقصد بالعادات الطرق الدائمة نسبياً التي يسير عليها الفرد في سلوكه،

١-ويضاف إلى ذلك التعريفات التي ركزت على المظهر الاجتماعي للشخصية، أو تعريف الشخصية في سياق المواقف الاجتماعية التي تتضمن أشخاص آخرين، أو تفاعل الشخص مع المجتمع وقدرته على الإقناع والجذب، وغير ذلك من جوانب المهارة الاجتماعية في شخصية الفرد، دون التعمق في المعنى الحقيقي للشخصية. (دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ٧).

2-Biesanz ,J.Biesanz,M; Modern society, p.178 N.Y.19541-

والاتجاهات هي الميول التي تظهر في الأفعال الموجهة نحو قيم معينة، كالأشخاص أو الأشياء أو النظم الاجتماعية، أما **السمات** فهى الصورة العامة للاستجابة[1].

ـ أما جرين (*A.Green*) فالشخصية عنده ليست مجرد القيم والسمات بل أن تعريفها يجب أن يتضمن صفة هامة بها، وهي التنظيم الديناميكي، الذي بدونه قد تصبح الشخصية عاملاً معوقاً في النمو والانتماء إلى جماعات متعددة في المجتمع. أي أن (جرين) يؤكد أن الإنسان يصبح شخصا، نتيجة للمؤثرات الاجتماعية التي تؤثر في كيانه التشريحي والفسيولوجي والعصبي ولابد له كي يصير شخصا أن يكتسب اللغة[2].

وعلى ذلك فالشخصية لا تقتصر على ما يميز الشخص، بل تشتمل أيضا على ما هو مشترك بين الشخص والآخرين.

ـ أما عند أوجبرن (*ogburn*) ونيمكوف (*nimkoff*) فالشخصية تعنى التكامل النفسي الاجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني، الذي تعبر عنه عادات الفعل والشعور والاتجاهات والآراء. وقد يتعارض السلوك الاجتماعي مع السلوك الفسيولوجي إن جاز هذا التعبير، على الرغم من الصلة المتبادلة بينهما. ولذلك فإن الجانب الاجتماعي الهام للشخصية يكمن في أنها تنمو في المواقف الاجتماعية، وتعبر عن نفسها من خلال التفاعل مع الآخرين. لهذا يهتم علم الاجتماع بمعرفة تكوين الشخصية وبقائها وتغيرها، ومختلف العوامل المؤثرة فيها، وإن كان يصب جل اهتمامه على المؤثرات الاجتماعية[3].

١- دكتور/على عبد الرازق وآخرين- علم الاجتماع الثقافي- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- سنة ٢٠٠٠- ص ٣٥٥.

٢- يرى أرنولد جيرين أن الشخصية ليست مجرد القيم والسمات بل أن تعريفها يتضمن صفة هامة فيها وهى التنظيم الدنيامي، لأن الشخصية تتخذ في كثير من الأحيان طابع المرونة الذي بدونه قد تصبح الشخصية عاملا {معوقا} في النمو والانتماء إلي جماعات متعددة في المجتمع.

(دكتور/ على عبد الرازق الحلبي – المرجع السابق – ص ٣٥٤).

3-Ogburn w. Nimkoff,; a hand book of sociology, p 191.

ـ ويؤكد سوروكن (*sorokin*) أهمية موضوع الشخصية بالنسبة لعلم الاجتماع لأنه يرى أن الأفراد هم المكونات الأساسية في كل الأنساق الاجتماعية والثقافية. وما دام الأمر كذلك فأن شخصياتهم تؤثر ـ من غير شك ـ في إطار الأنماط الثقافية والاجتماعية. ولا ينكر (سوروكن) أهمية الوراثة البيولوجية في الشخصية، ولكنه يذهب إلى أن الجانب الاجتماعي الثقافي من الشخصية لا يتحدد عن طريق هذه الوراثة، لأنه يصب في قالب معين من خلال الوسط الاجتماعي الثقافي. فالفرد يمتص عالمه الثقافي الاجتماعي ويتمثله وينمو علي تربيته، والثقافة مرآة أعضائها وما يقيمون من تنظيمات اجتماعية، أما البناء الاجتماعي فإنه يعكس مكوناته من الأفراد وأنماطهم الثقافية.

ويرى (سوروكن) أن الدراسات المتعددة التي أجريت في ميادين علم نفس الطفل، والتحليل النفسي وعلم الجريمة، تؤكد أن الجانب الأكبر من الشخصية الإنسانية يرتكز على دعائم المجتمع والثقافة، فالنمو العقلي والذاكرة والتحليل والتعميم، يستحيل دون التفاعل الإنساني، كذلك لا يمكن أن تتراكم الخبرات والثقافة، أو تتميز معايير الصواب والخطأ دون تفاعل الأجيال، أو من غير توفر الخبرة الجمعية، ولم يكن للغة أن تنبثق من غير التفاعل الاجتماعي[١].

* **ويمكن القول بصفة عامة** أن اهتمام علماء الاجتماع بدراسة الشخصية كان محصوراً في العوامل الثقافية والاجتماعية التي تكون الشخصية، دون الاهتمام بعوامل الوراثة البيولوجية. فالفرد في نظرهم يكتسب شخصيته بانتمائه إلى جماعة، حيث يتعلم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية أنساق السلوك والمهارات المختلفة، والعادات ومعايير الجماعة.

❖ تعريف الشخصية عند علماء علم النفس:

تتعدد تعريفات علماء النفس للشخصية، فمنها ما يصف الاستعدادات الداخلية والعوامل الخارجية التي تتفاعل مع بعضها فتكون الشخصية، ومنها ما يؤكد

١- دكتور/ على عبد الرازق الحلبي – المرجع السابق – ص ٣٥٥.

الصحة النفسية فينظر إلي الشخصية من زاوية نمط التوافق الفردي المتميز، فيرى أن ما يحدد الشخصية هو تلك الأفعال التي نقوم بها لتساعدنا على المحافظة على توازننا وتكيفنا مع الظروف التي تحيط بنا، ومنها ما يرى أن تعريف الشخصية بالأثر الذي يتركه الفرد في الآخرين، علي أن ذلك لا يكفي لأنه لا يوضح لنا شيئا عن الصفات الداخلية الحقيقية في الشخص إذ أن الفرد يمكن أن يعتبر عدداً من الشخصيات، هي الشخص كما يراه غيره ـ والشخص كما يرى نفسه، والشخص على حقيقته[1].

ـ **فتعريف السلوكيين للشخصية:** يتناول أيضاً الصفات والمظاهر الخارجية للشخص، إذ يوضح أن الشخصية هي (مجموع العادات السلوكية للفرد، ومجموع أوجه النشاط التي يمكن الكشف عنها بالملاحظة الفعلية لمدة طويلة تكفي لأخذ فكرة يعتمد عليها عن الشخص). ولا شك أن هذا التعريف غير شامل، لأنه يهتم فقط بالشخص كما يراه غيره، ويهمل الناحيتين الأخريين.

ـ **أما تعريف مدرسة التحليل النفسي:** فعلى النقيض من التعريفات السابقة، إذ أنه ينظر للشخصية كقوة مركزية داخلية توجه الفرد في حركاته وسكناته ومثل هذا التعريف أيضاً غير شامل، لأنه يهتم بمظهر واحد من الشخصية، وهو الشخص كما يرى نفسه.

* ***وهناك تعريفات تنظر إلى الشخصية كمجموعة من الصفات منها:***

ـ **تعريف مورتون برنس (*MORTON PRINCE*):** أن الشخصية هي حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية

١- ويرجع اختلاف تعريفات الشخصية وتعددها كذلك إلي اختلاف محاور الارتكاز، والاتجاهات الفكرية للمهتمين بها، فيعرفها البعض في ضوء المثير، أي في ضوء قيمتها التأثيرية وانطباعات الغير عنها، وأنتهي هذا الرأي إلي أن أصبحت كلمة الشخصية مرادفة للسمعة، وذهب رأى آخر إلى تعريف الشخصية في ضوء استجابات الفرد للمواقف المختلفة، ثم تلا ذلك سلسلة من التعريفات ترى أن الشخصية هي المجموع الكلي لسمات الفرد، والتي تميزه عن غيره وقد ركز أصحاب هذه التعريفات على السمات العامة، في حين ركز آخرون على السمات الخاصة. (دكتورة/ انتصار يونس- السلوك الإنساني- الإسكندرية- دار المعارف- سنة ١٩٩٣- ص٢١٧).

الفطرية الموروثة، وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة[1].

وهذا تعريف غير دقيق، لأنه يحمل في طياته خطر التفكير في هذه الصفات كوحدات منعزلة عن بعض، والواقع خلاف ذلك لأن الشخصية وحدة لا تتجزأ، وهى أكثر من مجرد مجموع أو حاصل جمع صفات فهي كالمركب الكيماوي، يحتوى على صفات خاصة به، تختلف كل الاختلاف عن صفات العناصر المكونة له. ولهذا برزت تعريفات جديدة تؤكد أهميه تكامل الشخصية، ويطلق عليها التعريفات التكاملية والتي توصف بأنها التنظيم المتكامل لجميع الخصائص المعرفية والعاطفية، والنزوعية والجسمية للفرد والتي تميزه عن الآخرين.

❖ **تقسيم علماء النفس لتعريف الشخصية:**

ورغم تعدد تعريفات علماء النفس للشخصية[2]، فإنه من الممكن جمعها في مجموعات ثلاث:

* **تعريفات تعالج الشخصية كمثير:** تنظر إلى الشخصية على اعتبار أنها مثير، أو مؤثر اجتماعي في الآخرين وتتفق هذه التعريفات مع الاستخدام العادي لكلمة الشخصية عندما تصف شخصاً بأنه قوى الشخصية، أو أنه يتمتع بشخصية القائد، أو الزعيم أو أنه ضعيف الشخصية....... الخ.

١- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ١٢.

٢- *للمزيد بشأن تعريفات علماء النفس للشخصية يراجع:* دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق– قياس الشخصية – مطبوعات جامعة الكويت – سنة ١٩٩٦ – ص ٦٣ وما بعدها، دكتور/ العارف بالله محمد ودكتور/ محمد سمير عبد الفتاح – مداخل الشخصية ونظريات علم النفس– القاهرة – دار آتون للطباعة– ط ٢– سنة ١٩٩٨، دكتور/ صلاح مخيمر وعبده ميخائيل – سيكولوجية الشخصية (دراسة الشخصية وفهمها) – القاهرة – الأنجلو المصرية– سنة ١٩٦٨، دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى– دراسات سيكولوجية– الإسكندرية – منشأة المعارف– سنة ١٩٧٠، دكتور/ مصطفى سويف– علم النفس الحديث (معالمه ونماذج من دراساته)– القاهرة – الانجلو المصرية – سنة ١٩٦٧.

* *ومن المراجع المترجمة:* د/ كالفن س. هول ترجمة دكتور/ أحمد عبد العزيز سلامة، دكتور/ سيد أحمد عثمان– علم النفس عند فرويد – الانجلو المصرية – سنة ١٩٦٧، ك. هول و ج لندزى ترجمة دكتور/ فرج أحمد فرج وآخرين – نظريات الشخصية – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر– القاهرة سنة ١٩٧١.

وتعريف الشخصية كمثير ليس قاصراً على التعريفات الدارجة، بل نجده أيضا لدى بعض علماء النفس. من هذا القبيل ما أورده جوردون ألبورت (allport.G) تحت اسم (التعريفات الحيوية الاجتماعية) التي تركز على المظهر الخارجي للفرد، وقدرته على التأثير في الآخرين، أو ما يعرف باسم (قيمة المثير). ومن أمثلة هذا النوع من التعريفات قوله: (الشخصية هي مجموع ما يحدثه الفرد من تأثير في المجتمع) أوهى (تأثيرك في الآخرين)[١].وهذا النوع من التعريفات وثيق الصلة أيضا بالمعنى الأصلي للقناع أو الغطاء الخادع

ومن علماء النفس الذين أخذوا بهذا التعريف (ماي May) إذ يعرف الشخصية بأنها ـــ وفقا لمعناها الأصلي ـــ (ما يجعل الفرد فعالاً أو مؤثراً في الآخرين)[٢]. وبلغة علم النفس يمكن أن نعتبرها ما للفرد من تأثير اجتماعي. ومن الممكن أن نعتبر أن كل فرد مؤثراً فيمن يتصل به[٣].

كما أخذ بهذا المعني العالم فلمنج (*felming*) حيث يعتبر الشخصية [هي العادات والأعمال التي تؤثر في الآخرين][٤]، وهو بهذا التعريف يحذف ـــ كما يقول (ألبورت) ـــ عوامل الإحباط والقلق والطموح الخاصة التي لا تؤثر في الآخرين. ومن العلماء الذين يذهبون إلى هذا الرأي أيضا (لنك *link*) حيث

1- Allport, G. w. pattern and groth in personality, Londo: holt Rinehart and winston 1961, P.48.

• حيث أن الشخصية هي التنظيم الدينامي داخل الفرد، لتلك الأجهزة النفسية الجسمية التي تحدد طابعه الخاص في توافقه لبيئته. وقد أستبدل (allport , G) في نص أحدث عبارة (توافقه لبيئته) بعبارة (التي تحدد خصائص سلوكه وفكره).

-Allport, G. w: op. cit., p. 28.

• وأيضا يراجع: دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق– ص١٤.

2- May, M.a.,studies in the organization of character Mac Millan n.y.1930

٣- دكتور/ عطية محمود هنا – التوجية التربوي المهني– القاهرة – مكتبة النهضة المصرية– سنة ١٩٥٩ – ص ١٩٨.

4- Fleming ,v.v., persistence and change in personality patterns, national reseach council,1943, vol. 8, no. 3.

يقول أن " الشخصية هي مجموعة تأثيرات الفرد في المجتمع "[1]، وهـو بهـذا ينكر شخصية من لا أثر اجتماعي له { أمثال الرهبان المنعزلين }.

والتعريفات السابقة تثير صعوبات كثيرة ومشكلات عديدة منها:

- أنها تشير إلى أجزاء معينة فقط من نمط حيـاة الفـرد، وعلـى وجـه الخصوص إلي قدرته على التعبير، والتأثير في الآخرين.
- أنها تنظر إلي الشخصية من حيث قدرتها على التأثير فـي الآخـرين، وليس من حيث تنظيمها الداخلي، فنظرتها إذن نظرة سطحية خارجيـة، فمن المهم أن ننظر إلي الفرد كما هـو، بصرف النظر عن الأسـلوب الذي يدرك به الآخرين سماته، أو عن تقديرهم ذاتهم لهذه السمات[2].
- أن التطبيق الجامد لوجهة نظر الشخصية كمثير، تؤدى إلـي موقـف غريبة كل الغرابة، يكون فيه الفرد الواحد عـدداً غيـر محـدود مـن الشخصيات، شخصية بالنسبة لكل فرد من الأفراد الذين يتصل بهم، لأن كل واحد منهم سوف يتأثر بشخصيته تأثيرا مختلفـا، وسـوف تكـون لشخصيته قيمة تأثيرية مختلفة. فالشخص الواحد لا يُقيم بنفس النظـرة من قبل أمه ومدرسيه واخوته، وزوجته وموظفيه وزملائه ومنافسيه[3]. فهل معنى ذلك أنه لـه عـدة شخصيات مختلفة ؟ أن تعريف الشخصية على هذا النحو يكون مستحيلاً[4].
- إن الأثر الكلى الذي يحدثه الفرد في المجتمع، سيؤدى إلي تمييز خطير بين درجات أعلى أو أقل في الشخصية. فالافراد المختلفون لهم درجات مختلفة متفاوتة من حيث الفاعلية والتأثير في المجتمع الذي يعيشون فيه

١- دكتور / عطية محمود هنا – المرجع السابق – ص ١٩٨.

٢- دكتور /عطية محمود هنا – المرجع نفسه – ص ١٩٧، دكتور / سيد محمد غنـيم – المرجـع السابق – ص ٤٥.

3- Stagner , R. psychology of personality, new York :Mc graw hill, 3 rd .ed 196 ,and 4 th.ed .1974, p. 6

٤- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ١٨.

فإحدى نجوم السينما التي تكثر الصحف نشر صورها، يكون تأثيرها على هذا الأساس أكبر من تأثير العالم، الذي يكرس كل حياته ووقته لإجراء التجارب في معمله، والقيام بالبحوث بعيداً عن الأضواء، لذلك نجد أن وجهة النظر الحيوية الفيزيقية تعارض فكرة التأثير هذه، وتجعل لكل إنسان شخصية بصرف النظر عما يحدثه من أثر في الآخرين. فالتأثير ليس بحال من الأحوال معياراً لوجود الشخصية[1].

- من المحال إنكار أن لكل فرد صفات وخصائص متميزة، وشخصيته المستقلة عن ملاحظات الناس له، صحيح أن الإنسان لا يعيش بمعزل (في العادة) عن الآخرين بل يعيش في مجتمع. ولكن ليس من الضروري أن يقوم الناس بملاحظة الفرد حتى تصبح له شخصيته، فالشخصية شيء نُسلم بوجوده حقيقة داخل الفرد، بصرف النظر عن تأثير الآخرين، أن حياة شخص ما في جزيرة نائية، بعيداً عن الناس تحت ظروف خاصة، لا تنفي عنه وجود الشخصية.

* تعريفات الشخصية كاستجابة:

تحاول هذه التعريفات تلافى الصعوبات التي واجهت علماء النفس في تعريف الشخصية كمثير، لذا ظهر ــ كرد فعل ــ أتجاه آخر ينظر إلى الشخصية كاستجابة فنجد فلويد البورت (*F.Allport*) مثلاً في كتابه {علم النفس الاجتماعي} يعرف الشخصية بقوله[2]: " أنها استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية، وأسلوب توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة ".

فشخصية الفرد إذن هي دالة (وظيفة)، لسلوكه واستجاباته للمواقف المختلفة.

والحقيقة إن هذا النوع من التعريفات يعد أكثر موضوعية، وأكثر تقدما من المجموعة الأولى، ذلك أنه من الممكن أن نطبق عليها أساليب البحث العلمي، ذلك أن الشخصية أصبحت ترتبط هنا بمظاهر موضوعية سلوكية يمكن دراستها

١- دكتور/ سيد محمد غنيم – المرجع السابق – ص ٥٠.

٢- المرجع نفسه – ص ٤٤.

وقياسها، بمختلف وسائل القياس التي يستخدمها علم النفس. فإذا ما اتفقنا على الأنماط السلوكية التي تكون الشخصية، أمكننا البدء في دراستها وتصنيفها وتحليلها، وبعد ذلك نأخذ في تحديد شخصيات الأفراد[1]. وقد أدى هذا إلى أن الكثير من علماء النفس، قد أخذوا بهذا التعريف وجعلوه أساساً للكثير من الدراسات. ومنها الخاصة بتعبيرات الوجه أو الانفعالات أو الاستجابات.

وقد ظهرت بعض الاعتراضات على هذه التعريفات أهمها إن نمط السلوك كثيراً ما ينتج عن أسباب مختلفة: فمثلاً في كثير من اختبارات الشخصية نجد هذا السؤال....... هل يحدث لك أن تنحرف عن طريقاً لكي لا تقابل صديقاً ؟ والإجابة عن هذا السؤال قد تكون لأسباب مختلفة، منها أن يكون الشخص خجولاً، أو أكثر اهتماما بعمله، أو غير ذلك من الأسباب[2].

ومن العلماء الذين أخذوا بهذه التعاريف كل من وود ورث ***(wood worth)*** **وماركويس *(marquis)*** حيث عرفا الشخصية بأنها: " الأسلوب العام لسلوك الفرد كما يظهر في عاداته التفكرية وتعبيراته واتجاهاته وميوله وطريقته وسلوكه، وفلسفته الشخصية في الحياة "[3]. **وتعريف روباك *(Roback)*** الذي وصف الشخصية بأنها: " مجموعة استعداداتنا المعرفية والإنفعالية والنوعية. وكلمة مجموع لا تعنى مجرد حاصل جمع، ولكنها تعني تكاملاً بين هذه الاستعدادات "[4]. **وكذلك تعريف جاثري *(Guthrie)*** للشخصية بأنها: "العادات ونظام العادات ذات الأهمية الاجتماعية، والتي تكون ثابتة وتقاوم التغير"[5].

١- دكتور/ عطية محمود هنا – مرجع سابق – ص١٩٨.

٢- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – مرجع سابق – ص ١٩.

3- Wood worth, R. S, Esperimental psychology. N. Y. Henry holt and Co. 1938.

دكتور/ محمد عماد إسماعيل – الشخصية والعلاج النفسي– القاهرة– مكتبة النهضة المصرية– سنة ١٩٥٩– ص١١.

4-Roback, A.A: psychology of character, N. Y. Harcourt Brace and Co.

وأيضا يراجع: دكتور/ عطية محمود هنا – مرجع سابق – ص ١٩٩.

٥- دكتور/ سيد محمد غنيم – مرجع سابق – ص ٤٨.

ويثير هذا التعريف بعض المُشكلات: فهو يتحدث عن نظام العـادات ذات الأهمية الاجتماعية. فماذا يكون عليه الأمر بالنسبة للعادات التـي ليسـت لهـا أهمية اجتماعية ؟..... فبعض الناس مثلاً اعتادوا الوقوف أمام المرآة والضحك لصورهم عندما يكونون علـى إنفراد، وهى عادة مـن الواضح أن لـيس لهـا قيمة اجتماعية، وإن كانت ذات دلالة بالنسبة لشخصية الفرد. ثـم أن الشـخص الواحد حتى عندما يواجه بالمثير نفسه، فإنه لا يستجيب دائماً بالاستجابة نفسها. بالمثل أيضا نجد أن شخصين مختلفين يمكن أن يستجيبا بالأسلوب نفسه، ولكـن لأسباب مختلفة أشـد الاختلاف. فعدم الثبات في استجابات الفرد الواحد أحيانا، وتشابه استجابات الأفراد المختلفين أحيانا أخرى يوحي بضرورة تعديل نظرتنـا للشخصية كاستجابة[1].

* تعريفات تنظر إلى الشخصية كمتغير يتوسط المثيرات والاستجابات:

أدت الصعوبات التي أثيرت حول التعريفات السابقة، إلي أخذ معظم علماء النفس بتعريفات تذهب إلي أن الشخصية لا يمكن تحديدها عن طريق ما يقوم به الشخص، ولكن على أساس أنها حالة من الحالات الداخلية يمكن أن نسـتنتجها، وأنها أساس لسلوك الإنسان وتصرفاته. فالشخص قد يكون خجولاً مع الغربـاء يخشى أن يتحين الفرصة، وينأى عن مركز الزعامة في المجموعة التي ينتمـي إليها، ويرجع هذا إلي شعور قوى بالنقص. هذا الشعور بالنقص يؤثر في عـدد كبير من استجاباته، ولا شك أن فهمنا لشخصيته يزداد ازدياداً كبيـراً، إذا مـا استطعنا أن نصل إلي هذه المتغيرات المتوسطة، والتي تؤثر على سـلوكه فـي عدة مجالات. وقبول هذا الرأي يؤدى إلي القول بأن: (**الشخصية عبـارة عـن التنظيم الداخلي للدوافع والانفعالات والإدراك والتذكر، التـي تحـدد أسـلوب الشخصية في السلوك**).

ومعظم التعريفات التي من هذا النوع تذهب إلي أن هذا المتغير الذي يتوسط المؤثرات والاستجابات ليس عاملاً واحـداً، ولكنه عبارة عـن تنظيم ديناميكي

١- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – مرجع سابق – ص ١٩.

ـ أي تنظيم متغير متفاعل ـ من مختلف أنواع الاستعدادات التي للفرد.

❖ ويظهر هذا في تعريــف وارن و كارميكــل (***Waren & Carmichael***) وهو أن الشخصية هي: (التنظيم الكلى للإنسان في أي مرحلة من مراحــل نموه). كما يضيفان أن هذا التنظيم الديناميكي فريد ومتمايز عــن غيره[1]. أي أنه لا يوجد فردان يتفقان فيه.

❖ ويظهر هذا أيضا في تعريف ماكردي (***Mc-curdy***) اذي يصف الشخصية بأنها: (تكامل الأنماط والأساليب الذي يميز الفرد عن غيره).

❖ وكذلك في تعريف شون (***shoen***) أن الشخصية: (هي التكوين المــنظم أو الكل الفعال، أو وحدة العادات والاستعدادات والعواطف التي تميز أي فــرد في المجموع عن غيره من الأفراد).

ويضيف العلماء أن هــذا التنظيم يتخذ شكــلاً هرمياً متــدرجاً. أي أنهــم يفترضون وجود عامل يسيطر على هذا التنظيم، ويجعل منه مركز القمــة فــي الهرم، ويتضح هذا في تعريــف مــاك دوجــل (***Mc dougall***)[2]و بريــدجز (***Bridges***)[3] وهايدر (***heider***)[4] وغيرهم. كما أنهم يضيفون إلى هذا فكــرة التكيف باعتبارها أسلوباً من أساليب السلوك العامة التي تتميز فرداًعن غيره.

❖ ويظهر هذا في تعريف كمف (***kemph***)[*] فهــو يعرف الشخصية باعتبار

1- Carmichael, L. (ed), Manual of child psychology, Wiley, 1946.

warren, H.C. (Ed) dictionary of psychology, Boston: Houghton Mifflin comp., 1934, P. 197.

* (أن الشخصية هي ذلك التنظيم المتكامل، لكل خصائص الفرد المعرفية والوجدانيــة والنزوعيــة والجسمية، كما تكشف عن نفسها في تميز واضح عن الآخرين).

2- Mc dougall, w. the energies of men, A study of the fundamentals of dynamic psychology, London, Methuen. 1932.

3- Bridges, k., Emotional Development in early infancy, child development, 1932, P. 45, 46.

4- Heider, F. the psychology of interpersonal relationships, Wiley, 1958.

5- Kempf, E.J. (ed), comparative conditioned neuroses, P. 56, N.Y. Acad – sci. 1953.

أنها:(تكامل العادات الذي يميز تكيف الفرد نحو بيئته). فالشخصية عند كمف هي الأسلوب التعودي للتوافق، والذي يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركز ومطالب البيئة[1].

❖ **وقد ذهب(كاتل *cattell*) إلي أن:** (الشخصية هي ما يمكننا من أن نتنبأ بما يكون عليه سلوك الفرد في موقف ما)[2]. ثم يصنف العناصر التي تتكون منها الشخصية إلي ثلاث أنواع بيانها:

* **السمات (العناصر) الدينامكية:** هي الدوافع المختلفة للسلوك وأهدافه سواء فطرية أو مكتسبة.

* **السمات المزاجية:** هي التي تتعلق بالسمات الشاملة غير المتغيرة وهي السمات التي تميز استجابات الفرد بصرف النظر عن المثيرات التي تؤدى إليها، مثل سرعة الاستجابة أو قوتها أو مستوى النشاط.

* **القدرات والكفايات العقلية:** هي التي تحدد قدرة الفرد على القيام بعمل ما، وتتمثل في الذكاء والقدرات الخاصة والمهارات.

* **تعريف جوردن ألبورت للشخصية:**

من أهم التعريفات التي تناولت الشخصية حتى الآن تعريف (***G. Allport***):

The dynamic organization within the individual of those psychophysical systems that determine his unique adjustments to his environment [3].

١- دكتور/ سيد محمد غنيم – مرجع سابق – ص ٤٤.

2-Cattel,R.B: An introduction to personality study, London, Hutchinson's university library 1950.

ويضع (ريموند كاتل) تعريفه على شكل معادلة كما يلي: س = د (م × ش).

حيث س = استجابة الفرد السلوكية م = المنبه ش = الشخصية د = دالة.

وتعنى أن الاستجابة دالة لخصائص كل من المنبه والشخصية.

- cattell,R.B: the scientific analysis of personality, Middlesex: penguin, 1965, p. 25.

3- All port, G .W., personality :A psychological interpretation, N.Y. Hent and Co . inc. 1936.

(الشخصية هي التنظيم الديناميكي في داخل الفرد، لتلك التكوينات أو الأجهزة النفسية الجسمية، التي تحدد طريقته الخاصة للتكيف مع البيئة).

ومن الواضح أن هذا التعريف يتجنب الكثير من الصعوبات، التي عرضناها لها في التعريفات السابقة، حيث يتميز بأنه[1]:

- **يوضح فكرة (الديناميكية) في الشخصية:** أي التفاعل المستمر بين عناصرها، كما أنه يقصد بقوله أن الشخصية هي التنظيم الديناميكي أنها ثابتة إلى حد ما ولكنها في الوقت نفسه متغيرة، وقابلة للتغير نتيجة للتفاعل الدائم بين مختلف العوامل الشخصية والاجتماعية والمادية، وهو في الوقت ذاته لا يستبعد ما قد يطرأ على الشخصية الإنسانية عند فقدان التنظيم، من انحلال أو تفكك يظهران في الحالات العقلية والنفسية، التي تطلق عليها حالات الانحراف والشذوذ، ويأخذ في اعتباره التغيرات الديناميكية، التي تتم داخل الفرد {الدوافع}[2].
- **يؤكد تعريف *Allport* فكرة التكامل:** وكون الشخصية ليست مجرد مجموع صفات وإنما وحدة النتائج منها، فهي أكثر من مجرد حاصل الجمع.
- **يشير هذا التعريف إلى التكوينات الجزئية الجسمية النفسية الظاهرة والكامنة:** ويقصد بهذا أن الشخصية تكوين عام تتدرج تحته تكوينات جزئية هي جميع ما يتميز به الفرد من عادات، واتجاهات وانفعالات وعواطف واستعدادات وقيم، وهو يشير أيضا إلى أن هذه التكوينات المختلفة ليست جسميه بحتة، ولا نفسيه بحتة ولكنها مزيج من الاثنين، كما يشير إلى التدخل العضوي والنفسي (في العادات والانفعال)[3].

١- لتعريف جوردن البورت هذا مركزا خاصا بين التعريفات ومزايا عديدة، وينكر (*Stagner*) أن معظم المؤلفات الحديثة لا تذكر تعريفا للشخصية، ولكن القراءة المتأنية لها تكشف عن أن تعريف(البورت)، هذا يمكن أن يغطي معظم ما يعنيه المؤلفون من مصطلح (الشخصية)، هذا في الوقت الذي يسير عليه كثيراً من المؤلفين صراحة.

- Stagner, R.: op. cit., 1961, p. 8 ftn.

2- Stagner, R.: op. cit., 1974, p. 10.

٣- دكتور/ سيد محمد غنيم – مرجع سابق – ص ٥٣.

• **لم يغفل التعريف أهمية البيئة:** وأثر عناصر الشخصية في تكيف الفرد، وتفاعله معها ولذا لا يمكن دراسة الفرد منعزلاً عن المجموع الذي يحيط به

ويفهم من ذلك التعريف الذي ساقه (*Allport*) للشخصية، أنها استعداد يحدد استجابة الفرد لمختلف المثيرات التي تحيط بـه، بمعنى أن الشخصية موضوع كالموضوعات العلمية يحدد بدقة. ويظهر هذا تعريف فكرة التميز التي تجعل كل فرد مختلفا عن غيره، بحيث لا يوجد اثنان متشابهان تشابها تاما، وفي ذلك إشارة إلى الفروق الفردية. وخلاصة ما سبق تتبلور فيما يلي[1]:

أولاً: أن الشخصية وحدة أو كل أو جيشتالت (*Gestalt*)، ويجب دراستها كتنظيم عام متكامل.

ثانياً: أنه إذا اضطرنا البحث العلمي لتحليل الشخصية إلى عواملها الأولية، لتوضيح الحقائق وإبرازها، فيجب أن يضع الباحث نصب عينيه دائما فكرة اندماج هذه العناصر، وامتزاجها وتفاعلها المستمر بعضها مع الأخر.

* **تعريف أخير للشخصية[2]: ذهب أستاذنا الدكتور/عبد الرحمن عيسوى** إلى أنه يمكن تعريف الشخصية بأنها: (التنظيم الفريد للاستعدادات الشخص للسلوك في المواقف المختلفة).

ويضاف إلى هذا التعريف عنصر أخر هو أن هذا التنظيم لابد أن يتم في مجال معين وهذا المجال هو المخ، ومكونات الشخصية والعمليات التي تصل إلى المخ عن طريق الأعصاب المستقبلية. وهذا يبين لنا أن السمات النفسية في الشخصية متصلة تماماً، ولا تؤثر في السلوك منفردة[3].

١- دكتور/ محمد خليفة بركات – مرجع سابق – ص ٩: ١١.

٢- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – مرجع سابق – ص ٢٧٦.

٣- إن الشخصية تتضمن مجموعة من الصفات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية، التي تميز فردا معينا عن غيره من الناس. وليست هذه الصفات موجودة كأنها مرصوصة بعضها فوق بعض ولكنها متفاعلة، أي أن هناك تأثيرا متبادلا بينها، وهناك علاقات قوية ووثيقة بين عناصر الشخصية، وتمتاز هذه الصفات أيضا إلى جانب صفة التفاعل بأنها صفات تمتاز بالثبات النسبي، أو الدوام دواما نسبيا. (دكتور/ عبد الرحمن عيسوى– المرجع نفسه – ص ٢٤). ويراجع أيضا دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – دراسات سيكولوجية – الإسكندرية – منشأة المعارف– سنة ١٩٧٠.

❖ المنظور الإسلامي في تعريف الشخصية:

تناول الإسلام بوصفة الدين القيم الحنيف الطبيعة البشرية، وحدد دور الإنسان ووظيفته ومصيره وبناءه النفسي، وهذا التناول يعبر عن تكامل الرؤية وشموليتها، وأوضح الدين الإسلامي كيف أن الإنسان يتميز عن سائر المخلوقات، بالعقل الراجح واللسان الناطق والطاقات العقلية، وهذا الإنسان الذي ميزه الله تعالى قد جعل له تركيبه تحدد شخصيته وتضع ملامحها.

ويعبر مصطلح الشخصية عن دراسة الفرد، من حيث هو كل موحد من الأساليب السلوكية والإنمائية المعقدة التنظيم، التي تميز هذا الفرد عن غيره من الناس، وخاصة في المواقف الاجتماعية.

والتعريف المتكامل للشخصية هو المحور الذي يعتمد عليه المنظور الإسلامي، في بناء الشخصية المتكاملة التي هي: (نظام متكامل من الصفات الجسمية والسمات النفسية التي تتميز بالثبات النسبي، والتي تميز الفرد عن غيره من الأفراد، كما تحدد أساليب نشاطه وتفاعله مع البيئة الخارجية المادية، والاجتماعية التي يعيش فيها)[1].

[ب] العناصر الأولية للشخصية:

حاول كثير من العلماء تقسيم الشخصية وتحليلها إلى وحدات أولية رئيسية، ثم تحليل هذه الوحدات بدورها إلى فروع وعوامل منفصلة، إلى أن وصلوا إلى قوائم طويلة للصفات، التي يصح دراستها للحكم على الشخصية حكماً شاملاً من جميع النواحي. وقد وصل عدد هذه الصفات في قائمة صنفها (كاتل) مثلاً إلى ١٧١ صفة[2]، وهذا التحليل المسترسل في التفاصيل إلى صفات فرعية متعددة، لا يفيد كثيراً في إعطاء صورة سريعة للشخصية، وإن كان التحليل بالصورة ذاتها يفيد كثيراً، بل لا يستغني عنه في بعض الأبحاث التي تركز جهدها في الناحية الإحصائية، بقصد اتخاذها أساسا لأبحاث أخرى ترتكز عليها.

١- دكتور/ سيد صبحي – مرجع سابق – ص٧٦.

٢- دكتور/ محمد خليفة بركات – مرجع سابق – ص ١٤.

❖ ولكن ما هي العناصر الأولية للشخصية؟

يمكن أن نتبين هـذه العناصر من تعريف (***Eysenck***) للشخصية حيـث عرفهـا بأنها: (ذلك التنظيم الثابت والدائم إلى حد ما، لطباع الفـرد ومزاجـه وعقله وبنيه جسمه، والذي يحدد توافقه الفريد لبيئته)[1].

وتشير الطباع {Character} إلى جهاز السلوك النزوعي (الإرادة) {conative}، ويقصد بالمزاج{Temperament} السلوك الوجداني(الانفعـال) {Affective}، بينما يشير العقل{Intellect} إلى السلوك المعرفـي (الـذكاء) {Cognitive}، ويقصد (***Eysenck***) بالبنية {Physique} شكل الجسـم، والميـراث العصـبي والغددي للفرد.

والواقع أنه مهما اختلفت قوائم العلماء في ظاهرها وتفاصيلها، فإن أغلبهـا يتفق على أن العناصر الأولية الرئيسية للشخصـية هـي النـواحي الجسـمية {Physical}، والنواحي العقلية المعرفية{Cognitive}، والنـواحي المزاجيـة {temperamental}، والنواحي الخلقية {character}. ومن الضروري طبعـا أن ننظر إلي هذه العناصر الأربعة في ضوء البيئة الاجتماعية، والوسط الثقافي العام الذى تتكون فيه الشخصية وتنمو:

١- **النواحي الجسمية:** المقصود بها حالة الجهاز العصبي، وتـأثير الغـدد الصماء وحالة الجهاز الهضمي والحواس المختلفة، من ناحية حدتها أو ضعفها وكذلك شكل الجسم العام وقوة العضلات، وتناسب التقاسيم ورنة الصوت وسرعة الحركات أو بطئها........ الخ.

٢- **النواحي العقلية والمعرفية:** هي أما فطرية كالذكاء والقدرات التحصيلية والمواهب الخاصة، وإمـا مكتسـبة كـالآراء والأفكـار والمعتقـدات والمعلومات المختلفة.

٣- **النواحي المزاجية:**هي مجموع الصـفات الانفعاليـة المميـزة للفـرد، وتتضمن الاستعدادات الثابتة نسبياً المبنية على ما عند الشخص مـن

1-Eysenck, H. j: the structure of human personality, London: Methuen, 2 nd. ed., 1960 (A), p.2.

الطاقة الإنفعالية والدوافع الغريزية التي يزود بهـا، والتي تعتبر وراثية في أساسها، وهي تعتمد على التكوين الكيميائي والغـدي والـدموي. وتتصـل اتصالاً وثيقاً بالنواحي الفسيولوجية والعصبية وتظهر في الحالات الوجدانية والطباع والمشاعر والانفعالات، من حيث قوتها أو ضعفها ثباتها أو تقلبهـا ومدى المثيرات التي تثيرها.

٤- النواحي الخلقية: فتشمل الصفات الخلقية المختلفة كالأمانـة والخيانـة والتعاون والأنانيـة، والصدق والكذب والإقدام والتهيب والرحمة والغلظـة والعدل والظلم والتسامح والتعب، والمسـألة والعدوان والكرم والبخل، إلـى غير ذلك مما يدخل في نطاق الاتجاهات النفسية المختلفة.

❖ **امتزاج عناصر الشخصية وتأثيرها بعضها في بعض:**

سبق أن أشرنا إلي وجوب دراسة الشخصية كوحدة، ومعني ذلك أنـه لابـد من الاهتمام بإبراز مابيين عناصرها من امتزاج وتداخل وتفاعل مستمر، فكـل ناحية من نواحي الشخصية تؤثر في باقي النواحي كما تتأثر بهـا، وقـد أدرك الناس من قديم الزمان ما بين الناحية الجسمية للشخص من علاقة وثيقة واتصال كبير بالناحية العقلية حيث قالوا: (العقل السليم في الجسم السليم).

والواقع أن أثر الناحية الجسمية في الشخصية لا يقتصـر علـى الناحيـة العقلية، بل يمتد إلى جميع عناصرها، فمن الثابت علميـاً أن لأفـرازات الغـدد الصماء تأثيراً كبيراً، ليس فقط على النمو الجسمي والحركي بـل أيضـاً علـى الذكاء واليقظة الفكرية، وعلى الاتزان الانفعالي والنضج الجنسي. وكـل هـذا يؤثر في الشخصية من حيث اتزانها أو اختلالها[١].

وكذلك العاهات والأمراض خصوصاً المزمنة منها ذات أثـر بعيـد، فـي النواحي العقلية والمزاجية والخلقية، فبعض العاهات لها أثر تعويضي يتضح من المثل القائل: (كل ذي عاهة جبار). وهذا الأثر كثيراً ما يظهر في شحذ قـدرات الشخص الجسمية والعقلية، كما يظهر بشكل بارز في صفاته واتجاهاته الخلقية

١- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق - مرجع سابق - ص ٣٥.

وتعامله مع الناس. وهناك عاهات يحدث عنها شذوذ بالغ في الشخصية كالعاهات الناتجة من حوادث الإصابة في المخ مثلاً. أما الأمراض خاصة المزمنة فلها أثر لا يقل عن أثر العاهات، إذ أنها تؤثر على الجسم كله وتحد من قدرة الشخص على استغلال طاقته العقلية، كما تؤثر في الناحية المزاجية والاجتماعية من شخصيته، فتجعله خاملاً في تفكيره أو سريع التهيج والغضب في تصرفاته، أو تجعله ساخطاً متبرماً ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود. وقد عبر الشاعر عن ذلك فقال:

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرا به الماء الزلالاً

[ث] المصطلحات المتداخلة مع مصطلح الشخصية:

يوجد بعض التداخل بين مصطلح الشخصية وبعض المصطلحات الأخرى، مثل مصطلح الطباع ومصطلح المزاج ومصطلح الذات، هذا التداخل يجعل البعض يرادفون بين معني مصطلح الشخصية ومعني هذه المصطلحات.

ـ الشخصية والطباع:

يتداخل مصطلحا الشخصية والطباع (Character)[1]، ويترجم مصطلح الطباع في معظم المراجع العربية على أنه {الخلق}[2]، ولكن ذلك ليس ألا واحدا فقط من المعاني المتعددة للمصطلح إذ يذكر (*Stagner*) أن لمصطلح الطباع معان متعددة كمصطلح الشخصية[3]. وعلى الرغم من وجود فروق بين كليهما،

١- علم الطباع (*Characteology*): هو فرع من علم النفس يهتم بالخلق أو الشخصية ومعرفة الخواص الأساسية التي تكون مختلف الطباع وإظهار المميزات التي يمكن عن طريقها تصنيف طباع الأفراد، ومدى أمكان تطبيق هذه الحقائق في الصحة النفسية والتعليم والتوجيه المهني والسياسة وعلم الأجرام.....الخ. (دكتور/ محمد على محمد وآخرون- المرجع السابق- ص ٥٣).

٢- الخُلق: يعني نموذج للقيم والاتجاهات والسلوك، يتميز بدوامة واتساقه النسبي، وبوجوده لدى فرد معين كممثل لقيم ومعايير وأعراف جماعة محددة يتوحد معها، وبهذا المعنى ينظر إلي هذا المصطلح على أنه يشير إلى الجانب الأخلاقي للشخصية وقد يتداخل مفهوم الخلق إلى حد ما مع مفهوم الشخصية، ولكن الفارق الرئيسي بينهما أن التركيز في الخُلق يتجه إلي الإرادة ويصطبغ بالقيم، بينما هو في الشخصية يتناول المظاهر الاجتماعية للسلوك بوجه خاص. (دكتور/ محمد علي محمد- المرجع نفسه- ص ٥٣).

3- Stagner: Op. cit., 1974, P 245.

إلا أن بعض المؤلفين يرادفون بينهما، بينما يرى البعض الآخر أن الشخصية مصطلح عام يشمل الطباع و(قطاعات أخرى)، أو هو الشخصية عندما ينظر إليها بمنظور أخلاقي أو نزوعي إرادي[1].

ويفرق معجم ***[English, English]***[2]، بين المصطلحين في أن الطباع تركز على الجانب الإرادي والأخلاق. ورغم تفضيل علماء النفس الأوربيون لمصطلح الطباع[3]، وتفضيل العلماء الأمريكيون لمصطلح الشخصية حتى وقت غير بعيد، إلا أن مصطلح الشخصية هو السائد الآن، للإشارة إلى تلك الظاهرة الكلية والعامة في هذا المجال[4]. كما يعرف معجم ***[Wolman]*** مصطلح الطباع بأنه: (ذلك الجانب المتسق والدائم في شخصية الفرد، وأيضا بأنه تكامل سمات الفرد في كل موحد، وما ذلك إلا الشخصية)[5].

ولكن هذا التعريف لا يشير إلى الجانب الأخلاقي أو التقويمي الذي يركز عليه كثير من المؤلفين، فيعرف مثلاً في معجم ***[English, English]***[6] على أنه: (النسق المتكامل للسلوك أو السمات، الذي يُمكن الفرد من الاستجابة رغم العقبات، بطريقة تتساير نسبيا مع الجوانب الخاصة بالعرف والأخلاق).

١- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – مرجع سابق – ص ٢٣.

2-English, H. B. and English, A. C. A comprehensive dictionary of psychological and psychoanalytical terms: a guide to usage, new York: Longmans, 1958, P. 83.

٣- مثال ذلك مرجع [روباك] ذو الأهمية التاريخية الكبيرة والصادر عام ١٩٣١ كان يحمل اسم (سيكولوجية الطباع)، ومرجع [أرنست كر تشمر] الألماني الصادر عام ١٩٢٢ كان يحمل اسم (الطباع وبنية الجسم)، ولن يتغير الأمر إذا ما استبدلنا الشخصية بالطباع. (دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – هامش ص ٢٣).

٤- ثمة فروق واسعة بين المؤلفين في تعريف مصطلح الطباع، ويفسر (stagner) ذلك بقلة البحوث الخاصة بالطباع.

5- Wolman, B. B (Ed.) Dictionary of behavioral science, London: Mac millan, 1973, p. 58.

6- English, English: op. cit. P. 2.

ويذكر(Vernon)[1] أن الطباع يستخدم غالبا كمرادف للشخصية، ولكن الطباع يعتبر عادة مصطلحاً تقويمياً في الأغلب أي يشير إلى سمات معينة في الشخصية تعد مستحسنة أو مستهجنة، مثل الأمانة وإمكان الاعتماد على النفس والتكامل وضبط النفس وعكسها.

بينما يميز (Rosen Han, London)[2]بين الطباع والشخصية على أساس أن الطباع تتركز حول المظهر الإرادي والجوانب الخلقية ويعالجان في كتابتهما السمات المرغوبة اجتماعياً كالأمانة والشجاعة والغيرية وأستقلال العقل.

ويتضح إذا أن أهم المعاني أو المجالات التي يشملها مصطلح الطباع هي[3]:

أ – المفهوم الأخلاقي أو التقويمي. ب – الجانب الإرادي أو النزوعي.

* ومن أنصار المفهوم الأول (ALL PORT) إذ يرى أن: (الطباع هي الشخصية عندما ننظر إليها بمنظور أخلاقي تقويمي، أو هي خصائص الشخصية التي يمكن تقويمها تبعاً لمجموعة من المعايير الحضارية أو الأحكام الخاصة بالقيم السائدة في المجتمع)[4]، ويتضح ذلك من حكمنا على سلوك معين بأنه جيد أو سيئ وخير أم شر وصواب أم خطأ، ذلك أن العالم من حولنا ممتلئ بعديد من المغريات، ولكن كثير منها يعد من المحظورات[5].

* ويفضل (stagner)[6] القول في الطباع كسلوك أخلاقي يساير العرف المحلي والمعايير الأخلاقية، ويذكر أن هذا المفهوم للطباع يمكن دراسته من ناحية (إدراك) الفرد للأفعال في ضوء العرف الاجتماعي، ورغباته أو دوافعه التي تربط بين الإدراك والسلوك.

1- Vernon, p.E. personality tests and assessments, London: Methuen,1953, p .2.

2- Rosen Han. D. and London, P. character, in: London, p. and Rosen Han, D. (Eds.), foundations of abnormal psychology, New York: holt , Rinehart and Winston, 1968, p 254.

٣- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – مرجع سابق – ص٢٥.

4- All port , G. W: op. cit., p. 52.

٥- دكتور/ أحمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ٢٥.

6- Stagner, R: op. cit. , p. 245 f.

* أما المفهوم الإرادي للطباع فقد أشار إليه (*ALL PORT*)[1] ويبدو أنه يفضل عليه المفهوم الأخلاقي، رغم أنه انتهى في معالجته للمصطلح إلى أن {الطباع} مفهوم لا حاجه لعلم النفس إليه. ومع ذلك فإن المعنى الإرادي للطباع هو الذي قدمته كتابات (*MC DOUGALL,W*) إلى علم النفس. وذكر (*EYSENCK*) أنه يركز على الجانب النزوعي أو مدى {شدة النشاط} في ضوء المثابرة والتأهب والسرعة وغيرها، والطباع بهذا المعنى مرتبطة تماماً بالإرادة، وقد واصل هذا الاستخدام في كتاباته، ويرى أن هذا هو الاستخدام المقنع في علم النفس، ويقصد به نسق أو جهاز السلوك النزوعى {الإرادة}[2].

وبجانب المعاني التي شملها مصطلح الطباع – وسبق ذكرها– فإن الفيلسوف (*LUSIN*)[3] قد عرف الطبع بأنه: (هو مجموعة الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسي للإنسان) ويتضمن هذا التعريف ثلاثة أمور[4]:

- **الأمر الأول: أن الطبع ليس كل الفرد** وإنما هو مايملكه الفرد حصيلة للوراثات تصالبت فيه (من أبويه وأجداده القريبين والبعيدين)، وعلى هذا يكون كل ما في الطبع فطرياً ولد مع الفرد، وبذلك نبعد من معنى الطبع كل شيء مكتسب، أي كل ما أتى إلي الفرد من تاريخه.
- **الأمر الثاني: أن هذا الطبع وطيد ثابت** فهو الذي يضمن للفرد وحدة بنيته، ويكون القاع الثابت الذي لا يتطور وأنما يحدد التطور النفسي.
- **الأمر الثالث: أن هذا الهيكل نفسي** ولكنه ليس من الحياة النفسية إلا هيكلها، ومعنى هذا أن الطبع يقع على الحدود بين ما هو عضوي وما هو نفسي، إن الطبع يكمل الجسم ويحدد الروح.

1- All port , G. W: op. cit., p. 51 f.

2- Eysenck , H. J. Dimensions of persona lity, London: Routledge and kegan Paul, 1947, p. 24.

٣- هو الفيلسوف الفرنسي رينيه لوسين– أستاذ علم الفلسفة بجامعة السربون، ومؤلف كتاب علم الطباع، وقد توفى سنة ١٩٥٥.

٤- دكتور/ سامي الدوربي – علم الطباع – القاهرة – دار المعارف – سنة ١٩٦١ – ص ٢١.

وعكس علماء النفس الذين ذهبوا إلى أن مفهوم الطباع إنما يعني الشخصية ــ مثل (ALLPORT) ــ فـإن (LUSIN) يــرى أن مقابــل الطبــع نجــد الشخصية، بصرف النظر عن كل معني أخلاقي أو قيمة روحية.

* مابين الطبع والشخصية {الــذات}:

الطبع والشخصية هما إذن طرفا علاقة تشبه علاقة صورة بمادة، وفي قلب هــذه العلاقة التي تجمع الطبع إلـــي الشخصية، هنالك مبــدأ فعال يقول عنه (LUSIN) أنه حــر، إشارة إلي أنه كان يستطيع ومازال يستطيع أن يخصص الطبع فيخرج منه شخصية أخرى، وهذا المبدأ الفعال هو ما نطلق عليــه أســم {الذات}، والقول عن الذات أنها حرة لا يعنى أنها قادرة على كــل شــئ، فــإن الذات مسلحة بالطبع محدودة به على نحو فطرى ثابت، ولكل إنسان طبع فليس الإنسان واقعاً مرناً يمكن صوغه على هذا النحو أو ذاك على السواء، وكل طبع ثابت لا يتغير، وعند تعاملنا مــع أفراد المجتمع كل يــوم ندرك أن لكل منهمــا طبعاً خاصاً، يتميز بخصائص معينة[١].

وقد أرتبط مصطلح الطباع ببعض جوانب في نظرية التحليل النفسي ــ مثل الطباع أو الطبع الفمي أو الشرجي ــ وهو استجابة الراشد، التي تعكس تثبيتــاً على المرحلة الفمية أو الشرجية على التوالي وكذالك مصطلح (الطباع الدفاعية) ضد القلق[٢]، وفي علم النفس المرضى يشير اضطراب الطبــاع للاضــرابات والسلوك غير التكليفي، الذي يتميز بأنه متأصل لدى الفرد طوال سني حياته[٣].

ــ الشخصية والمزاج:

كما أن الطباع ليست هي الشخصية بل أحد جوانبها أو مكوناتها، فكــذلك المزاج- بكسر الميم تماماً- {TEMPERMENT}، ذلك أن الشخصية أشمل من كليهما وأعــم، ويشير هــذا المصطلح إلـــى ظاهرة تميز الطبيعة العاطفية للأفراد، وهي مدى سرعة الاستجابة للمثيرات العاطفية، ونوعية مزاج الفــرد

١- دكتور/ سامي الدوربي - المرجع نفسه - ص ٢٢.

٢- دكتور/ احمد محمد عبد الخالق - مرجع سابق - ص ٢٦.

3- WOLMAM. B.B: OP. CIT., P.58.

ورغباته وسمات شخصيته وهي كلها صفات وراثية إلي حد كبير[1].

- ويعرف (WARREN)[2] المزاج بأنه: الطبيعة الانفعالية العامة للفرد، كما تحددها الوراثة وتاريخ الحياة.
- كذلك يعرفه (ALLPORT)[3] بأنه: الطبيعة الانفعاليـة المميـزة للفـرد، ويشمل مدى قابليته للإستثارة الإنفعالية، وقوة وسرعة الاسـتجابة المألوفـة لديه، ونوع الحالة المزاجية {MOOD} السائدة عنده، وتقلب وشـدة هـذه الحالة، وينظر إلى هذه الظاهرة على أنها معتمدة أكثر على عوامل جبليـة (Constitutional)، ولذا فهي وراثية في أساسها، ومن ثم فإن المزاج هـو تلك الجوانب من الشخصية التي تعتمد أكثر على الوراثة.
- ويذكر(ALLPORT) كذلك أن المزاج يشير إلـى المنـاخ الكيميـائي أو الطقس الداخلي للفرد، وعندما نقول أن شخصاً ما مرح أو بطئ أو خامـل أو يسهل إفزاعه وإخافته، أو أن له ميول جنسية قوية أو ضعيفة، أو أن لـه مزاجاً مخيفاً، أو أن شخصاً ما بطئ الحركة بطبيعتـه، وأن آخـر تسـهل إثارته أو أنه مليء بالحيويه............ فإننا في كل ذلك نصف المزاج[4].
- وقد كتب (Mc Dougall) عن المزاج بوصفه خاصية وراثية أو فطرية،

١- لهذا المصطلح تاريخ طويل يرجع إلى هيبوقراط عام ٤٠٠ ق- م حينما كتـب عـن الأمزجـة الأربعة وهي: (المزاج الدموي والصفراوي والسوداوي والبلغمي)، كما أستخدم أرسطو المصـطلح أيضا. وكذلك أستخـدم بعض الكتاب - خاصة الإنجليز - مصطلح المزاج كمرادف للشخصية ومنهم (جالن، وكانط، وجال، ومولر، وفوندت، وفوييه، وكريتشمر، وستوارت، ونيومان) أنظـر ملخصـا لمفاهيمهم في:

A.A. Roback, Psychology Of Character. N.Y. Harcourt, 1927.

مشار إليه لدي: د كتور/ محمد على محمد وآخرون - مرجع سابق - ص ٤٨٥.

2- Warren,h.c: op.cit.,p 273 .

3- Allport,g.w. pattern dnd groth in personality,op .cit . p .33f .

• ويذكر All port أن مصطلح المزاج قد دخل إلى اللغة الإنجليزية في العصور الوسطي بتأثر من نظرية الأخلاط Humors الاربعة القديمة التي وضعها هيبوقراط. (دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق - مرجع سابق - ص ٢٦)

٤- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق - المرجع نفسه - ص ٢٧.

فالمزاج هو نتيجة مركبة لمجموعة عوامل، وإن كان يخضع للتعديل نتيجة للمؤثرات البيئية[1].

كما تعددت تعريفات العلماء للمزاج وتنوعت[2]، وقد ذهب أحد العلماء إلى أن المزاج يتوقف في المقام الأول على عوامل وراثية منها حالة الجهازين العصبي والغدي الهرموني، كما يتوقف على عملية الأيض METABOLISM وعلى الصحة العامة للفرد وأن المزاج هو مجموعة الصفات المميزة لطبيعة الفرد الانفعالية ومن بينها[3]:

ـ درجة تأثير الفرد بالمواقف التي تثير الانفعال هل هو تأثير سطحي أو عميق أو سريع أو بطئ؟

ـ نوع الاستجابة الانفعالية هل هي قوية أو ضعيفة، سريعة أم بطيئة؟

ـ ثبات الحالة المزاجية أو تقلبها.

ـ الحالة المزاجية الغالبة على الفرد هل هي المرح أو الانقباض، أو التهجم أو الاهتياج ؟

ولا يجب أن ننظر إلى هذه التقسيمات البادية كثنائيات، على أنها تصنيفات

١- دكتور/ محمد على محمد - المرجع السابق - ص ٤٨٥.

٢- فتعريف المزاج لدى WOLMAN هو: (استعداد أو تهيؤ الفرد للاستجابات الانفعالية). راجع:

-WOLMAN, B,B: OP.CIT., P .371.

• ويعرفه DIAMOND بقوله أنه: (تلك الجوانب الفردية التي تعتمد على سهولة ظهور أنماط الاستجابة الفطرية). راجع:

-DIAMOND, S. PERSONALITY AND TEMPERAMENT, NEWYORK, 1957, P. 50.

• ويري VERNON أنه من المفيد قصر مصطلح المزاج على العوامل الجبلية والوراثية، التي تعتمد عليها الشخصية، كالدوافع وتأثيرات الغدد الصم وبقية العوامل الفيزيولوجية في سلوك الفرد، وبعض النزعات العامة التي تحددها الوراثة بطريقة جزئية. راجع في ذلك:

VERNON,P.E PERSONALITY TESTS AND ASSESSMENTS ,LONDON: METHUEN ,1953 ,P.2.F.

٣- دكتور/ أحمد عزت راجح - أصول علم النفس- المكتب المصري الحديث- الإسكندرية - سنة ١٩٧٠ - ص ١٦١.

حادة بل على شكل توزيع إعتدالي. ومـــن المناسب أن نفكر في درجات لها في أطار (الزمـــن) مثل: هل هذا الشخص متهيج طوال الوقت أم بعــض الوقــت؟ وكذلك في أطار (الموقف) مثل: هل هذا الشخص متهيجاً في كل مواقف الإحباط أم في أنواع معينة من الإحباطات ؟ وهكذا[١]..........

وتوجد نظريات عديدة للمزاج عبر التاريخ الطبي والسيكولوجي[٢]، بدايــة بنظرية (هيبوقراط) عن الأمزجة الأربعة. ثم وضع العـــالم إيفــان بتـــروفتش بافلوف(I.P.PAVLO) الفيزيولوجي الروسي الشهير، نظرية في المزاج تعتمد على عمليات الإستثارة والكف في الجهاز العصبي، ويقترح أربعة أنماط للمزاج هي: النمط الإستثاري والكفي والمتوازن، ويقسم المتوازن إلي نمطين فــرعين هما: المتوازن الدموي (النشيط) والمتوازن البلغمي (الهادئ).

كما يحدد (سولمون دياموند)[٣] في كتابه القيم عـــن الشخصـــية والمـــزاج أربعة أبعاد أساسية للمزاج هى: الاندفاعيـــة (IMPULSIVITY) والصـــحبة (AFFILIATION) والعدوان AGRESSION والتجنب AVOIDANCE وهى أبعاد تفيد في وصف المزاج (ولو أنها ليست الوحيدة).

ثم يقدم (BUSS AND PLOMIN) نظرية حديثة عن المزاج تتضمن أربعة أمزجة هي (EASI)[٤]:

- الانفعالية (EMOTIONALITY) مرادفة لشدة الاستجابة: فالشخص الانفعالي يمكن أثارته بسهولة، ويميل إلى أن يعانى مـــن مزيـــد مـــن الحالات الوجدانية.

١- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ٢٨. وأيضا في نفس المعنى يراجع:

- STAGNER, R. AND SOLLEY, C. M BASIC PSYCHOLOGY: A PERCEP HOMEOSTATIC APPROACH, NEW YORK: MC GRAW – HILL, 1970, TUAL P, 592.

٢- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع نفسه– ص ٢٩.

3-Dimond, s: personality and temperament, New York: Harper 1957, p 126.

4- Buss, a. h. and Plomin, r: atemperament theory of personality develop ment, New York: wiley 1975. p. 7 f.

- النشاط (ACTIVITY): يشير مستوى النشاط إلى محصلة النشاط الكلي: فالشخص النموذجي شخص مشغول دائما وفى عجلة ويظل في حركة دائبة، حيوي ونشط في حديثه وأفعاله.
- الاجتماعية (SOCIABILITY): وتتكون أساسا من الميل إلي الصحبة والاجتماع أو الرغبة الشديدة في التواجد مع الآخرين والتفاعل معهم، والشخص الاجتماعي أكثر استجابة للآخرين.
- الاندفاعية (IMPULSIVITY): وتتضمن الميل إلي الاستجابة بسرعة أكثر من الميل إلي كف الاستجابة.

وهذه الجوانب الأربعة متداخلة مع بعضها البعض، كما أن لها أساساً وراثياً قوياً، ويمكن النظر إلي هذه الأمزجة الأربعة على أنها عوامل أولية ضيقة ومائلة، يمكن أن يستوعبها عامل واحد راق ذو رتبة ثانية وهو المزاج[1].

وأخيراً فأننا نعلم جيداً أن الشخصية ترتبط بدرجة كبيرة بالمزاج، ولا نعرف المصادر الأولية للمزاج نفسه، ومن الخطأ القول بأن المزاج لا يتغير من الميلاد حتى الممات[2].

ـ الشخصية والذات:

لم يستخدم مفهوم الذات (self) في علم النفس بمعنى واحد، وإنما استخدمه العديد من علماء النفس، للتعبير عن معاني مختلفة أحيانا ومتفقة أحيانا أخرى مع الشخصية، فعلى سبيل المثال أن كلمة الذات قد استخدمت في علم النفس للتعبير عن معنيين متميزين فتعرف من ناحية بأنها اتجاهات الشخص ومشاعره عن نفسه. ومن ناحية أخرى فهي تعتبر مجموعة من العمليات النفسية، التي تحكم السلوك والتوافق.

١- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ٣١.

2-Allport, g.w: op. cit, p.33 f.

* ويرلجع أيضا: دكتور/ عبد الله عبد الحي موسى – دراسات في علم النفس– القاهرة – مكتبة القاهرة الحديثة للطباعة –سنة ١٩٨٣ – ص ٢٩٦. حيث ذهب إلى أن مفهوم المزاج يتضمن أقل ما يتضمن مفهوم الشخصية، وبالتالي فإن المزاج جانب من جوانب الشخصية.

وغالباً ما يستخدم المعنى الأول للتعبير عن الذات كموضوع (أي تصور الفرد لنفسه)، بينما يستخدم المعنى الثاني للذات كعملية (أي أن الذات تتكون من مجوعة من العمليات، كالتفكير والتذكر والإدراك)[١].

والذات هي جانب الشخصية الذي يتكون من مفهوم الفرد عن نفسه، وتعتبر طريقة إدراك الشخص لنفسه محصلة لتجارية وخبراته مع الآخرين، ولطريقة تصرفهم نحوه، وللانطباع الذي يدركه من نظرتهم إليه. وتتطور الذات وتنمو خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي، فالطفل الصغير لا يحظي بمفهوم منظم من مكانه في المجتمع، عن طريق استدماج تعريفات الآخرين له.

ومع أن الذات تنمو في مرحلة الطفولة إلي درجة ملحوظة إلا أنها لا تصل في هذه المرحلة، إلي صورة نهائية غير قابلة للتغيير، حيث تكون عرضه باستمرار للتعديل نتيجة، لوجودها في بيئة اجتماعية متغيرة. والذات تجرى عملية مقارنة غير منطقية، وعملية تقييم وإعادة تفسير نفسها، كلما تغيرت مراكز الفرد وأدواره في المجتمع[٢].

وقد يترادف مصطلح الذات عند بعض علماء النفس الاجتماعيين، في معناه مع مصطلح {تصور الذات}. فقد ذهب بعض الكتاب مثل ميرفي إلى أن: (الذات ببساطة عبارة عن تصور الشخص لنفسه ككل أو كوحدة) دون أن يذكر شيئا عن الطريقة التي يمكن بها التوصل إلى هذا التصور. ويذهب مؤلفون آخرون من ذوى التوجيه السيوسيولوجى مثل ج. ميد G.Meed إلى أن: (الذات اجتماعية أساسا، وأن الفرد من خلال عملية تمثيل ضمني لأدوار الآخرين يستطيع أن يُكون تصوراً عن ذاته يستند على استجابات الآخرين له).

غير أن المصطلح عندما يستخدمه علماء التحليل النفسي يأخذ صفة العامل الفعال (Acting-Agent) والمسئول عن قدر كبير ومتنوع من سلوك الفرد،

١- دكتور/ العارف بالله محمد الغندور، الدكتور/ محمد سمير عبد الفتاح – مدلخل الشخصية ونظريات علم النفس- القاهرة – دار آتون للطباعة – سنة ١٩٩٧ – ص ٥٩.

٢- دكتور/ محمد على محمد – المرجع السابق – ص ٤٠٦.

فمثلاً حصر العالم سوليفان (H.S Sullivan) الذات فيما اسماه {نسق الـذات} وهو مجموعة من الوسائل الفنية لمعاملة التوتر. وقد وضع آلفرد أدلر نظريـة عن الذات، تصورها فيها على أنها نسق ذاتي على درجة عالية مـن التحديـد، يرتبط بأسلوب متميز للحياة تعمل الذات على تحقيقه بطريقة فعالة(١).

[ث] ـ علاقة الشخصية ببعض الصفات :

ليس ثمة خلاف بين علماء النفس على أن كلا من الطباع والمزاج يرتبطان بالشخصية بطريقة ما، مهما اختلفت وجهات النظر حول طبيعة هـذه العلاقـة وهل هما يتداخلان معهـا أو يدخلان فيها، أو يعدان من بين مكوناتها، أو حتى مردفان لها لدى البعض. ولكن الأمر يختلف فـي علاقة الشخصية بكـل مـن الذكاء وبنية الجسم.

ـ الشخصية والذكاء:

حدث خلاف بين علماء النفس في علاقة الذكاء بالشخصية ويمكن أن نعدد أساسا أثنين من الآراء بشأن هذه العلاقة:

- **<u>الفريق الأول يري أن الذكاء منفصل عن الشخصية</u>: ويعتقد علماء هـذا**

١- راجع بشأن مصطلح الذات والشخصية:

- *Marve: Personality. A Biosocial Approach to origin and Structure, 1947.*
- *G .Mead: Mind, self, and society, 1934.*
- *Sulliven .H.S: The interpersonal theory of psychiatry.*
- *Adlar: Theory and practice of individual psychology, 1934.*

مشار إليهم لدى: دكتور/ محمد على محمد وآخرون – المرجع السابق – ص ٤٠٦.

ـ ومن المصطلحات القريبة من الذات: **وعى ذاتي (Self- consciousness)**: وجود اتجاهات اجتماعية معينة عند شخص نحو ذاته، في الوقت الذي ينظر إليها في الحدود التي يتوقعها الآخرين، انه اعتراف بالذات ينجم عن أحساس واقعي بتقييم الآخرين. **ضبط ذاتي (self- control)** : ضبط اجتماعي مستدمج، اي امتثال للمعايير الاجتماعية ومسايرة لها، وأيضا يعنى تنظيم الشخص لسلوكه ومسايريه للصور السلوكية التي ينظر إليها على أنها ملائمة ومرغوبة لتحقيق بعض المثل أو الأهداف المتصلة به شخصياً أو بجماعته الاجتماعية. **تقدير ذاتي (self- Esteem)**: تقييم الشخص لنفسه في حدود طريقة إدراكه لأراء الآخرين فيه.

الرأي في وجود أثنين من التنظيمات السلوكية المستقلة في السلوك البشرى، **أولهما** التنظيم المعرفي الذي يرتبط بالذكاء والقـدرات العقليـة. **وثانيهمـا** التنظيم الوجداني أو الشخصية والجوانـب الانفعاليـة المتعلقـة بـالمواقف الاجتماعية والتكيف معهـا[1]. ولكن هـذا الفصل ليس له ما يبرره، فـإن التنظيمين متداخلان والذكاء وحسن التصرف يمكن أن يتداخلا، ويؤثرا فـي الخواص الانفعالية أو الشخصية (هذا من جانب)، ومن جانـب آخـر فـإن الجوانب الانفعالية يمكن أن تؤثر في القدرات المعرفية، وفى نتـائج قيـاس الذكاء والقدرات[2].

- **الفريق الثاني فيري أن الذكاء أحد مكونات الشخصية:** مـن علمـاء هـذا الفريق (CATTELL) الذي يضع الذكاء كأحد عوامل استخباره للشخصية ذو الستة عشر عاملاً[3]. وكذلك العالم (Ma ckinnon)[4] إذ يذكر أنه من الشيق أن نبحث أسباب إهمال الذكاء في معالجتنا للشخصية، ولكنه إهمـال ليس له ما يبرره، لأن الذكاء بالتأكيد جزء متكامل ـ كالطباع والمـزاج ـ في الشخصية، وأن هذه الوظائف الثلاث واعتمادها الوظيفي على بعضـها البعض هو ما يكون الشخصية. ومن أنصار هذا الرأي أيضا(Eysenck)[5] الذي يرى أن الذكاء مستقل نسبيا عـن أبعاد الشخصية الأخـرى، ولكنـه يتفاعل معهـا جميعا بطرق معقدة ومتعددة، وقد بحث هـذه العلاقة بالنسبة

١- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – مرجع سابق – ص ٣٢.

٢- أجريت مثلا على العلاقة بين القلق والذكاء أو (الأداء العقلي) تجارب عديدة، كما أن عددا من اضطرابات الشخصية، تؤثر حتى على المدى الطويل في نسبة ذكاء الفرد ووظائفه العقلية، فيحدث تدهورا بدرجات متفاوتة.

3- cattell, R . B: personality and motivation structure and measurement , New York : World Book company, 1957, p-p. 895 – 901

4- Mackinnon ,D.W.The structure of personality, in: Hunt, j .Mcv (Ed) personality and the behavior disorder, vol. I, New York : Ronald ,1944 , p.10.

5-Eysenck, h .J. classification and the problem of diagnosis, in: Eysenck, H. J (Ed.) Handbook of abnormal psychology, New York: Basic Books, 1960"b" ,p.12.

لبعد هام في الشخصية هو الانبساط / الانطواء[1]. ويؤيد (Vernon)[2] هذا الرأي إذ يرى أن الذكاء العام يتداخل إلى حد ما مع الطباع، ومع الجوانب الوجدانية للشخصية. ويوصي (Allport)[3] بأن نضمن الذكاء في المواد الخام التي تتكون منها الشخصية، لأن الذكاء في أحد جوانبه مرتبطا تماماً بالجهاز العصبي المركزى، والأخير هبة فطرية كالجهاز العصبي الغدي، الذي هو أساس بنية الجسم والمزاج، ومن المؤكد أن ثمة تفاعلاً بين الذكاء والشخصية ولكن لا يوجد نمط موحد لهذا التفاعل.

وعلى الرغم من أن الرأي الغالب هو وجود أنواع من العلاقات بين الذكاء والشخصية[4]، إلا أن كثيرا من المؤلفين عندما يعالجون الشخصية بمنظور ضيق ومتخصص، فإما أنهم يغفلون القطاع المعرفي {الذكاء}، وإما أنهم يعالجونه بإيجاز إذ يوجهون جل اهتمامهم للقطاعات الوجدانية، رغم افتراضهم الضمني وجود علاقات وثيقة بين الذكاء والشخصية[5].

ـ الشخصية وبنية الجسم:

بنية الجسم (physique) أو الشكل الخارجي له، هو التركيب البدني

١- يذكر Eysenck أن الذكاء اللفظي لدى المنطوي أعلى منه عند المنبسط والعكس في الذكاء العملي، وان الدقة مرتفعة لدى المنطوي، بينما السرعة عند المنبسط أعلى إذ يحفل بالسرعة على حساب الدقة. ومعروف أن السرعة والدقة وجهان أو مظهران هامان للعملية العقلية كما بينت دراسات فيرنو وهما يؤثران في أختبارات الذكاء. (د/ أحمد عبد الخالق- مرجع سابق- ص ٣٢).

2- Vernon, P. E: personality tests and assessments, London: Methuen, 1953 , p-p .71 – 4.

3- Allport, G .W: op. cit., p-p .63-65.

٤- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ٣٥.

٥- في دراسة مصرية رائدة قام بها الدكتور/ أحمد زكى صالح، وعالجت موضوع (العلاقة بين القدرات العقلية والسمات المزاجية) وحللت نتائجها بواسطة التحليل العاملى، يستنتج المؤلف في حدود نطاق معطيات بحثه (بعض أنواع من العلاقة بين الصفات المعرفية والصفات الانفعالية)، ولكنه ينبه إلي عدم إمكانية التعميم من هذا البحث نظراً لطبيعة العينة وقلة الاختبارات. (دكتور/ أحمد زكى صالح – العلاقة بين القدرات العقلية والسمات المزاجية – الكتاب السنوي في علم النفس – القاهرة – سنة ١٩٥٤ – ص ١١٨).

الظاهر لجسم الإنسان ونمط العلاقات بين مختلف أعضائه، وهو يقاس كميا بدقة وتحدده معاملات متعددة. وتقسم البنية عادة إلى ثلاث هي المكتنزة والنحيلة والمتوسطة، ومشكلة علاقة بنية الجسم بالشخصية وبالاستعداد للإصابة بالاضطرابات النفسية والأمراض العقلية والعضوية مشكلة قديمة جدا، فقد بدأت دراستها منذ الطبيب اليوناني Hippocrate عام ٤٣٠ ق. م ومازالت تبحث وباستفاضة حتى اليوم[١].

- **دراسة علاقة الشخصية ببنية الجسم:** درس الطبيب النفسي الألماني أرنست كرتشمر (E. KRETSCHMER) عام ١٩٢٢ علاقة البنية بالأمراض العقلية، فوجد علاقة بين البنية المكتنزة والشخصية الدورية والأكتئاب، وبين البنية النحيلة والشخصية المنفصمة.

ويبدو أن الأدلة كما يذكر (STAGNER)[٢] تؤكد علاقة بنية الجسم بالذهان وليس بشخصية الأسوياء، أما وليم شلدون (W. SHELDON) فقد درس بنية الجسم بطريقة مبتكرة ووجد علاقة بين بنية الجسم وكل من الشخصية والمرض العقلي[٣]، ويستخلص (EYSENCK) من مسح العديد من الدراسات وجود معامل لرتباط بين كلا من البنية النحيلة والانطواء• والبنية النحيلة والعصابية[٤].

والخلاصة: أنه لا يمكن الشك في حقيقة لرتباط البنية بالشخصية، وحيث أن بنية الجسم تتحدد على أساس وراثي بالدرجة الأولى، فإن الافتراض القائل بأن وراء كل من الشخصية والبنية عامل وراثي قوى له ما يسوغه. وهناك قول للعالم (BONNER)[٥] أن البحث في هذا المجال لم يترك شكاً في وجود

١- دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ٣٥.

2- STAGNER, R: OP. CIT., P. 275.

٣- دكتور/ احمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ٣٦.

4-EYSENCK, H. J: THE STRUCTURE OF HUMAN PERSONALITY, LONDON : METHUE, 1953 B, P. 346.

5- BONNER, H: PSYCHOLOGY OF PERSONALITY, NEW YORK: RONALD 1961, P. 159.

ارتباط هام بين التركيب الجبلي والشخصية، ويجب أن يكون السؤال المطـروح للبحث هو: **ما هوحجم الارتباط وليس البحث في ماهية الإرتباط نفسه ؟**
ونضيف أن معاملات الارتباط التي استخرجت من الدراسات التي أجريت حتى الآن، لا تسمح بالتنبؤ بشخصية فرد ما أو استعداده للإصابة بمرض نفسـي، أو بخلل عقلي معين، على أساس معرفة بنية جسمه بدرجة كبيرة من الدقة[1].

[جـ] - أنماط الشخصية:

ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان بخصال كثيرة، منها هذا التنـوع الكبيـر في أنماط الشخصية، فهي تتشابه كلها دون أن تتماثل حتى نستطيع أن نقول أنه لا يوجد فردان يتماثلان تماثلاً كاملاً على مدار الأجيال، كما لا تتماثل بصمات الأصابع بين شخصين على مدار التاريخ. وهذا التعدد يمثل نعمة الله تعالى على عباده من بني البشر لأن هذا التعدد يعطى الحياة البشرية ثراء وخصوبة، ثراء يجعل الحياة أوسع بكثير وأعمق بكثير من هذه المحسوسات التي تمثل الجانـب الظاهر من الحياة فكل إنسان له عالمه الخاص، بل يقال عليه إنه نسـيج وحـده على الرغم من تشابه هذه العوالم وتقاربها[2].

ويعيش الفرد في بيئة مادية واجتماعية يؤثر فيها ويتأثر بها، وهو يكـون مع هذه البيئة وحدة متكاملة، وما أنماط سلوكه وشخصيته عامه إلا نتـاج ذلـك التفاعل الديناميكي بين عدة قوى وعوامل، بعضها يرجع إلـي تكـوين الفـرد البيولوجي وبعضها يرجع إلي مقومات مجاله السلوكي، وتعتبر شخصية الفـرد المحصلة النهائية لهذا التفاعل[3].

وعلى ذلك فالشخصية هي جملة الصفات، الجسمية والعقليـة والمزاجيـة والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره (من الناس) تميزاً واضحاً[4]،

١- دكتور/ احمد محمد عبد الخالق – المرجع السابق – ص ٣٨.
٢- راجع يوسف الاقصري – الشخصية المؤثرة – القاهـرة – دار الطائف للنشر والتوزيع – سنة ٢٠٠٠، وأيضا: الشخصية المبدعة – القاهـرة – دار الطائف للنشر والتوزيع – سنة ٢٠٠٠.
٣- دكتورة/ انتصار يونس – مرجع سابق – ٢٩٥.
٤- دكتور/ محمد شفيق–علم النفس الجنائي– مطبعة كلية الشرطة– سنة ١٩٩٨– ص ١٧٦.

وعندما نحكم على شخصيات نتعامل معها في حياتنا اليومية أحكاماً عامة، فنقول أن هذه الشخصية قوية أو جذابة أو مسيطرة، أو أن هذه الشخصية مهزوزة أو انطوائية أو سلبية، فأننا بذلك نصف هذه الشخصية التي نتعامل معها بوصف نمطي معين نلبسه للشخصية، هذا النمط هو نتيجة التعامل والاحتكاك مع هذه الشخصية. هذا وقد أختلف علماء النفس مع علماء الاجتماع حول أنماط الشخصية وبيان ذلك كما يأتي:

ـ أنماط الشخصية في نطاق علم النفس:

قسم علماء النفس الشخصية من حيث أنماطها، إلى شخصية سوية وشخصية سيكوباتية، وإلي شخصية انبساطية وانطوائية، ثم هناك أنماط أخرى من الشخصية مثل الاجتنابية والاعتمادية والنظامية وسلبية العدوان والمؤذية للذات، والاضطهادية والهستيرية والنرجسية والإندفاعية، وبيان هذه الأنماط:

[بين الشخصية السوية والشخصية السيكوباتية]:

- الشخصية السوية (*NORMAL PERSONALITY*):

كثيراً ما يتبادر إلى الأذهان سؤال هام مؤداه ما هي الشخصية السوية وما هي أهم ملامحها، أو المظاهر الدالة عليها ؟ وكيف نحكم على شخصية الإنسان بأنها شخصية سوية أو غير سوية ؟

يدل مفهوم السواء *NORMALITY* في أبسط معانيه وأكثرها موضوعية وشمولية أيضاً، على تناسب السلوك مع المواقف التي يوجد فيها الفرد، دون أن يؤدى هذا السلوك إلي صراعات داخلية أو رفض ذاتي.

ونستدل من ذلك أن السواء لا يتحقق إلا بتوافر شرطين أساسيين هما:

ـ رضا الفرد عن السلوك الذي يقوم به.

ـ أتساق هذا السلوك مع مقتضيات الواقع وقيم المجتمع الذى يوجد فية الفرد

أما عن حدود هذا السواء، فهو أمر نسبي، بمعنى أنه لا يوجد سواء تام أو مطلق، وهذا ما أتفق عليه أهل الاختصاص في علم النفس على اختلاف أنتماءتهم النظرية، وما تؤكده كذلك شواهد الواقع الذي نعيشه وقد وضع بعض

علماء النفس ـ قديماً وحديثاً ـ تصورات للشخصية السوية، متأثرين في ذلك بوجهة نظرهم العلمية، وبما يحيط بالمجتمع من ظروف مختلفة، مع أهمية ملاحظة عدم استطاعة النجاح في تنشئة الشخصية وإكسابها كل أبعاد السواء، بل أن المقصد والغاية التي ننشدها، هي أنه كلما ازددنا قرباً من أبعاد الشخصية السوية، ازددنا سواء واعتدال وبعداً عن الانحراف والاضطراب، وكلما وجدنا ذلك متحقق إلى حد كبير في شخص ما في المجتمع، كان الحكم عليه بأنه شخص سوى وبقيمته كعضو نافع في المجتمع[1].

ونخلص من ذلك إلى أن الشخصية السوية هي تلك التي نمت، نموها الطبيعي وتكاملت جميع جوانبها، فأخذت تعمل بكل طاقاتها، متخذه المسار السليم والصراط المستقيم، هذا عكس الانحراف والشذوذ، لأنهما يفسدان بنيان النفس الراسخ ويحولان طاقته إلي ضلال السبيل بعيداً عن الصراط المستقيم[2].

- الشخصية السيكوباتية(***PSYCHOPATHIC PERSONALITY***):

الشخصية السيكوباتية تفتقر إلى التكيف الحسن، وهى شخصية مضادة للمجتمع. وهى نموذج للشخصية يفتقد الطابع الأخلاقي، والاستقرار الإنفعالي والإحساس بالمسئولية تجاه الأشخاص والمعايير الاجتماعية، ولا يظهر السيكوباتي مضطرباً عقلياً بشكل واضح، بل تبدو عليه مخايل الذكاء والسواء لأول وهلة، ولذلك فإنه من العسير تحديد فئة الشخصيات التي تندرج تحت هذا النموذج بأحكام[3].

ويعرف بعض العلماء الشخصية السيكوباتية بأنها شخصية مصابة بالعته أو الخبل أو الجنون الخلقي (***MORAL IMBICILITY***)، وتبدو السيكوباتية في عدم قدرة الفرد على ضبط النفس، لضعف الضمير الخلقي أو الذات العليا

١- دكتور/ العارف بالله محمد، الدكتور/ محمد سمير عبد الفتاح - مرجع سابق - ص ٢٢٨، وأيضا: دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح - علم النفس العام - القاهرة - دار أتون للطباعة - سنة ٢٠٠١ - ص ١٥٦.

٢- دكتور/ سيد صبحي - المرجع السابق - ص٣٥.

٣- دكتور/ محمد على محمد وآخرون - المرجع السابق - ص٢٦١.

(*SUPER EGO*) وصاحبها شخص هجومي قاس وحائر، ومنطـوي علـى نفسه، يميل إلى الإنتقام والعدوان والكذب والرياء والنفاق والنصـب والاحتيـال والاستغلال والابتزاز[1].

فيما ذهب رأى في الفقه الجنائي إلى أن السيكوباتية تعنى شذوذ الشخصية أي انحراف بعض العناصر المكونة لها، مما ينعكس في النهاية على الشخصـية في مجموعها وعلى ما يصدر عن صاحبها من تصـرفات. ويـرتبط بشـذوذ الشخصية (اختلال في القيم الاجتماعية والأخلاقية) فكثير من القيم التي يلتـزم بها أسوياء الشخصية، ويبنى على أساس منها النظـام القـانوني، يقـف منهـا (السيكوباتي) موقف العداء أو عدم الاكتراث[2].

ويرى جانب آخر من العلماء أن هذا النموذج من الشخصية، ينشأ بسـبب التنشئة الاجتماعية الضحلة أو من القصور في القدرات، التي تشتمل عليها أداء الادوار[3]. وأيضا تنشأ من الحرمان ومن سؤ الرعاية والتربية، ومـن ضـعف الضمير أو التدليل. ويصعب علاج السيكوباتية حيث يعانى الشخص السيكوباتي من نقص شديد في الشعور بالذنب أو لوم الذات، وتمتاز الشخصـية بالأنانيـة المفرطة وحب الذات والطمع والجشع. وتساءل الكثير من العلماء عما إذا كانت السيكوباتية ترجع إلي سبب عضوي فيزيقي. ولذلك قاسوا الموجـات الدماغيـة لدى أصحاب هذه الشخصية ووجدوها مختلفة عن الأسوياء[4].

والسيكوباتية لا تؤدى إلـي إنخفاض الذكاء، بـل إن بعض السيكوباتيين

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – علم النفس الجنائي – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – سنة٢٠٠٣- ص ٤٨.

٢- دكتور/ محمد نجيب حسنى – علم الأجرام والعقاب – القاهرة – دار النهضة العربيـة – سـنة ١٩٨٢ – ص ٦٩.

ويضيف: لذلك يطلق على السيكوباتي اصطلاحا المجنون معنوياً (*FOU MORALEL*)، أشارة إلي أنه لا يعانى من خلل في عقلة، ولكنه يعانى من نقص في سيطرة القيم الأخلاقية على تصرفاته.

٣- دكتور/ محمد على محمد وآخرون – المرجع السابق – ص ٣٦١.

٤- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – مرجع سابق – ص٤٨.

أصحاب مستويات عليا من الذكاء[1]، ولما كان السيكوباتى محتفظا بقواه العقلية، فهو مسئول عما يصدر عنه من أفعال، ومن ثم فإن السيكوباتية لا تعد مانع للمسئولية[2]. وتنتشر السيكوباتية بين كثير من أفراد المجتمع بدرجات متفاوتة، فهناك العامل والتاجر والصانع والمعلم والمهندس، بل والطبيب والضابط والمدير السيكوباتى، ومن الصعب اكتشاف السيكوبايتين في الأشخاص العاديين إلا بعد المعاشرة الدقيقة[3]. والخلاصة أن السيكوباتية اضطراب خطير في الشخصية، يتركز في علاقة الفرد بالعالم الخارجي والبيئة المحيطة به، وهذا الإضطراب ناشئ عن قصور في النمو النفسي للانا والانا الأعلى، غالباً ما يلازم الفرد منذ نشأته فيعجزه عن الإستبصار وتمثل الخبرة والإفادة من التجربة والتعليم، ويتمشى مع السلوك الاندفاعي القائم على مبدأ اللذة البعيد كل البعد عن التوافق مع البيئة الاجتماعية(*).

١- المرجع نفسه- ص ٤٩.

• وللمزيد بشأن تحليل الشخصية السيكوباتية يراجع: (الدكتور رمسيس بهنام – الجريمة والمجرم في الواقع الكوني – الإسكندرية – منشأة المعارف – سنة ١٩٩٥ – من ص ١٨٨ إلى ص ١٩٨). حيث يوضح: الفرق بين الشخصية ذات الأتجاه العصبي السيكوباتى، والشخصية ذات الأتجاه السيكوباتى. حيث أن الأولى تنقسم إلى: أتجاه صرعى. وأتجاه نورستانى. وأتجاه هستيري. فيما تنقسم الثانية إلى: القصور في ملكتي الاستنتاج والنقد، وسرعة الانسياق وراء الفكر المتسلط وغير الطبيعية في الاعتداد بالذات، والانطواء على الداخل، والتقلب في الوضع النفسي، وقلة الاحتمال للأوضاع الثابتة.

٢- دكتور/ محمود نجيب حسنى – مرجع سابق ص ٧٠.

٣- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – المرجع السابق – ص ٤٩.

(*) وبالرغم من اختلاف العلماء حول السيكوباتية كمرض خطير من أمراض الشخصية، إلا أن هناك اتفاقا حول الخصائص والسمات الأساسية للشخصية السيكوباتية، والتي تؤدى في أغلب الأحيان وفي أغلب التصرفات إلى الوقوع في الخطأ والسلوك الاجتماعي المضاد للقانون أو الجريمة، وتتلخص أهم المظاهر الأساسية للسلوك السيكوباتى في الجوانب الآتية: • السيكوباتى بصفة عامة يحمل شخصية غير سوية غير ناضجة سيئة التوافق وأن كان كثيرا ما يعد ضمن الأسوياء.

• المستوى الذهني للسيكوباتيين غالبا ما يكون عاديا أو فوق المتوسط ونادراً ما يكون السيكوباتى على غطاء ذهني متخلف. • غالباً ما تجرى حياة السيكوباتى على مبدأ اللذة، يهتم اهتماما بالغا بالملذات الراهنة العاجلة، أي أنه اندفاعي يشعر دائما بالحاجة الملحة الشديدة إلى إرضاء دوافعه –

[بين الشخصية الانبساطية والانطوائية]:

أعطى الدكتور هانز إيزنك[1]ـ أستاذ علم النفس بجامعة لندن ـــ قيمــة خاصة، للتفرقة بين الشخصية الانطوائية والانبساطية في أبحاثة العلمية، التـــي كان يقوم بها بشأن معالجة تفسير ظاهرة الجريمة[2]، ويقول في هذا الشأن: (أفضل أن أتناول مفهوم الانبساطية والانطوائية وأن أقدم وصفاً موجزاً لهمــا، وليس من المفروض طبعاً أن يكون كل إنسان انطوائياً أو انبساطياً، أو أن يكون الناس على هذا القدر من التطرف الذي يفترضه هذا الوصف أو ســواه. وبعـــد الانبساط / الانطواء يمتد من طرف قصي إلى طرف قصي أخر، ماراً بمنطقــة وسطى يكون الناس فيها لا هذا ولا ذاك)[3].

- الشخصية الانبساطية (*EXTRAVERL*):

الانبساطي النموذجي شخص اجتماعي، يحب الحفلات وله أصدقاء عديدين،

- ورغباته على نحو عاجل سريع، ولا يقيم وزنا للقيم البعيدة الأجل، وإن كان يعرف أن سلوكه هذا سيؤدى إلى هدم صحته وعمله وروابطه الأسرية والإجتماعية ويعرضه للعقاب من القانون والمجتمع.
* أن سلوك السيكوباتى عامة يفصح عن أنه لم يستفيد من التعلم والخبرة أو التجربة السابقة ســواء بالنسبة له أو بالنسبة لغيره من الناس فهو عاجز عن إدراك ما للواقع وما للبيئة الإجتماعية من حدود وقواعد وقيود، لأنه لا يعرف سوى الإشباع السريع لرغباته. *ومن الناحية الانفعالية يتسم السيكوباتى بفجاجة الانفعال، وهى سمة انفعالية طفلية، تتفق مع سلوك الطفل، وفق مبدأ اللذة بغض النظر عــن قيود المنطق أو الزمن أو الأخلاق أو المعايير الاجتماعية. *ومن أبرز ملامح السيكوباتية أيضا أنها لا تتأثر بوسائل العقاب أو الردع المعروفة، التي تقوم على معاملاته معاملة المجرمين العادين. لذلك فإن توقيع العقوبات الانتقامية التقليدية على السيكوباتى، أمر أثبتت التجربة فشله في تقويم شخصياته.

١- الأستاذ الدكتور EYSENCK. H. J. كان أيضاً مدير القسم السيكولوجي بمعهد الطب النفسي (مستشفيات مورسلى وبثلام الملكية) في فترة السبعينات من القرن الماضي ١٩٧٩.

٢- يراجع في ذلك:

-EYSENCK, H. J. CRIME AND PERSONALITY, LONDON: ROUT LEDGE AND KEGANPAUL, 1964.

- EYSENCK, H. J FACT AND FICTION IN PSYCHOLOGY, LONDON: ROUTLEDGE AND KEGAN, 1965.

٣- دكتور/ رءوف عبيد – أصول علم الأجرام والعقاب – القاهرة – دار الفكر العربي– الطبعـــة الخامسة – سنة ١٩٨١ – ص ٢٧٤.

ويحتاج إلى الناس ليتبادل معهم الحديث، ولا يحب القراءة أو الدراسة بنفسه، وهو تواق إلى الإثارة، يغتنم الفرص، ويميل إلى التصدي للأمور، ويتصرف طبقاً لوحي اللحظة الراهنة.

والانبساطي بشكل عام إنسان مندفع مولع بالدعابات العلمية، ولدية إجابة حاضرة على الدوام، ويحب التغير عموماً، ولا يبال ومتفائل ويحب الضحك والمرح. وهو يفضل على الدوام أن يتحرك ولن يفعل شيئاً ما، ويميل إلى العدوانية ويفقد أعصابة بسرعة. وعلى العموم فإن مشاعره ليست تحت سيطرة محكمة، كما أنه ليس من الأشخاص الذين يمكن الاعتماد عليهم دائماً[1].

• الشخصية الانطوائية (*introvert*):

الانطوائى النموذجي شخص هادىء[2]، ومن النوع الانعزالي المستبطن، المولع بالكتب أكثر من الناس، وهو متحفظ ومترفع إلا مع الأصدقاء المقربين، ويميل إلى أن يخطط إلى المستقبل، وأن ينظر قبل أن يخطو ولا يثق في الانطباع الوقتي، ولا يحب الإثارة ويأخذ أمور الحياة اليومية بالجدية الواجبة، ويحب طريقة الحياة المنظمة ويتحكم في مشاعره تحكماً وثيقاً، ونادراً ما يتصرف بطريقة عدوانية ولا يفقد أعصابه بسهوله ويمكن أن يعتمد عليه، وهو متشائم إلى حد ما، ويقيم وزناً كبيراً للمقاييس الأخلاقية[3].

ويختلف الانبساطيون والانطوئيون أيضاً فيما يتعلق باتجاهاتهم، وعلى الأخص في المجالات الإجتماعية والسياسية. فالانبساطيين يميلون إلى الاتجاهات

١- المرجع نفسه – ص ٢٧٥.

٢- الانطوائي غير اجتماعي (schizoid) بعض الشيء لا يحب الاختلاط بالناس، خجول جداً قريب من سمات الشخصية الاجتماعية مع فارق أن الاجتنابي يبتعد عن الناس لأنه يخشاهم بينما الإنطوائى يبتعد عنهم لأنه لا يردهم. (دكتور/ محمد شفيق – مرجع سابق – ص ١٨٠).

• والمنطوي نموذج للشخصية (عرض له كارل يونج Carl. G. yung)، ويتميز صاحبه بميل إلي الانشغال بذاته، وبأفكاره الخاصة وتجاربة الداخلية أكثر من الاهتمام بغير من الناس، ويميل المنتطوى إلى الهروب من التفاعل العاطفي والاجتماعى مع الآخرين. (دكتور/ محمد على محمد – مرجع سابق – ص ٢٥٥).

٣- دكتور/ رءوف عبد – المرجع السابق – ص ٢٧٦.

المتشددة، بينما الانطوائيين أكثر ميلاً إلى الاتجاهات الرقيقة وإذا ما كانوا من المحافظين يميلون إلي الاتجاهات والمعتقدات الدينية[1].

أما لدى الراديكاليون[2]، فإننا نجد الانطوائي يميل إلى الأساليب السلمية، بينما يميل الانبساطي إلي الاعتقاد بمبدأ الزواج القائم على التفاهم وإلي تبسيط قوانين الطلاق، ويعتقد أن المغالاة في الطقوس موضة قديمة. وعندما يتطرفون نجد الانبساطي المتطرف المحافظ يميل إلي الإيمان بالمعتقدات الفاشية، بينما يؤمن الانطوائى المتطرف الراديكالي بالشيوعية[3]. وهكذا نرى أن الاختلاف بين هذه الأنماط من الشخصية واقعية تماما وتشمل عدداً كبيراً من المجالات المختلفة[4].

١- في هذا الشأن يحيل (Eysenck , H . j) القاريء إلى مؤلفه بعنوان:

-Eysenck, H.J. sense and nonsense in psychology, Middlesex: penguin , 1958.

٢- (Radical): يعنى جذر. أصل. أصلى. أساسي. خلقي. كلي. تام. متطرف. (Radically): يعنى أصلا. أساسا. جوهريا.

ELIAS' POCKET DICTIONARY, English – Arabic. in one volume , by : Elias A . Elias, Edward E . Elias . Cairo. P.

• الراديكالية (Radicalism): - تشير الراديكالية إلى الفكر الأجتماعى والسياسي والسلوك العملي المرتبط به، الذي يطالب بضرورة إحداث تغيرات جذرية ومباشرة في النظم القائمة.

- ويستخدم هذا المصطلح عادة في وصف الفكر السياسي اليساري سواء كان ماركسياً أو غير ماركسي. أما الأحرار أو الليبراليون فهم أولئك الذين يقمون بالتغيرات البطيئة، ويكون المحافظون من يقاومون التغير. وقد أستخدم مصطلح الراديكالية لأول مرة في بريطانيا لوصف بعض التيارات السياسية والفلسفية، تماماً كما يستخدم الآن. دكتور/ محمد على محمد – المرجع السابق – ص ٣٧٠

٣- يلاحظ أن للتحليل المتعمق في كلاً من الشخصية الانطوائية والانبساطية سببه أن الأبحاث العلمية التي قام بها D . EYSENCK قد أستشهد فيها بنتائج أبحاث شلدون والزوجين جلوك في الولايات المتحدة، وجيبنز GIBBENS في انجلترا على وجود علاقة من النوع الذي يتنبأ به بشأن التفرقة بين نوعى الشخصية الانطوائية والانبساطية والقيم الخاصة لهذة التفرقة.

٤- دكتور/ رءوف عبيد – المرجع السابق – ص ٢٧٦.

• ويضيف: لقد قصدت أن أقول أنه ليس من الضروري بالطبع أن يكون هذان البعدان هما وحدهما اللذين يمكن وصف الشخصية بهما، أو أن الشخصية يمكن أن تحلل في نطاقيهما فقط. فمن المحتمل أن هناك أبعادا كثيرة غيرهما، ولكن هذين البعدين هما الوحيدان اللذان وجدهما الباحثين مراراً وتكراراً أثناء استخدامهم طرقاً عديدة ومختلفة، ومن الممكن الاتفاق على أن هذين البعدين هما أكثر الأبعاد أهمية في وصف السلوك والتصرف الإنساني.

- بعض الأنماط الأخرى للشخصية[1]:

- الشخصية الإجتنابية (*AVOIDANT*):

شخص يميل لإجتناب الآخرين خوفاً من رفضهم أياه وخشـية مـنهم[2]، ورغم أنه في داخله يتمنى تكوين علاقات مع الأفراد، إلا أنه غالباً ما يفشل في ذلك، وتجده كثيراً ما يشكو مـن فشله فـي تكوين علاقات طيبة مـع النـاس، أو زيادة رقعة المقربين إليه والذين في العادة يكونوا محـدودين للغايـة، وهـو يفضل دائماً العزلة والإنفراد بذاته، وتحدث له غالباً أعراض قلق مع الآخـرين. وعلى مستوى العمل ينصح بعدم توليه وظائف، تحتم عليه التعامل المستمر مـع عدد كبير من الأفراد[3].

- الشخصية التسلطية (*AUTHORITARIAN*):

نمط من الشخصية يتميز بالامتثال المتطرف، والصراحة وكبح المشـاعر العاطفية والإذعان للسلطة، والشعور بالكبرياء نحو من هم أدنى، ويعبـر هـذا النمط عـن شخصية قلقة، تبحث عن الأمـن في استعلاء والتمسك بالمعتقدات السلالية. والشخصية التسلطية نمط مثالي أو مجرد، أمـا الشخصـية الواقعيـة فتمثل مركبات من عناصر متعددة يشملها هذا النمط المثالي[4].

- الشخصية الإعتمادية (*DEPENDENT*):

هي شخصية دائمة الاعتماد على الآخرين ولا تسطيع تحمل المسـئولية، وليس لها القدرة على اتخاذ القرار، والشخص الاعتمادي دائما يفضل أن يكـون تابعاً لغيره، وإذا فقد مـن يعتمد عليه أصابه قلق شديد وتوتر بالغ، ولا يستطيع التصرف بوجه عام. وعلـى مستوى العمل ينصح بعـدم توليه مناصب قيادية

١- أنظر بشأن المزيد من أنماط الشخصية: هـ. ج. إيزنك، سيبل. إيزنك - أسـتخبار إيزنـك للشخصية - دليل تعليمات الصيغة العربية (للأطفال الراشدين) - تعريب وأعداد دكتـور/ أحمـد محمد عبد الخالق - الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية - سنة ١٩٩١.

٢- *AVOIDANCE*: مصطلح يشير إلى درجات التحاشي، ويلتزم به فئة من المجتمع. (دكتـور/ محمد على محمد وآخرون - مرجع سابق - ص ٣٤).

٣- دكتور/ محمد شفيق - مرجع سابق - ص ١٧٨.

٤- دكتور/ محمد على محمد وآخرون - المرجع السابق - ص٣١.

لفشله في القيادة، والسيطرة واتخاذ القرار وتحمل المسئولية[1].

- **الشخصية النظامية ــ الوسواسة (*COMPULSIVE*):**

نمط شخصي مبالغ في دقته، وروتيني في عمله وهو غير مرن، ويصعب عليه تغير رأيه واتجاهاته، وهو صلب الرأي عنيد ويصعب أقناعه، كما أنه يتردد في اتخاذ القرار لأنه موسوس (سيء الظن)، يحتاج إلي وقت طويل حتى يظهر له رأى محدد، وهو لا يستطيع أن يقبل أي شخص مخالف له في الرأي، وهو محب للنظام والروتين أكثر من اللازم، ويهتم بطقوس معينة في حياته اليومية، كما أنه دقيق جداً في مواعيده وملتزم جداً في أعماله، ومنظم أكثر من اللازم، ولا يطيق رؤية أشياء غير مرتبة.

والشخصية النظامية عرضه أكثر للأكتئاب، لأنه غير مرن ولا يستطيع أن يقبل المختلفين معه، وهو يؤدى أعماله برتابه وتكرارية في زمن طويل[2]. وعلي مستوى العمل يصلح في المجال التنفيذي الدقيق، وهو يحافظ علي مستوى النظام والأمن ودقة الأداء، وهو ملتزم جداً ولكنه لا يصلح في مجالات التخطيط والإبداع[3].

- **الشخصية سلبية العدوان (*PASSIVE AGGRESSIVE*):**

يميل صاحبها للتسويف والتأجيل، لا يعترض ولكن يهرب بالتأجيل، كسول في العمل ولا ينفذ ما يوكل إليه، تتراكم عليه واجباته باستمرار، ولا يؤدى عمله في توقيته، كثير الشكوى ويستشعر بظلم وهمي، يسعى لتحقيق عدم الاستقرار لمن حوله، ويشجعهم على دفع ما تعرضوا له من ظلم، وينسحب دائماً من

١- دكتور/ محمد شفيق – المرجع السابق – ص ١٧٨.

٢- قريب من الوسوسة الإكراه النفسي *COMPULSION* وهو استجابة سيكولوجية للقلق، حيث يشعر الفرد بأنه مجبر على أداء فعل لا معقول، أو مجموعة أفعال لا يرضى عنها. وقد يكون الفاعل متفهماً لفعله، ومصراً على أن هذا الفعل ضرورياً، أو يكون معترفاً بخطورة هذا الفعل ولكنه غير قادر على تعديل سلوكه هذا. (دكتور/ محمد على محمد – المرجع السابق – ص ٧٩).

• وقد يأخذ الاضطراب النفسي للوسوسة شكل الأفعال القهرية الشاذة، كالإسراف في غسيل الأيدي بدون مبرر أو بدون سبب ظاهر، أو ترديد كلمات أو عبارات معينة غير مناسبة للمقام.

٣- دكتور/ محمد شفيق – المرجع السابق – ص ١٧٩.

المواقف، ولا يتحمل مسئولية أو تحدى مراوغ في إجاباته، وعلى مستوى العمل لا يعتمد عليه ولا يركن إليه. بينما (*AGGRESSIONTION*) الشخصية العدوانية، هي التي تمارس القوة على الآخرين والسيطرة عليهم(١).

- **الشخصية المؤذية للذات (*SELF DELEATING*):**

يحب التضحية دائماً ويعمل الخير للجميع ويعاون الناس، ويؤدى الخدمات على حساب نفسه، ويحب أن يلعب دور الشهيد رغم أنه غير مطلوب منه ذلك، غير مؤذى ويقسو على نفسه وقد يحرمها أو يعذبها، ويضع نفسه في مواقف صعبة على نفسه، وهو ما يشكل عبئاً على ذاته، قد يهتم بالآخرين ويفضلهم على ذاته وذويه(٢)، وهو عاطفي يسهل جرح مشاعره، وله كبرياء واضح(٣).

وعلى مستوى العمل يمكن أن يستغل تفضيله للصالح العام وحبه لخير الآخرين، وهذه الشخصية تصلح للعمل في المجالات الإنسانية. وعلى العكس من الشخصية المؤذية لذاتها (الماسوكية) نجد الشخصية السادية ***SADISTIC*** وهى التي تتلذذ بتعذيب وإيلام الآخرين.

- **الشخصية الاضطهادية (*PARANOIAC*):**

لا يثق في الآخرين شكاك وغيور جداً، لا يحب الصداقات الخاصة والعائلية ويسعى لعزل أسرته عن الآخرين، وهو نموذج متشدد يسئ الظن ولا يثق في أقرب الناس إليه، ويعتقد بخيانة كثير من الناس له، يحب العمل بمفرده وبمعزل عن الآخرين، ولا ينجح في التعامل مع الناس.

وعلى مستوى العمل لا ينجح في التعاون مع الآخرين والعمل ضمن فريق، ويفضل أن يوكل له عمل منفرد يقوم بأدائه منعزلاً، وهو يؤتمن على الأسرار

١- دكتور/ محمد على محمد وآخرون – المرجع السابق – ص ٢٠.

٢- دكتور/ محمد شفيق – المرجع السابق – ص ١٧٩.

٣- نجد أن مقابل هذا النمط من الشخصية: الشخصية التي تضبط ذاتها ***SELF- CONTROL*** وهى التي تمارس ضبطاً اجتماعيا مستدمج، أي امتثال للمعايير الاجتماعية ومسايرتها، وذلك يعني تنظيم الشخص لسلوكه ومسايرته للصور السلوكية التي ينظر إليها على أنها ملائمة ومرغوبة لتحقيق بعض المثل أو الأهداف المتصلة للشخصية أو بالمجتمع. (دكتور/ محمد على محمد وآخرون – المرجع السابق – ص ٤٠٦).

ولا يبوح بها أبداً من فرط شكه فيمن سواه[١].

- **الشخصية النرجسية (*NARCISSISTIC*):**

هي شخصية محبة للذات، والشخص النرجسي أناني يسعى لتحقيق أهدافه الخاصة في المقام الأول، ويغلب الصالح الشخصي دائماً على الصالح العام، يحب الشعور بالأهمية وبأنه شخصية مرموقة، يسعى دائماً لتعظيم ذاته، يدعى صلته بالمرعوسين وبأنه عالم ببواطن الأمور، كثير التفاخر بالماضي والحاضر ويدعى بعض صفات النبل والشرف والتميز ثم يعتقد ذلك، ثرثار ويحب الظهور بمظهر الخبير العالم. في مجال العمل لا يؤتمن على سر. (قريب من سمات الشخصية الهستيرية)[٢].

- **الشخصية الهستيرية (*HISTRIONIC*):**

هي أكثر وضوحاً في النساء. وهى شخصية تحب الظهور وجذب انتباه الآخرين وبخاصة الجنس الأخر، تتصف بسرعة الانفعال وتقلب المزاج والعاطفية القوية المتغيرة، يسهل التأثير عليها بالإيحاء، وهى شديدة الحساسية يسهل جرح كبريائها، تتبنى دائماً اتجاهات نصح وإرشاد الآخرين، وهى شخصية غير متزنة انفعالية لها رد فعل أشد مما يتطلبه الموقف، يراها الآخرون بأنها مندفعة ذات مشاعر، ومشاعرها غير دقيقة وأنها تميل إلى جذب الأضواء والآخرين، وتتأرجح في مزاجها من المرح إلى الاكتئاب والعكس وبسرعة ودون أسباب واضحة أو تبريرات قوية. وفى مجال العمل هي مغمورة بالخطابة والتعبير، وتسعى للإطراء والشهرة وتحب المديح وتسعى إليه[٣].

- **الشخصية الاندفاعية (*BAREDALIE*):**

الشخص الاندفاعي مندفع جدا، يعمل قبل التفكير وهو سريع وكثير الندم

١- دكتور/ محمد شفيق – المرجع السابق – ص ١٨٠. ويلاحظ أن: جنون العظمة (جنون الارتياب) PARANOIA هو عصاب يتميز بوهم مستمر ومنتظم يسوده الإحساس المرضى بالاضطهاد أو بالعظمة. (يراجع دكتور/ محمد على محمد – المرجع السابق – ص ٣١٦).

٢- دكتور/ محمد شفيق – المرجع السابق – ص ١٨١.

٣- نفس المكان.

على أفعاله، يسبب توترا وشقاقا ومنازعات مستمرة للغير، لا يملك نفسه عند الغضب، دائم المشاكل في أي عمل يوكل إليه، يميل لإيذاء نفسه كجزء من الاندفاع، له ميول انتحارية وغير متزن انفعاليا، رد فعله دائما سريعا ومن السهل إثارته، نادرا ما يعيش في هدوء حتى مع المقربين إليه ومع زملائه أو جيرانه، كثيراً ما يخالف الآخرين في الرأي، وهو شخص عاطفي متوتر دائما ويخشى من رعونته، وكثيراً ما يجلب المشاكل على نفسه وذويه وعمله. وعلى مستوى العمل يجب متابعته الدائمة، وتحجيم أنشطته الاندفاعية وكبح جماحه[1].

- الشخصية فصامية النمط (*Schizotypal*):

الشخص الفصامي غريب التفكير ويؤمن بالحسد والغيب، يعتقد أن له قدرات خاصة وخارقة، يؤمن بالخرافات وهو واسع الخيال، شخصية الفصامي تعد من أنماط الشخصية المرضية وتحتاج إلى العلاج. وعلي مستوى العمل لا يجب الاعتماد عليها والسعي الدائم لعلاجها.

والفصام مرض يصيب الشخصية ويختل فيه الجانب الانفعالي على وجه الخصوص، ويكون الفصامي في حالة تبلد في معظم الأوقات، ويعيش بعيدا عن عالم الواقع، وكثيرا ما يسمع أو يرى أشياء لا وجود لها في الواقع وهي ما يسمى بالهلاوس السمعية أو البصرية، كما أنه كثيراً ما يعتقد معتقدات لا أساس لها من الصحة. وعدم التوافق بين تفكير الشخص الفصامي وانفعاله أو أرادته وأفعاله هو احد ما يتميز به، فكثيراً ما ينفعل دون مناسبة، أو يقابل موقفاً مثيراً ببرود شديد(*).

ـ أنماط الشخصية في الدراسات الاجتماعية:

كما سبق وأوضحنا فان هناك أنماط عديدة للشخصية، فمثلاً علماء النفس تحدثوا عن الشخصية السوية وغير السوية (السيكوباتية)، والشخصية المنبسطة

١- المرجع نفسه – ص ١٨٢.

(*) انفصام الشخصية *(schizo phrenia)*: عُصاب (مرض نفسي) وظيفي، يتميز بالعجز المستمر عن القيام باستجابات انفعالية ملائمة ويفقدان الاتصال بعالم الواقع، وبوجود الهلوسات، وبمنطق فردى يتميز بردود الأفعال العقلية غير الملائمة.(دكتور/ محمد على محمد – المرجع السابق– ص ٤٠٠).

والشخصية المنطوية، أو الشخصية المتعاونة والشخصية الأنانية.. إلى غير ذلك من الأنماط، غير أن الدراسات السسيولوجية فرقت بين أنواع من الشخصيات، منها الشخصية الاجتماعية والشخصية القومية والشخصية العالمية، والشخصية التنظيمية والشخصية السياسية، كما عرضت الدراسات لأنماط من الشخصية، التي تأثرت بدافع من الأفكار الضاغطة، أو عوامل ثقافية واجتماعية معينة.

- **الشخصية الاجتماعية (*Social*) :**

الشخصية الاجتماعية هي المنطقة التي تتمركز فيها، التماثلات القومية الداخلية وتظهر الفروق بين الشعوب، ومن ثم يمكن أن نقول أن لها علاقة وثيقة مع الثقافة السائدة، أو البناء الاجتماعي والطبقي والمهني للمجتمع[1].

ويرجع مفهوم الشخصية الاجتماعية إلى فروم (***From***)، الذي تحدث عن طابع الشخصية الشائع عند كل أعضاء المجتمع، كما تحدث عن البناء الحافز والاتجاهات اللبيدية واللاشعورية عند أعضاء الجماعة. وتحدث أيضا عن شخصية المجتمع وبين أن المجتمع عامل هام في تكوين الشخصية الاجتماعية، وأن الشخصية الاجتماعية في المجتمع البدائي تتميز عن نظيرتها في المجتمع الإقطاعي أو الرأسمالي. كما يتفاوت بناء الشخصية الاجتماعية في المجتمع الحرفي عن المجتمع الزارعي عن المجتمع الصناعي، كما تختلف الشخصية الاجتماعية في المجتمع الديموقراطي عن المجتمع اللاديموقراطي،

١- الاجتماعي: مصطلح يطلق بمعناه العام على الكائنات الإنسانية، ويشير إلى أي سلوك أو اتجاه يتأثر بالخبرة الحاضرة أو الماضية سلوك أشخاص آخرين، أو السلوك الذي يتجه نحو الآخرين، ويربط بعض الدارسين بين مصطلحي الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي، وهناك نوع من الخلط بين الاجتماعي والثقافي، فقد يعرف الاجتماعي تعريفاً عاماً بحيث يصبح ما هو ثقافي مجرد فئة فرعية مما هو لجتماعي، بينما ينظر إلي مصطلح ثقافي على أنه اشمل من الاجتماعي، ويميل أصحاب هذا الاتجاه إلى التفرقة بين المصطلحين علي أساس أن الاجتماعي يتضمن بالضرورة تفاعلاً، بينما الثقافي يشير إلى النواحي المعيارية والمعرفية للسلوك أكثر من التفاعل، وأحيانا يستخدم مصطلح الاجتماعي لكي يعنى بعض الاعتبارات الأخلاقية. يراجع في ذلك: (دكتور/ محمد علـى محمد- المرجع نفسه- ص ٤١٠).

وفى المجتمع الرأسمالي عن المجتمع اللارأسمالي[1].

ودراسة الشخصية الاجتماعية تتطلب وصف السمات والأشكال السلوكية والأفكار والنسق الاقتصادي وتحليل العوامل الأساسية التي تتخذ شكلاً بنائياً، وتُكون شخصية الفرد وتدفعه إلي الشعور والتفكير في اتجاه معين وفي أشياء معينة، والشخصية الشائعة في الجماعة كلها هي الشخصية الاجتماعية، ويمكن أن ندرس وظيفتها ومن ثم يمكن أن ندرس شخصية الفلاح والعامل، وشخصية المدرس وشخصية ضابط الشرطة، والصلة بين الجماعات الاجتماعية، ولا نتغلغل في القوى النفسية التي تتحرك وتدعم الاتجاهات وسمات السلوك.

ويستند مفهوم الشخصية الاجتماعية، إلي فكرة أن بناء الشخصية بناء مشترك، عند اغلب أعضاء الجماعة أو أعضاء الطبقات المختلفة في مجتمع معين، وهذا البناء الشائع المشترك هو ما اسماه **(From)** بالشخصية الاجتماعية ولا يدل مفهوم الشخصية الاجتماعية على شخصية فرد بعينه ولا يشير إلي بناء شخصية فرد معين، بل أن هذا المفهوم يدل على طابع هام للشخصية أي مجتمعية متكاملة من سمات الشخصية التي تظهر نتيجة التوفيق مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة فى هذه الجماعة[2].

- **الشخصية القومية:**

هناك تعريفات عدة للشخصية القومية منها: (أن الشخصية القومية نمط تنظيم *Ideal Organization*). وهذا التعريف أكثر شيوعاً بين علماء السياسة، وتعكس الشخصية القومية النظم القومية السائدة أو الشائعة أو الممثلة، وخاصة تلك التي تهتم بالسياسة والاقتصاد.

غير أن هناك تعريفاً آخر هو أن: الشخصية القومية **{موضع ثقافي}**. وهذا التعريف يعطى تأكيداً أساسيا إلي الأسرة والصداقة والمجتمع المحلى، والقيم والاتجاهات والفلسفة والدين، مُغفلاً للنظم السياسية والاقتصادية..............

١- دكتور/ على عبد الرازق الحلبي – مرجع سابق – ص ٣٥٦.

٢- المرجع نفسه – ٣٥٧.

كما تُعرف الشخصية القومية (سلوك ***Behavior***)، حيث يعطي هذا المدخل تأكيداً للسلوك ونتائجه مع الاهتمام بصفة خاصة بالتأثير السياسي والاقتصادي، وترى هذه النظرة أن الأنماط التنظيمية الرسمية والمعايير الشائعة ليست بالأدلة التي يوثق فيها لفهم الشخصية القومية.

وأيضا تعرف الشخصية القومية بأنها مُركب توفيقي، حيث يعطى هذا التعريف تأكيداً على المظاهر المختلفة للمجتمع والثقافية، بما في ذلك الأنماط التنظيمية والأفكار والسلوك باعتبارها تعبيرات لحقيقة أساسية تحكم العلاقات الشخصية في كل ثقافة. ثم نجد التعريف القائل بأن الشخصية القومية هي تعبير عن نفسية الشعوب وهذا المدخل يرتبط بالسلالات. ولكن هناك اتفاقا عاماً على أن الخصائص البيولوجية عند السكان القوميين، لا تأثير لها على تشكيل النظم الثقافية وسلوك السكان(١).

وبالإضافة إلى الشخصية الاجتماعية والشخصية القومية، يوجد أنماط أخرى للشخصية من وجهة علماء الاجتماع، من هذه الأنماط:

- **الشخصية العالمية (*Cosmopolitan*) :**

هي لشخص يعتبر إحساسه بالاستغراق والتوحد موجها أساسا نحو عالم اجتماعي كبير، يخرج عن النطاق المجرد لمجتمعه المحلي. فصاحب المهنة الفنية العليا (مثلاً) يعتبر شخصياً عالمياً، من حيث أنه يهتم بإنجاز عمله على مستوى ممتاز ومعترفا به قومياً وعالمياً، وهو لا يتهم نسبياً بالسياسة التنظيمية المحلية، وبهيبة الوظيفة المحلية(٢). وقد استخدم المصطلح في بداية الأمر (روبرت ميرتون R. Merto) لكي يقيم تفرقة بين الاتجاهات المحلية والانفتاح على العالم(٣).

١- المرجع نفسه – ص ٣٥٨.

٢- دكتور/ محمد على محمد – مرجع سابق – ص ٩٣.

3- R.K.Merton, Social Theory and Social Structure , Glencoe. The Free Press, 1956.

- الشخصية التنظيمية (*Organization*):

هي نمط الشخص المتخصص في مهنة فنية عليا، يكرس طاقاته للإنجازات والأهداف والمعايير، التي يحددها القادة المسيطرون على التنظيم الرسمي الذي يعمل به. والشخصية التنظيمية هي لشخص يتميز بالولاء وبالامتثال ولا يبالغ في الاهتمام بالفردية أو التجديد أو الأصالة، ولا يهتم بمصالح وأهداف أخرى أكثر من تلك التي يحددها التنظيم، كما أنه يتميز باتجاهه نحو التنظيم الواقعي أكثر من ميله إلى المبادئ أو المثل المجردة. وعندما يحدث صراع بين المثل المجردة ومتطلبات التنظيم واحتياجاته، فأنه يقوم بتبرير أولية المتطلبات التنظيمية[1].

- الشخصية السياسية (*Political*):

الشخصية السياسية هي الشخصية التي يتمتع بها الإنسان السياسي *Political Man*، وهي تصور يستخدمه بعض العلماء وبخاصة من يدرسون التنظيمات الرسمية، لوصف سلوك الأعضاء الذين يمارسون اتخاذ القرارات وحل المشكلات، والذين يبحثون أيضا عن مصالحهم وأهدافهم الخاصة، ويتطلعون أو يسعون باستمرار إلى القوة. وتتمتع هذه الشخصية بخاصية القيادة السياسية (*Political Leader Ship*) في المجتمع، فهي ذات سلوك يمارسه السياسي من أجل توجيه وضبط الآخرين[2].

ـ أنماط الشخصية التي تتميز ببعض العادات والقيم المختلفة:

يوجد أنماط من الشخصيات يميلوا إلى أن يحيلوا الواقع المحسوس إلى كيان خاص، يخلعون عليه لغة خاصة مبنية على مشاعرهم الذاتية.... تلك التي يترجمون من خلالها أحاسيسهم ورؤيتهم للأمور، متأثرين في ذلك بما مروا به من تجارب، لأن نظرتهم لهذا الواقع تأخذ طابعاً معيناً تحدده تجاربهم، وما قد مروا به من مواقف وموضوعات وقضايا.

١- صك هذا المصطلح (Williams . white) د/ محمد على محمد – المرجع السابق – ص ٣١٣.

٢- المرجع نفسه – ص ٣٣٤.

وقد يتوهم هؤلاء اعتماداً على نظرتهم هذه أن الموضوعات أو المواقـف، التي جعلتهم ينظرون هذه النظرة إلى الأمور فيها عناصر الضغط والقسر، التي تجعلهم لا يملكون سـوى الخضوع لما تستثيره هـذه الموضوعات من أحداث وعواطف وتكهنات..... الأمر الذي يجعل أحاسيسهم تغلف هـذه الموضوعات، فتخلع عليها وجوداً جديداً قد يجافى في الواقع ويبتعد عنه.

وواضح أن شعور الإنسان بهذه الأحاسيس، التي يستوحى مـن خلالهـا أفكاره وانطباعاته القائمة (إذا صح التعبير)، قـد يكون مرجعه إلـى أن هـذا الإنسان يحاول ربط التغيير بالعاطفة بحكم شحنتها الانفعالية التـي قـد تجـافى الحقيقة وتبتعد عن الواقع، ومن هنا لابد من التميز بين التعبير والتأثير[1].

- **الشخصية المُسعدة والشخصية المنحوسة:**

المبالغة في العاطفة والإغراق في التأثير الوجداني، الذي يصـاحبها هـو بيت القصيد لما سنعرضه من عوامل وأفكار قد تجعل الإنسان يستشعر السعادة وأنه مصدر لها وأن جميع خطواته ناجحة لأنه. إنسان (مسعد)، أو أن هناك من الأفراد ما يجعل من نفسه مصدراً (للـنحس) والفشـل، فيصـطنع المـؤثرات الانفعالية التي تجسد له أحاسيسه فيتوهم الفشل الذريع في كل خطواته، ولا يملك إزاء هذا الشعور بالقنوط والعجز وتوقع سوء العواقب.

وعند الحديث عن الشخص الذي يمكن أن يقال عنه أنه شخص مسعد أو منحوس...... ، فأنه من الأهمية تحديد ما يمكن أن يرتبط بهذا الشخص أو ذاك من سمات تدعو إلى التفاؤل أو سمات تجعله متشاءم. وإذا حاولنـا أن نوضـح البعد النفسي لاعتقاد البعض أن هناك من الأفراد من يطلـق عليـه شخصـية (مسعدة)، وهناك من نطلق عليه شخصية (منحوسة)..... فلعل هـذا الاعتقـاد مرجعه إلي مجموعة من العوامل التي تواجه الشخصية فتؤثر فيها، منها[2]:

❖ **البيئة الأسرية المحيطة بالشخصية ودور الوالدين:** يكتسب الفرد (أبناء أو

١- دكتور/ سيد صبحي – مرجع سابق – ص ٦٤.

٢- المرجع نفسه – ص ٦٦.

بنات) عن طريق المحاكاة من الوالدين أو احدهما بعض المعتقـدات، التـي تدور حول علامات (السعد) وعلامات (النحس)، أو ما يمكـن أن يسـمعوه من خلالها حول علامات الفأل الحسن والفأل السيئ (الشؤم).

- **الصدفة المكررة:** قد تتدخل بعض العوامل التي تحدثها الصدفة، فيقرن الفرد بين ما ترمز إليه هـذه الصدفة وموقف معين يحدث له. وقـد يكون الرمز حسياً أو متعلق ببعض التصرفات أو الحركات التي يخلـع عليهـا بعـض الأشخاص دلالات معينة......
- **التهويل من أمر الفكرة المتسلطة:**هناك شخصية قد تتسلط عليهـا بعـض الأفكار، فتشعر بالخوف والفزع من جراء ما سوف يحدث لهـا مـن هـذه الأفكار والخواطر. وأصحاب هذه الأفكار يستشعرون الخوف والشؤم.

ولعل هذه الأنماط تجعلنا نقرر أن الحصار الذي يفرضه الشخص على نفسه تساهم فيه بعض الأفكار، التي لا ترقي إلي مستوي الفكر المنطقي المبني علـى الشواهد العلمية السليمة والمحتكمة للواقع الفعلي.

- **الشخصية النكدية والشخصية البحبوحة:**

الشخصية النكدية: هناك من الأشخاص من يحاولون، مهما كان الموقـف مبهجاً ومسلياً ويدعو إلى التفاؤل والأمل والانشراح أن يحيلوا هذه البهجة وذلك الانشراح إلى حزن وهم وجزع، ويكون ذلك إما باختلاق المواقف المحزنة التي تثير الإحساس بعدم الانتماء إلى هذه الجماعة، أوإطلاق التهكم والتنـذير علـى مصير هؤلاء الذين أسكرتهم الغفلة، وجعلتهم يشعرون بهذا الإحسـاس المـبهج والانشراح والسعادة.

والشخصية النكدية قد يرجع منشأ سلوكها هذا إلى تدخل بعض العوامل التي يمكن بلورتها في: **الإحساس بالعجز عن مسايرة المجتمـع، والتماشـي مـع ديناميكيته والتفاعل مع اتجاهاته.**

وعندما يجد الإنسان نفسه عاجزاً عن أن يفعل شيء، فأنه تحت وطأة هـذه العجز يمتنع عن المشاركة، وعدم وجود العلاقات الاجتماعية بالنسبة إليه، وقد

يرجع ذلك إلى رواسب تربوية، ترجع إلي تنشئته الاجتماعية، وأيضا فقدان الإحساس بالحياة فيصبح كل ضحك عبارة عن بكاء وحزن، ثم ضعف الإرادة وعدم القدرة على تحمل الإحباط من الخصائص المميزة للشخصية النكدية، وتعد سبباً من الأسباب الجوهرية لتعاستها. فالسعادة الحقيقة تتمثل في التحول من السلبية إلي الايجابية، ومن القنوط إلي الأمل، ومن التراخي إلي الحيوية والنشاط والعمل[1].

الشخصية البحبوحة: تتطلع دائما من خلال سلوكياتها إلى الأمل، وأن هذا الشعور يجعلها في حالة انشراح وتفتح وصبر وتحمل لكل أنواع المعاناة، وتعيش هذه الشخصية مع خبرة الأمل علي اعتبار أن الأمل خبرة معاشة، تعنى بالضرورة أن الشخص الذي يتمتع بهذه الخبرة يتجه إلى الأمام، وأن جهده معبأ من اجل تجاوز الحاضر والإسهام الفعال في صنع مستقبل أفضل.

وتعتمد الشخصية البحبوحة في إنجازها وإنتاجها المثمر على مجموعة من الخصائص منها التقدير السليم للظروف، والتفاعل مع الآخرين بثقة ومودة، حيث تتميز بالعطاء فهي أهل للثقة، أنها شخصية تقبل على الحياة بوجه عام[2].

١- للمزيد من المعرفة بشأن سمات نمط الشخصية النكدية ونمط الشخصية البحبوحة يراجع: دكتور/ سيد صبحي (التفاؤل والتشاؤم دراسة نفسية مقارنة بين الكفيف والمبصر) – القاهرة – المركز النموذجي لرعاية وتوجيه المكفوفين- ١٩٨٤.

٢- دكتور/ سيد صبحي – الإنسان وصحته النفسية – مرجع سابق – ص ٧٣.

ثانيا ـ العوامل المؤثرة في بناء الشخصية الإنسانية:

* الشخصية بين علم النفس الإسلامي وعلم النفس الحديث:

الواقع الحقيقي مما سبق عرضه بشأن تعريف الشخصية، يوضح أن علم النفس الحديث بمدارسه المختلفة التجريبية والأكلينيكية والقياسية لم يتوصل حتى الآن، إلي تعريف نموذجي للشخصية الإنسانية، تعريفاً كافياً وشاملاً وواضحاً يمكن من خلاله معرفة الشخصية، إلا أن جميعها يناقض بعضها البعض، فهي قاصرة من جانب وعقيمة من جانب آخر، ويرجع السبب في قصور هذا التعريفات، إلي المناهج التي يصطنعها علماء النفس الحديث، ذلك أنهم يريدون أن يخضعوا الشخصية الإنسانية للمناهج الوضعية والتجريبية.

لقد تجاهل هؤلاء العلماء ونسى بعضهم أن النفس البشرية الإنسانية غير المادة، إذ توهموا خطأً أنه إذا تم لهم دراسة النفس دراسة جزئية، وذلك بتفتيتها إلى أجزاء وملاحظتها على هذا الأساس، فإن هذا يساعدهم على فهم النفس الإنسانية، إلا أن الملاحظ أن النتائج التي توصل إليها علماء النفس التجريبي لا تضيف فهم جديد للشخصية، ويدل على ذلك ما ذكره *(Eysenck)* احد كبار علماء النفس المعاصرين حيث يقول: (أن معدل شفاء العصابيين ثابت، سواء عولجوا بأساليب العلاج النفسي المعروفة أو تركوا دون علاج)(١).

والواقع أنه لا يمكن التنبؤ بتصرفات الفرد وسلوكه مهما تم وضع مقاييس دقيقة ومناهج موضوعية، ذلك لأن النفس البشرية ليس مادة جامدة إنما هي عالم له أبعاد عميقة غير مقيدة أو معينة، كما أنه من الصعوبة إخضاع النفس لأى منهج من هذه المناهج، سواء كانت علمية أو موضوعية.

إذن لابد من البحث عن فهم رشيد للشخصية الإنسانية لنستقى منه الحقائق، والمستنير بالعلم والفاهم لأصوله وحقائقه، يصل إلى أن هذا الفهم لا يوجد إلا في كتاب الله الحكيم القرآن الكريم، فإن الله جل وعلا قد عرفنا بنفوسنا أكمل معرفة، وبين لنا الطريق الحق للصحة النفسية في الدنيا وفي الآخرة.

١- دكتور/ حسن الشرقاوى – نحو منهج إسلامي – الإسكندرية – مطابع السفير – ص ٢٠٩.

إن الطريق الحق لعلاج النفس من أمراضها إنما يكمن في تخليها عن نزعاتها الشهوانية، وأوصافها المذمومة وتحليتها بالأوصاف المحمودة، ولن يتحقق ذلك إلا بالتربية السليمة والتنشئة القويمة، ووفقاً للمنهج الذي وضعه الله جل وعلا.

[أ] تكوين الشخصية الإنسانية:

هناك مجموعة من العوامل تتداخل فيما بينهما لتعطى مكونات الشخصية هي:

١- **المكونات الجسمية:** يقصد بها العوامل التي تتعلق بالنمو الجسمي العام والحالة الصحية العامة. بمعنى آخر النمو الجسمي من حيث الطول والوزن واتساق الأعضاء، وكذلك حالة الغدد وأفرازاتها، وأيضا العاهات الجسيمة أو نقص معين في أي ناحية جسمية.

٢- **المكونات العقلية (المعرفية):** ويقصد بها الوظائف العقلية العليا، كالذكاء العام والقدرات الخاصة مثل القدرة العددية والقدرة اللغوية....

٣- **المكونات الانفعالية:** وهى تتعلق بالنشاط الانفعالي والنزوعي، كالميل إلي الانطواء أو الميل إلى الانبساط، والميل إلي السيطرة أو الميل إلي الخضوع.

٤- **المكونات البيئية:** هى العوامل التي تتوقف على البيئة التي يعيش فيها الفرد

وهذه المكونات تتحدد نتيجة لتفاعل العوامل الفسيولوجية والعوامل البيئية (الاجتماعية)، ولا شك أن التغير الذي يحدث لأحدى هذه المكونات نتيجة للعوامل السابق ذكرها، يؤثر بدوره في تكوين الشخصية مما يؤكد عملية التفاعل المستمر بين تلك المكونات وتأثيرها ببعضها البعض، مما يؤكد بدوره فكرة التكامل والديناميكية بين تلك المكونات(١).

❖ **تكوين الشخصية الإنسانية تبعاً لنظرية التحليل النفسي:**

للشخصية الإنسانية قوى ثلاثة منفصلة لأن كل منها لها خصائصها ووظائفها ومكوناتها ومبادئها وميكانزماتها وديناميأتها، وغير منفصلة لأن جميعها تتفاعل مع بعضها البعض، ولا يمكن فصل القوى الثلاثة. وهذه القوى كمكونات للشخصية قسمها العالم فرويد إلي:

١- دكتور/عبد الله عبد الحي موسى- دراسات في علم النفس- القاهرة- مكتبة القاهرة الحديثة للطباعة - سنة ١٩٨٣- ص٢٩٧.

ـ الهوا (ID) ويطلق عليها أيضا الذات الدنيا أو الآنا الدنيا.

ـ الآنا (EGO) وتسمى أيضا بالذات الوسطي.

ـ الآنا الأعلى (Sup ergo) أو الذات العليا.

- **الهــوا (الآخر ـ *ID*):**

إنما هي مستقر الطاقة النفسية والبيولوجية، ويتكون **الهــوا (الآخر)** من كل ما هو موروث، أي ما هو فطرى بما ذلك الغرائز والدوافع المختلفــة الجنســية والعدوانية التي يولد الفرد مزوداً بها، وكان فرويد يعتقد أنه في الشخصية توجد منطقة غير أليفة وغير مرتادة وتشبه الحيوان في طبيعتها[١]. ويســميها فرويــد بــ{**الواقع النفسي الحقيقي**} لأنها محصلة تجربة، مقصورة على الخبرة الذاتية للعالم الداخلي وتجهل كل شيء عن العالم الواقعي،هي جانب لا شعوري عميق لا يعــرف عن الأخلاق شيئاً ولا عن القيم، والهوا يتخلص من التوترات غيــر المريحة أي المؤلمة التي تصيب الفرد بطريقة تفريقيــة مباشــرة، أي يخــوض التوتر أيا كان صوره وهذا المبدأ هو مبدأ اللذة، والهوا هو الجانب البيولــوجي للشخصية، ولكي يتغلب الهوا على الألم ويحقق اللذة، فإن هذا يتطلــب عمليــة (الفعل المنعكس) التي تؤدى إلي خفض التوتر مباشرة، كما يتطلب هــذا أيضــا (عملية أولية) وهذه تكون أكثر تعقيداً من العقل المنعكس، والعملية الأولية تزود الفرد بصورة ذهنية لموضوع يزيل التوتر، كما يحدث في الحلم الــذي يكــون غالبا محاولة لتحقيق رغبة، ولما كان الفرد لا يستطيع أن يحقق رغباته تحقيقــا حقيقياً في الحلم، فأن هذه العمليات الأولية تلزم أن يكون إلي جانبهــا عمليــات نفسية ثانوية... هنا تبدأ الآنا في الظهور[٢].

والهوا تشمل الجزء الأكبر من ذكريات الطفولة المبكرة[٣]، خاصة ما تصل

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – مرجع سابق – ص ٣١٠.

٢- دكتور/ عباس محمود عوض- مرجع سابق- ص ١٥١.

٣- يستخدم مصطلح الهوا (*ID*) فــي دراسة ديناميات الشخصية، ويعرف كمفهــوم تصــنيفي، أو كمقوله تستوعب كل صور السلوك أو الوظائف اللاشعورية غير المتميــزة، والغريزيــة والطفليــة والبدائية وغير المنطوقة، والتي لا تخضع للضبط الرشيد (العقلي). أما المقولتان الأخريان للوظائف=

منها بالدوافع المحظورة، هذا فضلاً عن الميول والصدمات الانفعالية المكبوتة وما ارتبط بها من ذكريات[1]. أنها الصورة البدائية للشخصية.

- **الآنـا (الذات الوسطي ـ *EGO*):**

الآنا: الذات كما يدركها صاحبها أي تصور الشخص لذاته. وهي مظهر الشخصية الذي يدل على درجة معينة من الوحدة والهوية، بالنسبة للفرد خلال حياته. ويستخدم هذا المصطلح أحيانا كمرادف للذات (***Self***). أما في نظرية فرويد فالآنا مظهر شعوري للشخصية، ويستمد الآنا طاقته من الهوا الذي يعتبر مصدر البواعث الغريزية، ولكنه يكبح جماح الهو، عن طريق تطبيق الأوامر الخلقية للآنا الأعلى، الذي يقوم بوظيفته كضمير تقليدي[2].

والآنا جانب من الشخصية يتكون بالتدريج من اتصال الطفل الصغير بالعالم

- أو السلوك التي تستوعب كل ديناميات الشخصية الأخرى فهما الآنا والآنا الأعلى.

• ويرتبط هذا المصطلح أساسا بنظرية التحليل النفسي، فقد زعم فرويد عند اختياره للمصطلح، أن هناك ثلاثة قوى أو (مقاطع) تكون (الجهاز النفسي) هي (الهوا والآنا والآنا الأعلى)، والهوا هو أقدم هذه القوى ويمثل المستودع الكبير لليبدو والوعاء لكل ما هو مورث أو غريزي أو ثابت في تركيب الإنسان، ولهذا فان الطفل عند الولادة هو كائن ينطبق عليه تعريف الهوا. وينبثق الآنا عن الهوا، عند فرويد وعند المحللين النفسيين التقليديين بتأثير العالم الخارجي من خلال عمليات التعلم والتنشئة الاجتماعية.

• ويتجنب اليوم كثير من الباحثين في العلوم الاجتماعية والفرويديين المحدثين في التحليل النفسي استخدام المصطلح، في حين يشيرون باستمرار إلي أنواع متعددة من السلوك كانت تعتبر عند فرويد وظائف للهوا، ويقول روتر في كتابه:

- *Rotar: Social Learning , and clinical psychology, N. Y. 1954, P.38.*

إن بعض المصطلحات مثل غريزة الحياة والهوا والطاقة النفسية، لا يمكن تعريفها بشكل مرضي لأنها لا تخضع بطريقة مباشرة للملاحظة أو القياس. (دكتور/ محمد على محمد وآخرون – المرجع السابق – ص ٢٣١).

١- دكتور/ احمد عزت راجح – دراسة سيكولوجية المجرم العائد – المجلة الجنائية القومية – المجلد الثالث – العدد الأول – مارس ١٩٦٠ – ص ٥٧.

٢- ويحمل مصطلح الآنا معنى آخر في الأنثربولوجيا – علم دراسة الإنسان– حيث يشير عند استخدامه في تحليل القرابة إلي شخص (ذكر راشد تجريدي) يتخذ نقطة مرجعية في تحديد علاقات القرابة. (دكتور/ محمد على محمد وآخرون – المرجع السابق – ص ١٣٥).

الخارجي عن طريق حواسه، فالطفل الصغير يرى اللهب جذاباً فيلمسه فيشعر بالألم، فيتعلم أن يجتنب اللهب، كذلك يتعلم عن طريق السمع أن هناك أصواتاً تنذر بالخطر فيتفادى مصدرها أو يقي نفسه منها، كذلك يتعلم عن طريق خبراته الحسية أنه لا يستطيع أن يظفر بما يريد متى أراد وكيفما أراد، وأن هناك ضروباً من السلوك تجلب له السرور وأخرى تجلب له الألم[١].

والآنا يتكون بفعل التنشئة الاجتماعية، ذلك أن حاجات الكائن الإنساني من بدايته طفلاً تتطلب طريقة مناسبة للتعامل مع العالم الخارجي، أي تتطلب تعلماً للكيفية إشباع الحاجات الفطرية للفرد دون معارضة من العالم الخارجي (العالم الواقعي) أو كف لها أو إحباط، والآنا مركز للشعور والإدراك والتفكير وتبصر للعواقب، لهذا فهو يقوم بالحد من اندفاعات الهو وتعديل سلوكه[٢].

وتعتبر الآنا كالمدير الناجح الذكي الذي يسعى إلى تحقيق بقاء الفرد متكاملاً، وذلك بالتوفيق بين مطالب الهو ـ تلك المطالب المتناقضة ـ وكذلك مطالب البيئة الواقعية، فالآنا يشبه الجهاز التنفيذي في الفرد، فهو الذي يتحكم في مطالب الهو ومطالب الذات العليا وينظم الاتصال بالعالم الخارجي[٣].

إن الآنا يخضع لمبدأ الواقع ويعمل طبقاً للعمليات الثانوية أي للتفكير الواقعي فيشبع هذا الدافع ويرجئ ذلك دون إسراف في الإشباع أو في الأرجاء، ويتميز بهذه الصفات { أنا } الراشد السوي، بينما { أنا } غير السوي كأنا الطفل يخضع لمبدأ اللذة وأيضا كأنا المرضى نفسياً وعقلياً وسيء التوفيق، وأخيرا الآنا يستمد قوته من الهو، وهدفه المحافظة على حياة الفرد والعمل على تكاثر النوع الإنساني إنه الشخصية الشعورية إنه الجانب السيكولوجي للشخصية.

- **الآنا الأعلى (*SUPEREGO*):**

يمكن النظر إليه على أنه سلطة تشريعية تنفيذية أو هو الضمير، وهذه السلطة أو هذا الضمير هو ممثل للقيم، كما تعلمها الطفل أثناء عملية التنشئة

١- دكتور/ احمد عزت راجح – المرجع السابق – ص ٥٨.

٢- دكتور/ عباس محمد عوض – مرجع سابق – ص ١٥٢.

٣- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – مرجع سابق – ص٣١١.

الاجتماعية عن طريق الثواب والعقاب، والآنا الأعلى يبدأ تكوينه من سن مبكرة لذلك فهو جانب شعوري.... هو مثالي ينزع إلى الكمال.... فالطفل لكي يحصل على الثواب ويتجنب ما ينبذه والديه، فكل ما يعاقبانه عليه يستيقظه ضميره وكل ما يرتضيانه يتوحد بآناه المثالية. فالأولي تمثل شق الآنا الأعلى والآخر يشكل الشق التالي له، ويتم ذلك عن طريق الميكانيزم أو الحيلة. فالضمير يعاقب الفرد والآنا المثالي يجعل الفرد يشعر بالفخر بنفسه، بذلك تتم عملية الضبط الذاتي ولا حاجة لعقاب أو ثواب الوالدين، أي يتم بتنشئة الآنا الأعلى[١].

إن الوظيفة الأساسية للآنا الأعلى هى السعي نحو تحقيق المبادئ الأخلاقية والكمال والتحكم في السلوك، الآنا الأعلى خُلقي ومتزمت في التمسك بالمبادئ الأخلاقية، وهو يسعى لتحقيق الكمال الخلقي أكثر من كونه واقعياً [٢]. ويتضح لنا من ذلك أن السلوك الاجتماعي السوي مرهون بشرطين:

- **أولاهما:** الآنا (ذات) مميزة وتستطيع أن تفرق بين المباح والمحظور، وبين الواقع والخيال، ذات تكون في الوقت عين قوية تقدر على كف الدوافع المحظورة، وناضجة قد ارتقت من مستوى مبدأ اللذة إلي مستوى مبدأ الواقع، وأصبحت تؤثر اللذة الآجلة على اللذة العاجلة.
- **ثانيهما:** ذات عليا احتضنت المعايير التي يقرها المجتمع، واستقلت عن سلطة الوالدين.

فإن لم يتوافر أحد هذين الشرطين أو كلاهما مال الفرد إلي الجريمة، فإن كانت العوامل التي تعطل الذات والذات العليا عن أداء وظائفها تلك عوامل دائمة الأثر أو مما يتعذر معالجتها، فالنتيجة الطبيعية أن يتكرر ارتكاب الجريمة[٣].

❖ العلاقة بين عناصر تكوين الشخصية الإنسانية:

إن الإنسان يدرك الزمان والمكان، وهو لا يعيش اللحظة التي يمر بها فقط، بل هو يعايشها وهو قادر في الآن نفسه، على استحضار الماضي وتصور

١- دكتور/ عباس محمود عوض- المرجع السابق – ص ١٥٣.

٢- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – المرجع السابق – ص ٣١١.

٣- دكتور/ احمد عزت راجح – مرجع سابق – ص ٦٠.

المستقبل، لذلك كونت الإنسانية تراثاً حضارياً يتمثل في القيم والعادات والتقاليد وأساليب السلوك، لكن الإنسان بطبيعته ينزع إلي تحقيق اللذة والتمتع بها وتجنب القيم والبعد عنه، ولكنه في ضوء التنشئة الاجتماعية يكتسب سمة الخضوع للواقع بما فيه من قيم وعادات وتقاليد وأخلاق ودين، ومن ثم فإن سلوكه يخضع لمبدأ الواقع ويسايره، رغم سعيه للذة وتجنبه للألم، لذلك فإن العلاقة بين عناصر تكوين الشخصية الإنسانية الثلاثة (الهو، الآنا، الآنا الأعلى)، هي علاقة صراع بين الهو وبين الآنا الأعلى {صراع بين الخير والشر}، ويحدث هذا الصراع في نطاق اللاشعور، ومن هنا كانت ضرورة وظيفة الآنا (الذات الوسطي) للتوفيق بين قوى الخير والشر في الإنسان.

[ب] محددات الشخصية :

عرضنا تعريفات الشخصية وآراء المختصون بشأنها، وخلصنا إلى أنه يمكن تعريف الشخصية بأنها: (**التفاعل المتكامل للخصائص الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي تميز الشخص، وتجعل منه نمط فريد في سلوكه ومكوناته النفسية**). وقد تكون هذه الخصائص شعورية محسوسة، يعيشها الفرد ويدركها مثل مظاهر سلوكه الخارجي، أو قد تكون لا شعورية غير محسوسة، مثل الذكريات والأحلام. ويختلف علماء النفس فيما بينهم حول عمومية أو خصوصية هذه الخصائص، فالبعض يؤكد على أن خصائص الشخصية مشتركة بين جميع الأفراد في حين يؤكد آخرون على تفرد الشخصية الإنسانية[1].

وهذه الخصائص التي تُكون الشخصية تؤثر فيها مجموعة من العوامل تتغير تغيراً ايجابياً أو سلبياً عند اجتماعها وتفاعلها فيما بينها. ومع أن معظم نظريات الشخصية تتفق في أن الشخصية هي نمط سلوكي متسق وثابت نسبياً، إلا أنها تختلف فيما بينها عندما تُقدم على شرح أو تفسير محددات هذا الثابت النسبي والاتساق في سلوكه. وهذه المحددات أهمها:

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – نظريات الشخصية – القاهرة – دار قباء للطباعة والنشر – سنة ١٩٨٨– ص ٢٧.

١ــ المحددات الوراثية:

تمثل الوراثة كل العوامل الداخلية التي كانت موجودة عند بداية الحياة أي عند الإخصاب، وتنتقل الوراثة إلي الفرد من والديه[١]، عن أجداده وسلالته عن طريق المورثات (الجينات)، التي تحتويها البويضة الأنثوية المخصبة ومن الحيوان المنوي الذكري بعد عملية الجماع الجنسي. وتعتبر الوراثة عاملاً هاماً يؤثر في النمو، من حيث صفاته ومظاهره ونوعه ومداه وزيادته ونقصانه، ونضجه وتصوره..... إلى أخر هذه الصفات. وهكذا تلعب الوراثة دوراً هاماً في تحديد الخصائص الجسمية للفرد، وفى تكوين الجهاز العصبى الذي يلعب بدروه دوراً هاماً في تحديد السلوك. و يرث الإنسان الاستعدادات (الخصائص الأولية) للسلوك بشكل معين، أي أن الورثة تحدد الأساس الحيوي للشخصية[٢]. ويرى أنصار الوراثة بذلك أننا لا نرث لون العينين، أو لون الشعر والبشرة والخصائص الجسمية فحسب، بل نرث أيضا الخصائص العقلية والاجتماعية والانفعالية والخُلقية[٣].

١- أن الحديث عن تأثير الوراثة Genetic في الشخصية يعود بنا إلى عصر الفلاسفة القدامى، والخلاف بينهم الذي امتد إلى قطاع كبير في مجال علم النفس (ولم يستثنى من ذلك نظريات الشخصية)، حيث يرى البعض أن الوراثة لها الدور الأساسي في تكوين الشخصية وهى الإجابة الوحيدة على سؤال: لماذا هذا الشخص طويل ؟ كما أنها نفس الإجابة على سؤال: لماذا هذا الشخص خجول ؟ وكثيراً ما تسمع أن شخصاً ما جاد الطبع كوالده، أو له نفس ميول عمه الإجرامية. وكل هذا يعكس التفسير الوراثي للخصائص الجسمية والانفعالية والاجتماعية على حد سواء. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع نفسه – ص ٢٠٨).

٢- للمزيد براجع: دكتور/ حامد زهران – الصحة النفسية والعلاج النفسي – القاهرة – عالم الكتب- سنة ١٩٧٨.

٣- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ٢٨.

* كانت لدراسات داروين ومن بعده فرنسيس جالتون دور رئيسي في كشف اثر العوامل الوراثية في السلوك، وتوالت بعد ذلك الدراسات على التوائم المتشابهة والتوائم الأخوية وشجرة العائلة والتي أكدت علىهذه العلاقة، ولذلك فأن العديد من نظريات الشخصية تقبل ثبات السلوك كما لو كانت على الأقل استجابة جزئية للعوامل الوراثية، وكل نظريات الشخصية بنيت على أساس أن هناك شئ موروث. **على سبيل المثال: الحاجات الفسيولوجية**(فرويد – سكنر – دولارد وميللر – ماسلو). **الميل لتأكيد الذات** (يونج – روجرز – ماسلو). **الاهتمامات الاجتماعية** (أدلر).

٢ـ المحددات الثقافية:

طبقاً لتلك المحددات الثقافية المؤثرة، فإن الشخصية تتكون من عــدة ادوار تلعبها، فإن لكل دور مدى من السلوك يرتبط به ويعد مقبولاً ثقافياً، وإذا انحرف المرء عــن هــذا المدى فإنه سوف يتعرض لضغوط اجتماعية من نــوع مــا. هذا بالإضافة إلي العديد من المحددات الثقافية الأخري للشخصية والتي تشــمل المستوى الاقتصادي والاجتماعي لأسرة الفــرد، وحجــم الأســرة والترتيــب الميلادي والجنس والديانة، والإقليم الذي يقيم فيه من المواطن، ثــم المســتوى التعليمي الذي حققه الوالدين..... الخ.

وطبقاً لذلك فأن الثقافة تحدد بوضوح كيف تسلك فئتين غير متماثلين مــن الناس، **الأولي** قد تنحدر من بيئة ذات مستوى غني بالخيرات، وهي تختلف عن **الثانية** التي تنحدر من مستوى فقير. وهذه الظروف التي تصادف أي شــخص فأنها بالتأكيد تولد تأثير عظيم في شخصيته(١).

وإذا كانت العلاقات الشخصية للفرد تأتى تحت فئــة المحــددات الثقافيــة والاجتماعية للشخصية، فأن نظريات (أدلر – هورني – وإيريكسون) على سبيل المثال تؤكد على أهمية علاقة الطفل الأولى مع والديه والأشخاص الآخرين ذو الصلة به في تشكيل خصائص الشخص الراشد في المستقبل، بمعنى أن علاقات الطفل الصغير مع المحيطين به تؤثر بشكل كبير ومباشر فــي رســم ملامــح شخصيته في مرحلة النضج والشباب(٢).

٣ـ المحددات الجغرافية:

يتغاضى كثير من الباحثين عن اثر العوامل والمحــددات الجغرافيــة فــي تشكيل الشخصية مع مالها من أثر في تنمية بعض السمات وأبرازها أو تعطيــل سمات أخــرى ومنعها مــن الظهور. فمــن المشاهد المعروفة أن أسلوب حياة

1- Hergenhahn, B. R: An Introduction to theories to theories of personality, prentice – Hallinc – Engle Wood cliffs . 1980.

٢- المجتمع والثقافة المميزة له ذات صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنهم من أفراد، حيث أن ثقافــة المجتمع تؤثر في طرق التفكير وفى طريقة التعبير عن الانفعالات ومدى تقبل المعــايير الأخلاقيــة كالعدل والحق والأمانة............ إلى غير ذلك، كل هذا يحدده نوع الثقافة إلى حد كبير.

الجماعة بأسرها يتأثر لكونها تعيش في الصحراء، أو في المناطق الجبلية أو في منطقة معتدلة المناخ، أو أنها تعيش في ارض قاحلة، تضطرها إلي العمل المتواصل والكدح المتصل، أو أن هذه الجماعة تعيش في وادي خصيب وفير الخيرات، هذه العوامل المختلفة ذات أثر في شخصية الجماعة بأسرها، وفي شخصيات الأفراد التي تتكون منهم هذه الجماعة[1].

والملاحظ (عملياً) أن الظروف الجغرافية القاسية العنيفة، تظهر سمات التحدي والاعتماد على النفس والجرأة في الشخصية، بينما الظروف الجغرافية المستقرة والمناخية المعتدلة، تظهر سمات الهدوء والتفكير العميق والاتزان. ومن نشأ وتربى في مناطق الصعيد بما يتمتع به من محددات مناخية صعبة، تختلف شخصية عن الشخص الذي نشأ وتربى في المناطق الحضارية، مثل محافظات الوجه البحري والمحافظات الساحلية.

٤ـ المحددات الاجتماعية:

المؤسسات الاجتماعية التي تحيط بالشخص تؤثر بلا شك في شخصيته، فالأسرة التي نشأ بينها، والمدرسة التي تعلم فيها، و علاقته بالمؤسسة الدينية ثم مهنته إلي غير ذلك، على أن الأسرة كأحد المحددات الاجتماعية ـ هي أقوى سلاح يستخدمه المجتمع في عملية التطبيع الاجتماعي ـ ونقل التراث الاجتماعي من جيل إلي جيل آخر. وكما سبق وذكرنا فإنه مع الأسرة توجد محددات اجتماعية أخري، تتدخل في تكوين وتحديد الشخصية، منها المدرسة والمؤسسة الدينية والمؤسسة السياسية والمهنة.

* **محدد الأسرة:** هي البيئة الاجتماعية الأولى التي تؤثر في الفرد وتهب للفرد عاداته الأولي، أعمق عاداته وأرسخها، وتقوم أهمية البيئة العائلية على أنها:

ـ **أول بيئة تؤثر في الفرد:** فالعادات التي تولد فيه تؤلف منظومة، تقوم بنوع من الاصطفاء بين المؤثرات التي يتعرض لها الفرد وما يكمن بداخله.

ـ **وترجع أهميتها ثانياً إلي أن الأسرة تظل خلال مدة من الوقت البيئة الوحيدة**

١- دكتور/ على عبد الرازق الحلبي – مرجع سابق – ص ٣٥٨.

التي يعيش فيها الطفل: حتى يشب راشداً يتأثر بالبيئات المختلفة المحيطة بــه، والأسرة لا تدفع الفرد بطابعها دائما، فهناك من يتأثر بأسرته تأثراً قوياً ويتبنــى قيمها، وهناك من يتمرد على أسرته، ويحطم قيمها.ويرى علماء التحليل النفسي أن لتجارب الطفل الصغير في أسرته، شأناً كبيــراً فــي تحديــد شخصــيته[1].

*محدد المدرسة: يقضى الفرد شطراً كبيراً من أيامه في المدرسة، وهى بيئة أخري مختلفة عن أسرته، وهو بذلك يجد نفسه بين عالمين تتعــاون تأثيراتهمــا تارة، وتتصارع هذه التأثيرات تارة أخري.

* محدد المؤسسة الدينية: العقيدة والارتباط الديني له دخل كبير وأثر عظيم في تحديد ملامح شخصية الفرد، والفراغ الديني يؤدى إلي انهيار نفســي حــاد يدفع بالشخص إلي الانتحار، وهذا ما يحدث في المجتمع الأوربي الذي يتحــدث عن الحرية الشخصية وتحرر العقيدة، بصورة جعلت الشباب في هذا المجتمــع يسقطون صرعا للأمراض النفسية، والتحولات الشاذة في الفكــر والتصــرف. فالمؤسسة الدينية عليها دور هام في تعميق الارتباط الديني للفــرد بربــه جــلا وعلا، وما يستتبع ذلك من ترسيخ القيم الدينية، والخلق الحميد والسلوك القويم.

* محدد المهنة: للمهنة تأثيرها في الفرد رغم أن هذا التأثير متأخراً زمنيــاً، وما يتيح للمهنة أن تؤثر في الفرد هذا التأثير العميق أنها:

ــ أولا: تؤثر في الفرد خلال مدة طويلة (مدة الأشتغال بالمهنة).

ــ ثانيا: يتناول التأثير عدداً صغيراً من الأفعال والتصورات، التــي تتكــرر تكرراً مستمراً طوال العمل بالمهنة.

ــ ثالثا: يكون التأثير في كثير من الأحيان، استمراراً لتــأثيرات الأســرة أو المدرسة (لأن الفرد من خلال مدة طويلة داخل أسرته يتهيأ لأن يصبح مهندساً، أو طبيباً أو مدرساً أو منحرفاً أو مجرماً). ويجب أن نذكر أن تأثيرات المهنــة، تتفاعل مع الاستعدادات الطبيعية التي ربما أملت على الفرد أختيار مهنته[2].

* محدد المؤسسة السياسية: لكل حزب سياسي طراز في التفكير والسلوك

١- دكتور/ سامي الدروبي – علم الطباع– القاهرة – دار المعارف– سنة ١٩٦١ – ص ٢٥٤.

٢- المرجع نفسه – ص ٢٥٦.

والأهداف، يجتنب إليه أولئك الذين يؤهلهم طبعهم للتجاوب مع فكـر الحـزب، والانخراط في صفوفه، فمثلاً شخص معتدل في سلوكه وهادي في طباعه يكون من الصعب أن ينضم إلي حزب ينادي بمبادىء متشددة، ويحدد أهداف يسـعى لتحقيقها في أطار يتسم بالعنف، ويتخذ الهجوم دوما سياسة فـي التعبيـر عـن آراءه، وبالمثل فإن شخص حاد الطباع ثوري الفكر لايتلائم مع الهدوء الحزبي.

٥ـ محدد التعليم:

إن القول بأثر الوراثة في الشخصية، يمثل اعترافاً بأهمية الجانب الفطـري فـي الصراع الفطري/ التجريبي في تكوين الشخصية[١]. بينمـا القـول بـأثر التعليم على الشخصية يكون بمثابة إدراك لأهمية الجانب التجريبي (البيئي) فـي بناء (تكوين) الشخصية. وفي عبارة مشهورة للعالم النفسي واطسن: " أعطـوني مجموعة من الأطفال الأصحاء سليمي البنية، وأنا كفيـل أن أُخـرج منهـم الطبيب والضابط والمحامى والفنان والتاجر ورئـيس العمـل، بـل والشـحاذ واللص، وذلك بصرف النظر عن استعدادهم وميولهم وقدراتهم وأعمال آبـائهم وأصولهم الوراثية، فليس ثمة شئ أسمه وراثة القدرات أو المهارات أو المـزاج أو التكوين العقلي...... الخ[٢].

وتبعا لذلك فإننا نكون طبقاً لما شُجعنا لأن نكون عليه، وأبعد من ذلك أنـه إذا اختلف تاريخ الفرد من الإثابة تختلف شخصيته، فالفرق بين الشخص الناجح والشخص غير الناجح طبقاً لنظريات التعليم، يرجع إلي وجود عنصر المكافـأة أو نمط المكأفاة وليس لعنصر الوراثة، وفى أي أسرة تعزز أنماط سلوكية معينة وتستهجن أنماط أخري، الأنماط السلوكية المعززة أو المثابة تميل إلـي الثبات

١- العوامل الوراثية لها دور خطير في تكوين الشخصية وتشكيلها، إلا أن هذه العوامل لابد لها من أن تتفاعل مع العوامل البيئية خاصة الاجتماعية، ويؤدى هذا التفاعل إلى تكوين الشخصية ونموهـا، وذلك بالإضافة إلى دور الغدد الصماء الموجودة في جسم الإنسان، كالغدد الدرقية والتناسلية والغدة النخامية، حيث تؤدى هذه الغدد دورا هاما في تشكيل الشخصية وتحديد مستوى الذكاء ونوع المزاج. راجع: (دكتور/ على عبد الرازق الحلبي وآخرون – المرجع السابق – ص٣٦٠).

٢- لمعرفة المزيد بشأن أثر التعليم في بناء الشخصية يراجع: دكتور/ سيد محمد غنيم – سيكولوجية الشخصية (محدداتها وقياسها – نظرياتها) – القاهرة – دار النهضة العربية– سنة ١٩٧٨.

والإستقرار، أما تلك الأنماط المستهجنة من السلوك فأنها لا تثبت[1].

٦ــ محدد الاعتبارات الإنسانية الوجدانية:

يوجد عدد كبير من نظريات الشخصية تقلل من شأن وأهمية معرفة أصل الشخصية، وتعرف هذه النظريات (بالنظريات الإنسانية الوجودية) وهي تهتم بكينونة الفرد. والسؤال المطروح: ماذا يعنى أن تكون أنت ؟ ....

What does it mean to be you?

أكثر مما تهتم بالحالة التي عليها الفرد ....

Why are you the way you are ?

مثل هذه النظريات تفجر أهمية الفاعلية العامة لوجود الإنسان على سبيل المثال: إنها تسأل ماذا يعنى أنك مدرك أنك لا محالة ستموت يوماً ما ؟... وكيف ترتبط الحاجات الإنسانية للأمان والتنبؤ بالمستقبل، بحاجات الحرية والمغامرة[2].

*** وإن كان للباحث رأى في أسئلة هذه النظريات مفادها:**

أن الإنسان إذا أدرك أنه لا محاله سيموت. فإن هناك أفعال سيقوم بها، تعكس نسبة هذا الإدراك، فإذا هو عاش حياته كيفما يشاء ممتع بملذات الحياة، مقصر في الحقوق المُلزم بأدائها مستفيد بماله تاركاً ما عليه، فإنه بهذه الكيفية لا محالة غير مدرك لقضية الموت وغير مستعد له، وللموضوع أيضا شق إيماني. أما إذا عاش الإنسان حياته واضعاً نصب عينيه قضية الموت، فإنه لا محالة سوف يدرك ما يفعله من واجبات وما عليه من ألتزامات وكيف يتمتع بالحقوق، وفي أفعاله يصبغها بصبغة دينية جميلة، ويشملها بالجوانب الإيمانية الرشيدة.

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ٣٠.

* أوضح نموذج بنظريات التعليم: نموذج تعلم اللغة فكل والدان يريدان من طفليهما تعلم الكلام، كلما أصدر الطفل صوتاً ما يدل على كلمة فعلية، فان الوالدين يكافأن الطفل. على سبيل المثال: إذا قال الطفل أثناء وقوفه بجوار حفره واء – واء Waa -Waa فان الوالدين يكافأن الطفل بالانتباه إليه، أو إمداده بمكافأة، وغالبا ما يكافئ بكلمات طيبة، وبالتدريج ينمو سلوكه اللغوى بصورة مناسبة، وطبقا لنظريات التعلم فان كل خصائص الشخصية لها أصول مشابهة.

-Hergenhahn, B.R: an introduction to theories of personality, prentice – Hallinc – Engle Wood cliffs, 1980.

٢- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السباق – ص ٣١.

٧ــ محدد الميكانزمات اللاشعورية:

بداية التاريخ الشخصي: الشخصية لا تتوقف فقط على طبع الفرد وعلى بيئته، وإنما تتوقف أيضا على الأحداث التي طرأت عليه، ولا تستطيع حقا أن تفهم شخصية الفرد ما لم تعرف الأحداث التي أثرت فيه، ولكن الأحداث لا تبدل طبع الفرد، فكما لا يبدل المطر الذي يهطل على حقل طبيعة البذور المزروعة فيه إنما يفتح حياتها الكامنة، كذلك الأحداث التي تطرأ على الفرد لا تزيد على أن تنقل إلى الفعل ما هو قائم فيه بالأمكان.

والأحداث التي تؤثر في الفرد ليست كلها مما يتذكره الفرد ويستطيع أن يفضى به، ولعل أخطر هذه الأحداث شأناً ما أفلت من الذاكرة، وغار في أعماق اللاشعور، وكوّن العقد النفسية التي يتحدث عنها التحليل النفسي، ويكشف عنها بأساليبه الخاصة[1].

ثم اللاشعور: وتختلف النظريات التي تؤكد على الميكانزمات اللاشعورية في السلوك عن النظريات الإنسانية الوجودية، حيث تهتم ــ الأولي ــ باكتشاف العوامل الضمنية أو الأسباب الدفينة (الغائرة) اللاشعورية للسلوك (وتعرف بنظريات الأعمال)، ولأن السبب الأساسي للسلوك لا شعوري وله أصوله المترسبة من الطفولة، فأن الأبحاث التي تسعى للكشف عن هذه العوامل اللاشعورية هي أبحاث معقدة وتحتاج إلي أدوات معقدة كذلك، مثل تفسير الأحلام ورموزها والمقابلة الحرة والتنويم المغناطيسي وتحليل محتوى الذاكرة.

وطبقاً لذلك ولأن هذه الخصائص التي توجد في اللاشعور يمكن أن تخرج إلي الشعور بعدة طرق وتؤثر في السلوك دون أن يعي الفرد ذلك، فإن إخراج محتوى اللاشعور إلى الشعور والكشف عن محتواه، للتعرف عن العوامل المؤثرة في السلوك، عامل في غاية الأهمية في هذه النظريات.

وهكذا يمكن تلخيص العوامل المؤثرة في تكوين ونمو الشخصية، والتي تؤدى إلي ثبات واتساق في سلوكها، على أنها التفاعل بين المحددات السابق ذكرها.

١- دكتور/ سامي الدروبي – مرجع سابق – ص ٢٥٩.

ونصل إلي أن:



ثالثاً- سمات الشخصية:

مفهوم السمة (Trait) مفهوم أساسي في بناء الشخصية الإنسانية، والسمة هي آية خاصية يتباين الأفراد فيها، كذلك فهي صفة للسلوك تتميز بقدر من الثبات والاستمرار، وعلى ذلك يمكن ملاحظتها وقياسها، فالسيطرة أو الاستكانة أو الجبن أو العدوانية كلها سمات، والسمات منها ما هو فطري مثل السمات المزاجية، ومنها ما هو مكتسب مثل السمات الاجتماعية، ونحن نلاحظ السلوك الذي يدل على السمة لان السمات لا تلاحظ[1].

[أ] تعريف السمات:

* **السمات:** مفردها سمة وهي في اللغة ذات تاء مفتوحة وتكتب (السمتُ) وهي تعنى القصد والسكينة والوقار، وسمت الرجل سمتاً إذا كان ذا وقار وهو حسنُ، (والسمتِ) أي الهيئة[2].

* **تعريف السمات في علم النفس:** كما تعددت (وتباينت) تعريفات علماء النفس للشخصية، كذلك تباينت تعريفاتهم لمصطلح السمات، تبعاً لاختلاف نظرتهم ونظرياتهم عن الشخصية. وقد عرف البعض السمات بأنها: " تركيب نفسي عصبي له القدرة على إصدار وتوجيه، أشكال متكافئة ومتسقة من السلوك

١- دكتور/ عباس محمود عوض- مرجع سابق- ص ٣٥٥.

٢- المصباح المنير - باب السين - ص ٢٨٧.

التكيفي والتعبيري "[1]. كما تعرف السمات بأنها: " أي خصلة أو خاصية أو صفة ذات دوام نسبى، يمكن أن يختلف فيها الأفراد فتميز بعضهم عن بعض، أي توجد فروق فردية فيها، وقد تكون السمة وراثية أو مكتسبة، ويمكن أن تكون كذلك جسيمة أو معرفية أو انفعالية أو متعلقة بمواقف اجتماعية ".

ب ــ أنواع من السمات:

* **السمات العامة والخاصة:** لاشك أن كل إنسان يتشابه مع بقية البشر في جوانب معينة، وهذه هي السمات العامة أو المشتركة، ولكنه في نفس الوقت لا يشبه أي واحداً منهم في جوانب أخرى، وهذه هي السمات الخاصة أو الفريدة.

- **السمات العامة:** هي السمات المشتركة أو الشائعة بين عدد كبير من الأفراد في حضارة معينة، وقد يكون في حضارات كثيرة كذلك، أو قد تشيع بين الأفراد على وجه العموم، ومثالها في المجال المعرفي الذكاء الذي يوجد (بدرجات مختلفة) لدى جميع الأشخاص، أما السمات المشتركة للشخصية، فمثالها السيطرة والإنطواء والأتزان الوجداني والاجتماعي.
- **أما السمات الخاصة (الفردية):** هي تلك التي تخص فرداً بحيث لا يمكن أن نصف آخر بنفس الطريقة وهي أما قدرات أو سمات دينامية، وكل سمة للفرد تعتبر سمة فريدة تتميز في قوتها واتجاهها ومجالها عن السمات الأخرى المتشابهة الموجودة لدى الأفراد الآخرين[2].

* **السمات الأساسية والسطحية:**

- **السمات السطحية:** هي تلك السمات التي يمكن ملاحظتها مباشرة، وتظهر في العلاقات بين الأفراد، كما يتضح من طريقة الشخص في أنجاز عمل ما، وفى الاستجابة للمؤثرات والاستخبارات، وتعد أكثر قابلية للتعديل تحت ضغط الظروف البيئية، ومثالها المرح والحيوية والتشاجر، فالسمات السطحية إذن هى تجمعات الظواهر أو الأحداث السلوكية، التي يمكن ملاحظتها، وهي أقل ثباتاً كما أنها مجرد سمات وصفية.

١- دكتور/ احمد محمد عبد الخالق - مرجع سابق - ص٤١.

٢- المرجع نفسه - ص٤٣ وما بعدها.

- **السمات الأساسية**: هي التكوينات الحقيقية الكامنة خلف السمات السطحية والتي تساعد على تحديد وتفسير السلوك الإنساني، وهى ثابتة وذات أهمية بالغة. وتقسم السمات الأساسية إلي **سمات تكوينية (داخلية) ذات أساس وراثي، وسمات تشكلها البيئة** تصدر هذه السمات عن البيئة، وتتشكل بالأحداث التي تجرى فيها، والتي يعيش فيها الفرد.
- **السمات أحادية القطب مقابل ثنائية القطب:**
- **السمات أحادية القطب**: كالسمات الجسمية (المورفولجية ـ والفيزيولوجية) والقدرات، وهي أحادية القطب لأنها تسير بخط مستقيم يمتد من الصفر حتى درجة كبيرة، ويمتد المدى من عدم وجود السمة من النوع حتى اكبر قدر ممكن من هذه السمة.
- **السمات ثنائية القطب**: مثل السمات المزاجية عادة، إذ نتحدث مثلاً عن المرح مقابل الاكتئاب والسيطرة مقابل الخضوع، والهدوء مقابل العصبية، وهي تمتد من قطب إلي قطب خلال نقطة الصفر.

جـ ـ طبيعة السمات:

يرى احد علماء النفس أن السمة مفهوم ذو طبيعة مجردة، فأننا لا نلاحظ السمة بطريقة مباشرة، بل نلاحظ مؤشرات وأفعال معينة نُخصص أو نُعمم علي أساسها وجود السمة، فالسمة أذن مستنتجة من الملاحظات الفعلية للسلوك أو من خلال أستخبار، وهي أطار مرجعي، ومبدأ لتنظيم بعض جوانب السلوك والتنبؤ به، هي مستنتجة مما نلاحظه من عمومية السلوك، والسمة ليست أبدا تعليل للسلوك بل مجرد مفهوم يساعد على وصف ذلك السلوك[١].

رابعا ـ الشخصية والصحة النفسية :

هناك علاقة وثيقة بين الصحة النفسية ودراسة الشخصية، حيث أن الصحة النفسية تهتم بعملية التوافق النفسي للشخصية، وبالتعرف على العوامل التي من شأنها أن تساعد على تحقيق أقصي قدر، من هذا التوافق من اجل تطويرها

١- المرجع نفسه- ص ٥٥.

وصقلها، وكذلك التعرف على العوامل التي من شأنها أن تعوق هـذا التوافـق لعلاجها والتغلب على آثارها[1].

أ ـ فهم الصحة النفسية:

ربما كانت أسهل وسيلة لفهم المقصود بالصحة النفسية أن نبدأ بالتساؤل عن معنى الصحة الجسمية ؟ فالصحة النفسية شأنها شأن الصحة الجسـمية يجـب النظر إليها على أنها منتهى ما يسعي إليه الفرد من خلال سلوكه وتفاعلـه مـع الحياة من حوله، وعلى هذا فهي منتهى طريق طرفه الآخر هو المرض النفسي

فكما نقصد بالصحة الجسمية سلامة الفرد من المـرض الجسـمي، نقصـد بالصحة النفسية سلامة الفرد من المرض النفسي والعقلي فى صوره المختلفـة، وعدم ظهور أعراض من الاضطرابات السلوكية الحادة في الأفعال والتصرفات والشذوذ وعدم التوافق[2].

ب ـ تعريف الصحة النفسية:

الصحة هي حالة ايجابية تتضمن التمتع بصحة العقل والجسم معاً، وليست مجرد غياب أو الخلو أو البرء مـن أعراض المرض الجسمي والنفسي، وهذا

١- للمزيد من المعرفة بشأن الصحة النفسية: دكتور/ مصطفى فهمي - الصحة النفسية - القـاهرة دار الثقافة - سنة ١٩٦٧.

٢- دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح- في الصحة النفسية - القاهـرة - دار آتون للطباعـة - سـنة ٢٠٠١- ص ١٠٤.

* مثال للصحة النفسية: مع افتراض مقابلة رجلاً في منتصف العمر حسن المعشر حلو الشمائل مريح الطبائع يتمتع بعلاقات مرضية مع من حوله، ولديه شعور غلاب بالسعادة في أكثر الأحيان، ويضع لحياته أهدافا تناسب إمكانياته يسعى جاهداً في تحقيقها ويستطيع التغلب علـى المشـكلات اليوميـة للحياة، يستثمر ما لديه مـن ذكاء وقدرات استثماراً جيداً صادق يتمتع بالوفاء أمين، ومـن ناحيـة أخرى مع افتراض مقابلة رجلاً في غمار الحياة اليومية يتمتع بعكس الخصال السابقة فظـاً غلـيظ القلب، ينفض الناس من حوله، تضطرب علاقاته مع الآخرين، لديه شعور غلاب بالتعاسة، متأكد من سوء المنقلب والمال، يعتقد أن حظه في الحياة قليل، لا يثق في الآخرين ولا يحب الخير لأحد سوى نفسه. **فالأول** نمط يتسم بالاتزان والاستقرار ويتصف بالتوافق والتكيف والتكامل، وهـذا الشـخص يتصف بدرجة مرتفعة من الصحة النفسية. **أما الثاني** فنمط يتسم بالاضطراب والشـذوذ والمـرض وسوء التوافق وعدم الاتزان والتكيف مع المجتمع، ويتصف بدرجة منخفضة جداً من الصحة النفسية.

ما أشارت إليــه منظمة الصحة العالمية (WHO) عام ١٩٦٤[1]، حيث يــنص هذا التعريف على أن:" الصحة هي حالة الرفاهية أو الســعادة (Well-Being) الجسمية والنفسية والاجتماعية التامة، وليس مجرد غياب المرض أو العجــز أو الضعف ". ومع أن هذا التعريف يبدو بسيطاً تماماً إلا أنه فــي الحقيقــة جــامع شامل، كما أن العبارة الأخيرة من شأنها أن تعدل المفهوم المحدود للصحة.

وتعرف الصحة النفسية على إنها[2]: " حالة دائمة نسبياً، يكون فيها الفــرد متوافقاً نفسياً ــ شخصياً وانفعالياً واجتماعياً مع نفسه ومع بيئته ــ ويشعر فيهــا بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين، ويكون قادراً على تحقيــق ذاتــه، واســتغلال قدراته وإمكانياته إلى أقصى حد ممكن، ويكون قادراً على مطالب الحياة وتكون شخصيته متكاملة سوية، ويكون سلوكه عادياً، بحيث يعيش في سلامة وسلام ".

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن الصحة النفسية مسألة نسبية يتمتع بهــا الفرد بدرجة متفاوتة، وعلى هذا يشير احد الباحثين إلى أن الصحة النفسية هي: " مدى أو درجة نجاح الفرد في التوافق الداخلي بين دوافعه ونوازعه المختلفــة، وفي التوافق الخارجي في علاقاته ببيئته المحيطة بما فيهــا مــن موضــوعات وأشخاص "[3]. كما يشير احد العلماء إلى الصحة النفسية علــى أنهــا: " حالــة عقلية انفعالية مركبة، دائمة نسبياً مــن الشعور بأن كل شئ علــى مــا يــرام، والشعور بالسعادة مع الذات والآخرين، والشعور بالرضا والطمأنينــة والــزمن وسلامة العقل، والإقبال على الحياة، مع شعور بالنشاط والقوة والعافية "[4].

ت ــ مؤشرات الصحة النفسية:

للصحة النفسية علامات تنم عنها ومؤشرات تشير إليها وتدل عليها، وتشير

١- دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح- المرجع نفسه - ص ١٠٦، ١٠٧.

٢- دكتور/ حامد زهران - الصحة النفسية والعلاج النفسي- القاهرة- مكتبة عالم الكتب - الطبعــة الثالثة - سنة ١٩٧٧- ص٤١.

٣- تعريف الباحث/ صموئيل مغاريوس مشار إليه: د/ سمير عبد الفتاح- المرجع السابق- ص١٠٨.

٤- دكتور/ احمد محمد عبد الخالق- استخبارات الشخصيــة- الإسكندرية- دار المعرفــة الجامعية- ط ٢- سنة ١٩٩٣- ص٢٣.

هذه العلامات إلى مظاهر سلوكية محددة، إذا وجدت لدى الفرد فإنه يمكن وصفه على أنه يتمتع بدرجة مرتفعة من الصحة النفسية، وهذه المؤشرات نوعين: ـ مشاعر داخلية لا يشعر بها إلا الفرد نفسه.

ـ مظاهر خارجية يدركها الآخرون ويلاحظونها[1]. وهي تتمثل فيما يلي:

- **التوافق الذاتي:** ويقصد به التوافق الشخصي للفرد، ونجاح الفرد في التوافق بين دوافعه وحسن التكيف مع نفسه، والرضا عنها والتحكم فيها وحسم صراعاتها.
- **التوافق الاجتماعي:** يعني التوافق مع الآخرين كالتوافق الأسرى والمدرسي والمهني، وهذا التوافق يتضمن نجاح الفرد في تكوين علاقات اجتماعية مرضية له وللآخرين ـ المحيطين به في تعاملاته ـ بحيث تتسم بالتعاون والحب والاحترام المتبادل.
- **الشعور بالسعادة مع النفس:** يقصد به الراحة النفسية، ووجود اتجاه متسامح مع نحو الذات، والشعور بالأمن والطمأنينة، والرضا عن النفس وتقبلها واحترامها، والاستمتاع بالحياة وما بها من متع حلال، والإقبال على العيش فيها والرضا بما قسمه الله تعالى.
- **الشعور بالسعادة مع الآخرين:** ودلائل ذلك حب الآخرين والثقة فيهم واحترامهم وتقبلهم، ووجود اتجاه متسامح معهم، والتفاعل الاجتماعي السليم، والانتماء الاجتماعي للجماعة.
- **تقبل الفرد الواقعي لحدود إمكانياته:** ويعني عدم وجود فجوة بين قدرات الفرد وأهدافه في الحياة، ومعرفة الفرد لقدراته الحقيقة، وتقدير نفسه حق التقدير لإمكانياته وطاقاته، والتطلع إلى الأهداف التي يستطيع تحقيقها.
- **القدرة على مواجهة مطالب الحياة:** هي النظرة الموضوعية للحياة ومطالبها ومشكلاتها اليومية، والعيش في الحاضر والواقع بالبصيرة والمرونة، والقدرة على مواجهة المشكلات والمواقف والسيطرة على الظروف.

١- دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح – المرجع السابق – ص١٠٩ وما بعدها.

- **القدرة على مواجهة الإحباط:** أي التغلب على الاحباطات اليومية والأزمات والشدائد، والقدرة على مواجهتها بالصبر والمرونة والسيطرة عليها.
- **الإقبال على الحياة:** وهو التحمس للحياة، والرغبة الحقيقة في الحياة، والاستمتاع بما احل الله تعالى من الطيبات، وما يرتبط بذلك من تفاؤل وتوقع الخير.
- **النجاح في العمل:** ومقصده وصول الشخص إلى درجة عالية من الرضا الذاتي عما يقوم به من أعمال، وما يرغب في القيام به من أفعال، ومن أهم عوامل النجاح في العمل التناسب مع ما لدي الفرد من قدرات واستعدادات وسمات شخصية.
- **إشباع الفرد لدوافعه وحاجاته:** ويعنى ذلك نجاح الفرد في إشباع حاجاته الفسيولوجية (كالحاجة إلى الطعام والماء والإخراج والزواج...)، والحاجات النفسية والاجتماعية (العطف والحياة والولاء والقبول والتقدير والمكانة الاجتماعية والمغامرة والأمن والطمأنينة............).
- **التصدي لمسئولية الأفعال والقرارات:** لاشك أن قدرة الفرد على تحمل مسئولية أفعاله وما يتخذه من قرارات، هو احدى علامات التكامل الخُلقي والنفسي في آن واحد.
- **ثبات الاتجاهات:** أن ثبات اتجاهات الفرد ومواقفه أمر لا يتأتى إلا مع وجود خط فكرى واضح، وخلفية فلسفية واضحة تصدر عنها أحكام الفرد، وتصرفاته المختلفة، ولا يعني ذلك أن تكون الاتجاهات جامدة غير قابلة للتعديل، بل أن المرونة مطلوبة وهى دليل على النمو والتقدم، والمقصود ألا تتصف اتجاهات الفرد بالتذبذب والتناقض على المدى القصير.
- **اتساع أفق الحياة النفسية:** يقصر بعض الناس اهتمامهم على جانب واحد فقط من جوانب نموه، كأن يركز على تنمية قواه العضلية، أو على الدراسة والعلم دون باقي الجوانب، إن الاستمتاع بالحياة والتجاوب معها، يتطلب العناية بأنواع متعددة من المهارات والمعارف، والنمو المتكامل المتوازن

الذي لا يهمل (ولا يغفل) ناحية من نواحي النمو.

- **حسن الخُلق:** ويعني البعد عن الكبائر والفواحش ما ظهر منها ومما بطـــن، والصدق في الحديث والوفاء بالوعد، وتأدية الأمانة وعدم التكبـــر وتجنـــب قول الزور والباطل. وفي هـــذا الصدد يعرف البعض الصحة النفسية بأنها: " حالة يشعر قبلها الإنسان بالرضا والارتياح، عندما يكون حسن الخُلق مـــع الله ومع نفسه ومع الناس "[1].
- **الاتزان الانفعالي:** ويتضح فـــي الثبات الوجداني ونضـــج الانفعـــالات، أي التناسب بين الانفعال ومثيراته، حيث أن عـــــدم التناســـب بـــين الانفعـــال ومثيراته فـــي الشـــدة والنوع يعتبر مـــن اضطرابات الصحة النفسية[2].

ث ــ الصحة النفسية في المنهج النفسي الإسلامي:

رسم المنهج الإسلامي الطريق الصحيح إلى الصحة النفسية لخير البشـــرية وقد اهتم بجوانب الروح ومعالجة النفس، حيث اهتم البـــاحثون عـــن الصـــحة النفسية بالمظاهر الخارجية لسلوك الفرد، هذا الطريق علاماته المستنيرة هي:

- **الوسط العدل... الخير الفضل:** أن مفتاح الصحة النفسية في الإســـلام هـــو الوسط العدل.... والوسط العدل عملية تخلية وتحلية: تخلية عـــن الأوصاف المذمومة، وتحلية بالأوصاف المحمودة. فهـــو بهـــــذا المعنـــى اســـتقامة للحـــق والصـــدق هـــو موازنة واعتدال. **وفي هـــذا يقول الله عز وجـــل:** (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)، والوسط العدل صالح للتطبيق فـــي كل زمان ومكان، لأنه شريعة الله عز وجل للناس، وليس هذا الوسط وسطاً ظاهرياً كمن يأمر بالمعروف ويرتكب الفواحش نفاقاً ورياء، أنمـــا الوســـط العدل ظاهر وباطن عمل صالح في الظاهر ونية طيبة في الباطن. ومـــــن مظاهر الوسط العدل:

١- دكتور/ كمال مرسى -١٩٨٨

٢- راجع في موضوع ثبات الاتزان الانفعالي: يوسف الأقصري – كيف تـــتخلص مـــن الشـــعور بالغضب والاستسلام – القاهرة – دار الطائف للنشر والتوزيع – سنة ٢٠٠٣.

- **القسط:** القسط يدل أيضا على الوسط العدل وهو مفتاح للصحة النفسية في الدنيا والآخرة لان القسط عدل في النفس، فيعرف الإنسان بالقسط حقوقه وواجباته، ولا يجاوز ولا يستذل.
- **الاستقامة:** تدل الاستقامة على الاعتدال، والاستقامة من القيام بالشيء دون عوج أو التواء كأن يقوم للصلاة وأن يقوم بالعدل. وترتبط الاستقامة بالقسط والعدل والاعتدال كما ترتبط بالقيام بما فيه صلاح الأمور الدينية والدنيوية لأن في ذلك مأمن للناس جميعاً من الانحراف والضياع لقوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم). إن الاستقامة توفيق إلى طريق الخير والحق والسعادة والتي بها يستقيم حال النفس وتتصف بالأمن والسكينة.
- **الصفح الجميل:** يرى أصحاب علم النفس الحديث أن القانون الذي يسود دنيا النفس البشرية هو (كل أو فأنت مأكول). ويرى فقهاء علم النفس الإسلامي أن هذه النظرة إلى النفس الإنسانية نظرة قاصرة، حيث أن الحب والتسامح يظهر من سلوك المؤمن في جميع أفعاله وأعماله، فيتأثر بضروب الأذى والعدوان بل يحيلها جميعاً إلى عفو وتسامح وإحسان، فيترفع عن الانتقام ويكظم الغيظ ويصبر على الاعتداء، ويصل بذلك إلى السلوك السوي وكمال الإنسان في أروع صوره وأجمل حالاته. يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (فأصفح الصفح الجميل). ويقول جل وعلى: (فاعفوا وأصفحوا). فالتسامح والغفران والتوبة قوام الحياة الإنسانية السليمة.
- **محاسبة النفس:** على الإنسان أن يعرف نفسه على حقيقتها فما من خير يسعى مجاهداً لعمله وإلا تنازعه نفسه فيه وتريد خلافه، وما من شر يقبل الإنسان عليه إلا وكانت نفسه داعية إليه، فإذا حاسب الإنسان نفسه على مذموم أفعالها......، وعرفها بحقيقة ريائها ووعظها للعمل على محاسن الأمور، وداوم على تأنيبها على اقتراف المستكرهات، التي تقودها إلى الهلاك، وذكرها بوعد الله ووعيده، وأبان لها طريق الخير الفاضل.

ضمن لها السلامة وحفظها من الندامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من

أتى الله بقلب سليم. إن في معرفة الإنسان لنفسه وحذره منها ويقظته في تقلبها، ضرورة لتحقيق الصحة النفسية.

- **ذكر الله (سبحانه وتعالى):** ذكر الله تعالى طريق رائع للصحة النفسية، لأنه يوثق علاقة العبد بربه ويقوده إلى الخير الفاضل في الدنيا والآخرة، ويربى النفس على الإيثار ويجنبها الجنوح عن جادة الحق، كما يملأ القلب سكينة وطمأنينة وأمنا، والذكر إقرار باللسان وتصديق بالقلب.

وتختلف ثمرات الذكر من ذاكر إلى ذاكر آخر، حسب الصدق والإخلاص والاجتهاد، و لذكر فضائل عديدة وآثار نفسية رائعة وثمرات جليلة وهو يعين الإنسان على مجابهة المصاعب ويساعده على التغلب على العقبات. والذكر ينقى القلب، ويجعله قابلاً لاستقبال المعاني الإلهية والأسرار الربانية، وينزل على النفس الأمن والسكينة والطمأنينة.

١- دكتور/ حسن الشرقاوى – المرجع السابق – ص٢١٧ وما بعده.

الفصل الثاني
الشخصية الإنسانية عبر الفلسفات المختلفة

تعد دراسة النفس البشرية والوقوف على كنهها وأبعادها ومكوناتها من الأمور الصعبة، لأن النفس الإنسانية بل الطبيعة البشرية ذاتها شديدة التعقيد أو هي في الواقع محيرة ومثيرة. ولعل السر في عجز العلم الحديث عن الغوص في أغوار النفس البشرية يرجع إلى أن الإنسان نفسه قد أحس بمشكلته، حين أدرك أن وجوده مخاطرة، وحين فطن إلى أن حياته معركة ليست خاسرة أو رابحة منذ البداية، وإنما لابد فيها من الصراع والمجاهدة لحظة بعد أخرى، ومن هنا نشأت كل المحاولات التي أرادت أن تلغى مشكلة البحث عن طبيعة الإنسان وجوانبه المعنوية لحساب العلم، لأن الإنسان نفسه هو الذي يصنع العلم.......[1]. فالإنسان هنا هو الباحث والمبحوث.

ومن هنا كانت صعوبة، إخضاع النفس البشرية للمناهج التجريبية والمقاييس المقننة، مما جعل علماء النفس المحدثون يتجهون إلي دراسة مظاهر السلوك الإنساني، تجنبا لتلك الجوانب الخفية، التي تكمن وراء حقيقة النفس والروح والعقل[2].

تحتاج طبيعة الإنسان في دراستها إلى المواجهة الواقعية بعيداً عن الغوص في بئر اللاشعور، لذلك فأن دراسة الطبيعة الإنسانية صعبة للغاية، وتنعكس هذه الصعوبة على مدى فهم تصرفات الإنسان، اعتماداً على طبيعته المعقدة التي لا ترقي إليها أية عقلية مهما كان سموها في المملكة الحيوانية، الأمر الذي يجعلنا نتجه إلى الطريق السليم الطريق القويم المستنير، وهو أن نستعين

١- دكتور/ سيد صبحي – الإنسان وصحته النفسية – القاهرة – الدار المصرية اللبنانية – سنة ٢٠٠٣ – ص ١٨.

٢- هنا تحضرنا عبارة الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز القوصي: (إن علم النفس كان يبحث أولا في الروح ثم صار يبحث في العقل، أو انتقل بعد ذلك إلى الشعور ٠٠٠٠ وأخيرا صار موضوع بحثه هو السلوك الخارجي). راجع: دكتور/ عبد العزيز القوصي – علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية – القاهرة – دار النهضة المصرية – ط ٦ – سنة ١٩٧٠ – ص ٢٥.

بالقرآن الكريم لندرس للطبيعة الإنسانية من خلاله ففيه كل المعاني ومن خلالـــه تتضح جميع الأمور، بعد أن اكتنفها الغموض فغاصـــت فـــي متاهـــات الفكـــر الفلسفي تارة، ومعامل التجريب على الحيوان تارة أخرى.

ومن هذا المنطلق فإننا إذا تأملنا الآيات القرآنية الكريمـــة التـــي تناولـــت جوانب الإنسان المادية والروحية، والتي تعبر عن الأبعاد النفسـية والروحيـــة، لوجدنا أنها تتحدث عن أربعة أمور هي: **النفس– الروح – القلب – العقـــل.** ونجد أن لكل من هذه الجوانب أوصافاً معينة، وحقيقة بذاتها وصفات تابعة لها. وقبل أن نتناول الحديث عن هذه الأمور، نعرض لأراء بعض الفلاســفة الـــذين تناولوا حقيقة الإنســـان، وذلك بين الفلسفة العامة والفلسفة الإسلامية.

أولا ــ بين الفلسفة العامة والفلسفة الإسلامية :

* تفرعت أفكار الفلاسفة بشأن الشخصية الإنسانية إلى ثلاثة اتجاهات:

أ – اتجاه يمثله سقراط وأفلاطون. ويرى هذا الاتجاه أن النفس جوهر روحـــي مستقل عن الجسم وهـــي واحـــدة، ولهـــا قـــوي وتقـــوم بوظـــائف مختلفـــة.

ب – اتجاه يمثله أرسطو ومن تبعه من علماء النفس. ويرى أن النفس صورة منطبقة مع الجسم، لا يمكن فصل أحدها عن الآخر لأنه لا وجود لهـــا إلا مـــع الجسم، واعتماداً على الآراء التي وردت في هذا الاتجاه فلـــيس هنـــاك تكـــوين بيولوجي وسيكولوجي مستقل كل منها عن الآخر، بل الإنسان في الحقيقة وحدة يتكامل فيها جسمه وروحه.

ت(*)– الاتجاه الثالث يحاول التوفيق بين الاتجاهين السابقين ويمثله الفلاســفة المسلمون. وإذا كان يبدو بينهم اختلافات..... فإن هذه الاختلافات مـــن حيـــث الدرجة لا من حيث النوع.

(*) نلاحظ إثناء إعداد الدراسة، أن معظم الدراسات العربية تحتوى على ترتيب أبجدي إذا ما تعددت العناصر التي بداخلها، فيتم التقسيم هكذا: (أ) ثم (ب) ثم (ج) ثم (د) ثم (هـ) ثم (و) ثم (ز). حيث يتصـــور البـــاحثون أن ذلـــك يـــتم نظـــرا لكـــون هـــذا الترتيـــب يشـــمل حروفـــا عربيـــة، غير مدركين أن سرد هذه الحروف بذلك الترتيب الأبجدي هو ليس فقط غير عربي، وإنمـــا هـــو ترتيب الحروف العبرية. حيث أن الأبجدية العبرية ترتيبها كما يلي: أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، =

وسوف نعرض لأفكار هؤلاء الفلاسفة بشأن حقيقة الإنسان، عرضاً يفي المعرفة لكل اتجاه ويوضح ما بني عليه من فكر.

الاتجاه الأول ــ مرحلة سقراط وأفلاطون:

هذه المرحلة من أنضج مراحل الفلسفة اليونانية، حيث نشط الفلاسفة اليونانيين للإدلاء بآرائهم وأفكارهم المتنوعة، وينتمي كل واحد منهم إلى مدرسة تختلف عن قريناتها مبدأ وفكراً(*).

= ح ، ط ، ى ، ك ، ل ، م ، ن، س ، ع ، ف ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت. حيث تتألف الأبجدية العبرية من أثنين وعشرين حرفا. وتنطق: أبجد هوز حطي كلمن.........

للمزيد بشأن الأبجدية العبرية يراجع: (أشرف عبد المنعم – الأبجدية غير العربية التي تغنينا بها ونحن لا نعلم – مقالة بجريدة الأهرام – العدد ٤٣٠١٢ – السنة ١٢٩ – ١٠ سبتمبر ٢٠٠٤).

(*) من فلاسفة هذه المرحلة: الحكيم طاليس *THALES* وهو أحد الحكماء السبعة. ولد في مدينة مليطة ٦٤٠ ق. م– ومات ٥٥٢ ق. م، وهو من حكماء مدرسة العلم الطبيعي أو مدرسة مليطة وهي من مدارس الفلسفة التي ظهرت في الحضارة اليونانية قبل سقراط. وقد ذهب طاليس إلى أن النفس تملأ العالم وأن الكون مملوء بالآلهة. والنفس هي مبدأ الحركة في الوجود وكل ما يتحرك له نفس حي. راجع في ذلك: دكتورة / نازلي إسماعيل حسين – تاريخ الفلسفة اليونانية– القاهرة – المكتبة القومية– سنة ١٩٨١– ص ٧٠، ٨١.

ــ وأيضا الفيلسوف فيثاغورس *PYTHAGORE* الذي ولد سنة ٥٧٢ ق.م في مدينة ساموس Samos وتوفى سنة ٤٩٧ ق. م، وهو مؤسس مدرسة فيثاغورس التي ترى أن الأعداد هي أصل العالم أو هي المادة الأولي التي صدرت عنها الكائنات وإليها نعود، وأن العدد الوحيد هو أصل لجميع الموجودات، والأعداد التي يقصدها فيثاغورس ليست الأرقام الحسابية ولكنها ترمز إلى أشكال وأحجام هندسية. فالواحد يرمز إلى النقطة والاثنين إلى الخط. (دكتور/ هلالي عبد اللاه أحمد – الحقيقة بين الفلسفة العامة والإسلامية وفلسفة الإثبات الجنائي – القاهرة – دار النهضة العربية – الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٧ – ص٣٢ وما بعدها). وللمزيد في هذا الشأن يراجع: (دكتورة / نازلي إسماعيل حسين – المرجع السابق – ص ٨٥ وما بعدها، وأيضا: يوسف كرم – تاريخ الفلسفة اليونانية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – الطبعة الخامسة – سنة ١٩٧ ص ٢٠ وما بعدها).

وكان فيثاغورس يعتقد أن النفس خالدة، ولما كان حركة النفس شبيهة بحركة الأفلاك، فإن حركة النفس هي حركة أزلية، والنفس لا تموت بموت الجسد ولا تفنى بفنائه، ولكنها تبعث من جديد.

ولذا آمن الفيثاغورثيون بفكرة تناسخ الأرواح *Metemy sycos*. حيث يعني تناسخ الأرواح أن تنتقل الأرواح وتهاجر إلى أجسام أخرى، والأرواح منها الطيبة ومنها الشريرة، فالأرواح الطيبة =

* مرحلة سقراط SOCRATE:

يعد سقراط أول من انزل الفلسفة من السماء، حيث لم يحفل مثل غيره من الفلاسفة اليونانيين بالعلوم الطبيعية والرياضية بل آثر الاهتمام بدراسة الإنسان، وحوّل النظر من الفلك والعناصر الطبيعية إلى النفس البشرية.

وأتخذ لفلسفته شعار معبد دلف:(أعرف نفسك بنفسك)، وكان سقراط داعية للعقل في الأخلاق. والعقل عنده هو قوام النفس الإنسانية وجوهرها، ومن هنا جاءت

= تتجسد في الأجسام البشرية والشريرة في الحيوانات، وفى ذلك يقول الفيثاغورثيون أن الإنسان عوقب ووضعت نفسه في سجن هو البدن. والذي وضعها في السجن هو الله أو الآلهة، ولا يستطيع أن يتخلص بنفسه من هذا السجن وإنما هو يستطيع فقط أن يتحرر عن طريق الموت بانفصال النفس عن البدن. وهنا إذا انفصلت النفس عن البدن إما أن تحيا حياة لا مادية صرفة- وذلك إذا كانت محسنة- وأما إذا كانت مذنبة تحيا حياة عذاب بأن تذهب إلى النار. أو تحيا مرة أخرى حياة أرضية في جسم إنسان أخر أو في جسم حيوان. وهكذا تستمر حياة النفوس.

وكان فيثاغورس يعتقد أن النفس خالدة، ولما كان حركة النفس شبيهة بحركة الأفلاك، فإن حركة النفس هي حركة أزلية، والنفس لا تموت بموت الجسد ولا تفنى بفنائه، ولكنها تبعث من جديد. ولذا آمن الفيثاغورثيون بفكرة تناسخ الأرواح *Metemy sycos*. حيث يعنى تناسخ الأرواح أن تنتقل الأرواح وتهاجر إلى أجسام أخرى، والأرواح منها الطيبة ومنها الشريرة، فالأرواح الطيبة تتجسد في الأجسام البشرية والشريرة في الحيوانات، وفى ذلك يقول الفيثاغورثيون أن الإنسان عوقب ووضعت نفسه في سجن هو البدن. والذي وضعها في السجن هو الله أو الآلهة، ولا يستطيع أن يتخلص بنفسه من هذا السجن وإنما هو يستطيع فقط أن يتحرر عن طريق الموت بانفصال النفس عن البدن. وهنا إذا انفصلت النفس عن البدن إما أن تحيا حياة لا مادية صرفة- وذلك إذا كانت محسنة- وأما إذا كانت مذنبة تحيا حياة عذاب بأن تذهب إلى النار. أو تحيا مرة أخرى حياة أرضية في جسم إنسان أخر أو في جسم حيوان. وهكذا تستمر حياة النفوس.

ـ وينتقد أستاذنا الدكتور/ رءوف عبيد نظرية تناسخ الأرواح بمقولته أن: (النسخ أو الإلغاء لا محل له إنما كان في الأولى أن يطلق عليها (تناسخ الأجساد) لأن الروح تبقى دائما وتواصل حياتها ونشاطها في النمو وفى تحقيق الذات، إنما العنصر محل النسخ هو فحسب الجسد الترابي الذي ينفصل عن الروح لحظة الوفاة، وتعيش الروح في إطار من جسد لخر أرق منه وأرقى هو الجسد الأثيري. وذلك إلى أن تأذن إرادة الله بأن تحل الروح في جسد لها جديد عندما يصلح – وهو في بطن الأم – لاستقبال ذلك الضيف القادم من عالم ما وراء المادة أو بالأدق من عالم الأثير. ولذا يرى ضرورة أن يستعاض عن هذه النظرية بنظرية أخرى هي نظرية العودة للتجسد أو العودة للميلاد، ويمكن بالتالي تعريف هذه العودة بأنها: "عودة المبدأ الروحي في الإنسان إلى غلاف لحمي جديد. وهذا الغلاف =

دعوته للعناية بالنفس دعوة إلى السلوك المتعقل، أو معرفة ما يناسب الإنسان بوصفه جوهراً عاقلاً(*).

• مرحلة أفلاطون *PLATON*:

صاغ أفلاطون نظرية أسماها نظرية المثل (كفرض من الفروض اللازمة) لتفسير حقيقة الوجود وحقيقة الإنسان. والوجود عند أفلاطون ينقسم لقسمين:

- عالم محسوس: وهو عالمنا الذي نعيش فيه، وهو عالم متغير ذو وجود غير حقيقي.
- وعالم غير محسوس: هو عالم مستقل عن عالمنا يطلق عليه اصطلاح (عالم المثل أو عالم الحقائق أو عالم الصور العقلية). وهو عالم ثابت ذو وجود حقيقي.

ويضيف أن عالم المثل هو الأصل، وأن الأشياء الموجودة في عالمنا المحسوس مجرد صور أو أشباح لهذه المثل. وقد فسر أفلاطون حقيقة النفس من خلال حقيقة الإنسان، حيث عنده الإنسان يتألف من عنصرين يتميز أحدهما عن الأخر هما النفس والبدن، ويبرهن على خلود النفس، ذلك لأن النفس إلهية، والخلود صفة من صفات الآلهة، وبذلك النفس لا تفسد. أما البدن فهو المادة التي تكون وتفسد، ويرى أفلاطون(**) أن النفس لن تصل إلى الحقيقة، إلا إذا

= يتخذ بالنسبة للإنسان دائما جسما آدميا. (يراجع: دكتور/ رءوف عبيد – في العودة للتجسد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم- القاهرة- دار الفكر العربي- سنة١٩٧٦- ص ٥، ٦ وأيضا لأستاذنا: مفصل الإنسان روح لا جسد – القاهرة – دار الفكر العربي- سنة ١٩٨٢).

تعقيب: يمكن الرد على هذه المذاهب التي تناولت تعريف النفس، وما جاء بنقد أستاذنا الدكتور/ رءوف عبيد رداً على هذه المذاهب، بكلمات قليلة العدد عظيمة الشأن. يقول الله تعالي: " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ". وقوله تبارك وتعالي: " ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقوها ".

(*) ولد سقراط في سنة ٤٦٩ ق.م في أثينا، وتعلم فيها وأتهم بالإلحاد، وحكم عليه بالإعدام سنة ٣٩٩ ق.م، وقد كان أستاذا لأفلاطون. دكتور/ هلالى عبد اللاه احمد- المرجع السابق- ص ٥٨.

(**) ولد أفلاطون سنة ٤٢٧ ق.م في أثينا من أسرة عريقة الحسب ولقب بأفلاطون لأنه كان جميلا طويل القامة، وقد ألم بكل مؤلفات الفلاسفة القدماء وأقوالهم وأخبارهم وعن عناية خاصة بالقانون والأخلاق، وتعرف على سقراط وهو في سن العشرين فأعجب به ولزمه. وقد وجد عند سقراط =

انفصلت تمام الانفصال عن البدن، لتصل إلى نور الحقيقة في عالم المثل[1].

الاتجاه الثاني – مرحلة أرسطو ARISTOTE:

الثنائية الأفلاطونية بالنسبة لعنصري الإنسان النفس والبدن، تجدها عن تلميذه (أرسطو) فهو يرى أن الإنسان يتكون من عنصرين أساسيين هما الصورة والمادة (الهيولى)، فالصورة هي العقل أو النفس العاملة، أما المادة (الهيولى) فهي البدن أو الجسد.

ويميز أرسطو بين نوعين من العقل: **العقل الفعال والعقل المنفعل**. فالأول تصدر عنه المعقولات، بينما يتقبلها الثاني من الأحساسات والصور[*]. ويمكن القول أن العقل الفعال هو عقل بالفعل، بينما العقل المنفعل هو عقل بالقوة. والنفس العاقلة في نظر أرسطو خالدة لاتموت بموت الجسد أو البدن، والعقل الفعال هو الذي يبقى بعد الموت لأنه لا يتأثر بالمادة[2].

هذا ويعرف أرسطو النفس بأنها: " ما به نحيا ونحس ونتنقل في المكان ونعقل أولاً "، ويعرفها أيضا بأنها: " كمال أول لجسم طبيعي آلي في حياة بالقوة ". ويميز أرسطو بين ثلاث درجات للنفس:

- **الأولي: النفس النامية أو النباتية.** وهى مشتركة بين جميع الكائنات الحية جميعا، ونجدها في النبات دون سائر الوظائف الأخرى كالحس والعقل، والنفس النامية هي النمو والتوليد.

– أراء كثيرة في العدالة الاجتماعية والسياسية، وعلمه سقراط كيف ينظر إلى السياسة بعين الحكمة والعدالة وقد مات بعد أن بلغ الواحد والستين من عمره سنة ٣٤٧ ق م.

يراجع في ذلك: يوسف كرم – المرجع السابق– ص ٦٢، دكتور/ هلالى عبد الاه احمد– المرجع السابق– هامش٩١– ص٦٠، ٦١.

١– دكتور/ إمام عبد الفتاح إمام – مدخل إلى الفلسفة – القاهرة– دار الثقافة للطباعة – سنة ١٩٧٢ – ص ٣٣٥.

(*) ولد أرسطو سنة ٣٨٤ ق – م في مدينة أستاجيرا، وعندما بلغ السابعة عشر من عمره أنتقل إلى أثينا والتحق بأكاديمية أفلاطون، وما لبث أن أمتاز بين أقرانه فسماه أفلاطون (العقل) لذكائه الخارق. وتوفي عن عمر يناهز ٦٣ سنة ٣٢٢ ق. م في مدينة خلقيس. (دكتورة/ نازلي إسماعيل حسين – المرجع السابق – ص ٢٧٠).

٢– دكتورة / نازلي إسماعيل حسين – المرجع نفسه – ص ٣٧٨.

❖ **الثانية: النفس الحاسة أو الحيوانية. وهى علة الإحساس والحركة في الحيوان والإنسان.**

❖ **الثالثة: النفس الناطقة أو العاقلة. وهى علة العقل والإرادة في الإنسان[1].**

الاتجاه الثالث ـ حقيقة الإنسان عند فلاسفة المسلمين[2]:

عنيت الفلسفة الإسلامية بطوائفها الثلاث[3]، بالمشاكل التقليدية الكبرى وهى مشكلة الإله والعالم والإنسان. وفصلت القول فيها متأثرة أولا ببيئتها والظروف المحيطة بها، ومستعينة ثانيا بما وصل إليها من دراسات فلسفية سابقة شرقية كانت أو غربية، وانتهت إلى طائفة من الآراء التي اختلفت في بعض التفاصيل والجزيئات باختلاف رجالها، فإنها تلتقي في مذهب شامل ونظريات مشتركة. وتمتاز بوجه عام بالمميزات الآتية:

- **أنها فلسفة دينية روحية:** تقوم على أساس من الدين وتعول على الروح تعويلاً كبيراً.
- **فلسفة عقلية:** تعتد بالعقل اعتداداً كبيراً، وتعول عليه التعويل كله في تفسير مشكلة الألوهية والكون والإنسان.
- **فلسفة توفيقية:** توفق بين الفلاسفة بعضهم البعض وتسعي للتوافق بين الفلسفة والدين.

١- يوسف كرم – المرجع السابق – ص ١٥٦.

٢- دكتور/ هلالى عبد اللاه أحمد– المرجع السابق – ص ٢٥٣ وما بعدها، ويراجع أيضا: دكتور/ إبراهيم مدكور – الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق – القاهرة – دار المعارف – الجزء الثاني– سنة ١٩٨٣، ولنفس المؤلف يراجع: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – طبعة أولي– سنة ١٩٧٠، الأستاذ/ أحمد أمين – فجر الإسلام – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية – ط ٧– سنة ١٩٦٩.

٣- الطوائف الثلاثة التي عنيت بالتفكير الفلسفي في الفكر الإسلامي هي: طائفة المتكلمين وطائفة الفلاسفة المتخصصين وطائفة المتصوفين. (دكتور/ محمد يوسف موسى – القرآن والفلسفة – القاهرة – دار المعارف – ط ٤– سنة ١٩٨٢، ولنفس المؤلف: بين الدين والفلسفة في رأى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط – دار المعارف – سنة ١٩٥٩).

- فلسفة وثيقة الصلة بالعلم: تغذى العلم ويغنيها، وتأخذ عنه ويأخذ عنها، وفلاسفة الإسلام علماء.

وبعد هذه المقدمة التي قصدنا منها أن نقف على حقيقة الأمر وهو الإنسان، وكيف نظرت إليه الحضارات القديمة، وتناولته المذاهب الفلسفية المختلفة، وكيف ستتناوله الفلسفة الإسلامية (التي كان من الأهمية أن نعرض لمميزاتها التي يرتكز عليها منهجها)، نعرض لمذاهب الفلسفة الإسلامية عن حقيقة الإنسان.

*** موقف أبن القيم الجوزية[1]:**

تعرض أبن القيم الجوزية لحقيقة النفس فقال: (أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسرى فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسد اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف متشابكا لهذه الأعضاء، وأفاد هذه الآثار من الحس والحركة الارادية. أما إذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن وأنفصل إلي عالم الأرواح).

وفى هذا الشأن قال مقاتل بن سليمان: للإنسان حياة وروح ونفس، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء ولم تفارق الجسد، بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤية بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس. فإذا حرك رجعت إليه أسرع من طرفه العين، فإذا أراد الله عز وجل أن يميته في المنام أمسك سبحانه تلك النفس التي خرجت[2].

١- هو شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن أبى بكر أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي – توفى سنة ٧٥١ هجرية.

٢- راجع كتاب الروح لابن القيم الجوزية – في الكلام عن أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء – القاهرة – مكتبة المتنبي – ص ١١٧، ص ٢١٨.

*** موقف أبي الهذيل العلاف[1]:**

يري أن الإنسان هو الشخص الظاهر المرئي الذي له يدان ورجلان وهو مكون من جسم ونفس وروح وحياة وحواس. أما الجسم فمكون من أبعاض كل بعض من أبعاضه لا يفعل علي انفراد، ولو أنه فاعل مع غيره ولكن الفاعل هو هذه الأبعاض. أما النفس فلم يعط لها أبو الهذيل تعريفاً محدداً، أنما يقول: (هي معني يختلف عن الروح والروح معني يختلف عن الحياة والحياة عنده عرض)، وانتهي من هذا التقسيم إلي أن الإنسان في حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحياة أما الحواس فهي أعراض وهي غير البدن.

*** موقف النظام[2]:**

يقول أن الإنسان هو الروح ولكنها متداخلة في البدن ومشابكه له وان البدن أفه عليه وحاجز وضاغط له. وأورد زرقان عنه أن: (الروح هي الحساسة الداركة وأنها جزء واحد وأنها ليست بنور ولا ظلمه). ومعني ذلك أن القوي المحسة والمدركة تعود كلها إلي النفس. والنظام ينكر وجود حواس مستقلة، ويري أن الروح هي التي تدرك المحسوسات من هذه الفتحات..... الإذن والفم.

*** موقف الشيعة الإسماعيلية[3]:**

ينظر أخوان الصفا[4] إلي الإنسان على أنه عالماً (صغيراً)، وقد استقوا هذا التصور من احدي النظريات القديمة، التي كانت سائدة في إيران في القرن

١- هو أبو الهذيل محمد بن أبي الهذيل محمد بن أبي الهذيل محمد بن أبي الهذيل العلاف – أو أبو الهذيل محمد بن الهذيل ابن عبد الله بن مكحول العبدي. ولد سنه ١٣٥ هـ – ٧٥١ م وتوفي سنه ٢٣٥ هـ –٨٤٢ م. ويعتبر أبو الهذيل فيلسوف المعتزلة الأول. ولقب بالعلاف فيما يقول ابن المرتضي لان داره بالبصرة كانت في العلافين وهذا خطأ فقد لقب المعتزلة بأسماء الصنائع التي كانوا يقومون بها.

٢- هو إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري المعروف بالنظام. ويكنى أبا إسحاق. وهو ابن أخت العلاف وتلميذه أخذ عنه ثم خرج عليه واستقل بمذهبه. ويعتبر النظام من اكبر الشخصيات الفلسفية في مدرسة المعتزلة وأعمقهم فكراً وأصالة.

٣- مذهب الشيعة الإسماعيلية نسبة إلي إسماعيل اكبر أولاد جعفر الصادق، والذي أنتقلت إليه الأمامة بعد وفاة أبيه.

٤- من اكبر دعاه هذا المنهج أخوان الصفا والإسماعيلية الباطنية.

الخامس قبل الميلاد، والتي فسرت العالم على أساس مبدأ التناظر بين الكون الأكبر والكون الأصغر، والسبب في تسميّة الإنسان أو وصفه بالعالم الصغير، هو أن الحكماء القدامى لما تأملوا في الكون أجمعه لم يجدوا جزءاً من أجزائه أتم بنية وصورة من الإنسان، كذلك وجدوا أن الإنسان هو اشد واقرب المخلوقات شبها بالكون. وكون الإنسان (عالماً صغيراً) هو مما يدل على صدور الأشياء على علة واحدة، كما أن تركيب الإنسان من نفس واحد وجسد واحد هو السبب في أنه يشبه الكون تماما، وفي آلا تساويه بقيه المخلوقات في هذا التشابه.

* ***موقف الكندي[1]:***

يري الكندي أن: (الإنسان مكون من جوهرين رئيسين هما جوهر مادي وآخر لا مادي. وهذان الجوهران يخرجان إلى حيز الوجود عن طريق الخلق الإلهي للإنسان. وهذا معناه أن الجسم والنفس لم يسبق الواحد منهما الأخر، بل جاء إلى الوجود الفعلي معاً. وأن موت الإنسان أنما يتعلق بالجوهر المادي فقط، فالجسم هو الذي يفسد ويموت وينحل، أما النفس الناطقة {العقل} فيري أنها باقية خالدة).

* ***موقف الفارابي[2]:***

يري الفارابي أن الإنسان يتكون من صورة ومادة أو من نفس وبدن. وأن النفس لا وجود لها قبل البدن، فالنفس لا بد أن تكون ملازمة للبدن، وما يميز البدن عن النفس هو أن هذه الأخيرة لا صورة لها ولا شكل، وهي خالدة لأنها من عالم الآمر، أما البدن ففاسد لأنه من عالم الخلق. وتنقسم النفس إلي:

١- هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن عدي بن كرب......، ويعتبر الكندي فيلسوف العرب الأول الذي وقف علي الفلسفة اليونانية وأفاد منها وحاول أن يوفق بينها وبين الفكر الإسلامي بحيث يخرج لنا في النهاية مذهبا (إسلامياً) متكاملاً يتناول فيه مشاكل الالوهية والوجود والإنسان.

٢- هو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي - توفي عام ٣٣٩ هـ - ٩٥٠ م. ويعتبر الفارابي المعلم الثاني بعد أرسطو نظر للدور الكبير الذي قام به في نهضة الفلسفة الإسلامية وإثراء الدراسات الفلسفية، وما قام به من نقل الفلسفة اليونانية إلي العربية بالشرح والتحليل وبصفه خاصة شروحه علي المؤلفات أرسطو.

- **نفس نامية: هي أول ما يوجد في الإنسان لأنه بها يتغذى ثم بعد ذلك القــوه التي بها يحس.**
- **نفس حسية أو حساســـة: والحس ظاهر وباطن، ظاهر هو الحواس الخمسة المعروفة. وباطن هــو المركز الذي تتجمع فيه أحساسات الحس الظاهر.**
- **نفس ناطقة: هى القوة الناطقة التي يعقل بها المعقولات، وتسمى بالعقل.**

موقف أبن سينا[١]:

يعرف أبن سينا النفس بأنها: (كمال أول لجسم طبيعي آلي ذى حياة بالقوة). وبذلك تنقسم النفس إلي[٢]:

- **النفس النباتيـــة: هي كمال أول لجسم طبيعي آلي، من جهة ما يتولد وينمو ويتغذى.**
- **النفس الحيوانية:هي كمال أول لجسم طبيعي آلي، من جهـــة مـــا يـــدرك الجزيئات ويتحرك بالارادة.**
- **النفس الإنسانية: هي كمال أول لجسم طبيعي آلي، من جهـــة مـــا يفعـــل بالاختيار الفكري، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية. والنفس الإنسانية تجمع بين خصائص النفوس في وحدة واحدة.**

في نظر الأمام الغزالي[٣]:

تنقسم النفس عند الأمام الغزالي إلى:

١- هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن ابن علي ابن سينا ولد عام ٣٧٥هــــ بقرية أفشنه بالقرب من بخاري في أسيا الصغرى وتوفي عام ٤٢٨ هــ ، ويعتبر ابن سينا من اكبر فلاسفة الإسلام ذاع صيته في الشرق والغرب وترجمت كتبه الطبيعية والفلسفية إلي أكثر من لغـــة، وقد كان لعلم النفس السينوي اثر كبير علي فلاسفة الإسلام ولذا اقر له المتأخرون بالرئاسة وسموه الشيخ الرئيس واحتذوا أمثاله في معظم أبواب علم النفس.

٢- أحوال النفس للشيخ الرئيس ابن سينا. دكتور/ احمد فؤاد الأهواني- القاهــرة – دار أحياء الكتب العربية – طبعة أولي- ســنة ١٩٥٢.

٣- هو أبو حامد الغزالي ولد علم ٤٥٠ هــ وتوفى عام ٥٠٥ هــ . ولقب بأبي حامد حيث كان له ولد مات في د[illegible]ته اسمه حامد وهو سبب كنيته أبا حامد، وقد ولد في طوس إحدى مدن خرا سان، وقد قضي مقدار عشر سنين في الخلوة والعزلة إلى أن تجلت الحقيقة التي كان يتلهف شوقا إليهـــا، فهدأت نفسه وذهب قلقه وأدرك أن طريق الصوفية هو الطريق الحق.

- نفس نباتية: هي كمال أول لجسم آلي، من جهة ما يتغذى وينمو ويولد.
- نفس إنسانية: هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي، من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي، وجهة ما يدرك الأمور الكلية.

ومعنى ذلك أن الأمام الغزالي يضفى على الإنسان خصائص النبات والحيوان، إلى الجانب الخصائص الإنسانية. والنفس عند الأمام الغزالي جوهر لا عرض وهى حادثة ولا تموت بموت البدن، بل تبقى على وجه الدوام أو الخلود[1].

في نظر أبن رشد[2]:

تنقسم النفس عند أبن رشد ــ كما هي عند أرسطو ــ إلى:

- نفس غاذيــة: هي تلك التي تقوم بوظيفة التغذي والنمو والتوالد، وهى أبسط أنواع النفوس ويشترك فيها النبات والحيوان.
- نفس حساسة: هي التي تقوم بوظيفة الإدراك الحسي، ويشترك فيها الإنسان والحيوان.
- نفس عاقلة: التي يتميز بها الإنسان دون غيره من الكائنات الحية.

واللافت للنظر أن تعريف أبن رشد للنفس، هو نفس تعريف أرسطو لها.

وبعد أن عرضنا لآراء بعض الفلاسفة قديما في حقيقة الشخصية الإنسانية، ثم اتبعنا ذلك بآراء علماء الفقه الإسلامي، فإنه من الأهمية أن نذكر بعض الآراء التي تناولت حقيقة الإنسان عند فلاسفة اليهود وفلاسفة المسيحية، ثم نتبع ذلك بعرض لحقيقة الإنسان كما صورتها الفلسفة الحديثة والفلسفة المعاصرة.

١- للمزيد في هذا الشأن يراجع: المنقذ من الضلال - طبعة الشيخ عبد الحليم محمود - مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة - ط٢- سنة ١٩٥٥، الأمام الغزالي - معارج القدس. مشار إليه لدي: دكتور/ هلالى عبد اللاه أحمد - مرجع سابق - هامش ٦٦٣ - ص ٤٠٦ وما بعدها.

٢- هو أبو الوليد محمد ابن احمد بن محمد بن رشد ولد عام ٥٢٠ هـ - ١١٢٦ م وتوفى عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٧ م وكنايته أبو الوليد، وقد اشتهر في العصور الوسطي الأوروبية باسم أفروس averroes ولد بقرطبة عاصمة الأندلس، وهو يعتبر أخر فلاسفة الإسلام الكبار وقد درس الفقة وبرز فيه كما درس علم الكلام، وتتلمذ على يد أبى جعفر هارون حيث درس الطب، وتبحر في دراسة الفلسفة، وتمتاز مؤلفاته بالتنوع وغزارة الإنتاج، وقد احرق الخليفة المنصور كتبة ونفاه إلى اليسانه وهو مكان يكثر فيه اليهود.

أ ـ حقيقة الشخصية الإنسانية عند فلاسفة اليهود:

* عند موسى بن ميمون[1]:

يرى أبن ميمون أن النفس هى التي تحرك الإنسان وهى صورته، لكنها ليس جوهرا بل نشاط موحد. والنفس واحدة وإن تعددت وظائفها، والنفس التي تمثل صورة الإنسان هى النفس العاقلة. والإنسان الحقيقي هو الذي يحصل على هذه الصورة باتحاد العقل السلبي بالعقل الفعال، أما من لا يستطيع تحقيق هذا الاتحاد فأنه لا يكون إنساناً بل هو حيوان له وجه إنسان، ويمكن اعتبار النفس بمثابة المادة والعقل بمثابة الصورة.

* عند أسحاق البلاغ[2]:

يرى البلاغ أن النفس بالفعل ليست في الجسم لأنها لا تستقر في مكان، ويفسر ذلك بقوله أن النفس تمارس نشاطاً خيالياً عاملاً. وبينما يرتبط النشاط الأول بالجسم فإن النفس ذاتها ليست مرتبطة به بما أنها لا يمكن أن تستقر في مكان. ويؤمن البلاغ بخلود النفس ويرى أن النفس تحقق كمالها بواسطة التحقق الكامل لإمكانياتها العقلية.

ب ـ حقيقة الشخصية الإنسانية عند فلاسفة المسيحية:

* عند ألبرت الكبير[3]:

بالنسبة لحقيقة النفس البشرية فقد ذهب ألبرت الكبير إلى أن العقل المادي يلعب نفس دور المادة. كما قال بالخلود الفردي للنفس، أي أن العقل خالد.

١- هو أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله موسى بن ميمون، ولد في ٣٠ مارس سنة ١١٣٥م في قرطبة، وتوفي عن سبعون عاماً في ١٣ ديسمبر سنة ١٢٠٤م، وقد حمل جثمانه إلى طبرية بفلسطين حيث دفن في قبور عظماء اليهود. ويعتبر من أشهر فلاسفة التوفيق بين العقل والنقل، أو بين الفلسفة والدين، وجاءت هذه المحاولة من أصل الدفاع عن الدين لا من أجل الدفاع عن الفلسفة.

٢- عاش أسحاق البلاغ في القرن الثالث عشر في شمال أسبانيا أو جنوب فرنسا، وكان فيلسوفا عقلانيا جزئيا. نقل إلى العبرية كتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي وعلق عليه فيما أسماه (إصلاح النظريات).

٣- ولد في بافاريا سنة ١٢٠٦م، وقد عكف على دراسة اللاهوت إلى أن أصبح عضوا في هيئة التدريس بكلية اللاهوت بباريس عام ١٢٤٢م، ومن مؤلفاته (في وحدة العقل رداً على أبن رشد).

• عند توماس الأكويني[١]:

ذهب إلى أن الجوهر الإنساني مكون من مادة هى الجسم، وصورته هـي النفس، وهذه الأخيرة ليست مادية ولا تفنى بفناء الجسد رغم أنها صـورة لـه، كما أن النفوس الفردية لا تعود للنفس كلية بعد الموت، بل تظل خالدة ومتكـاثرة عددياً. والنفس هى الصورة الجوهرية الوحيدة للإنسان، وهـي متحـدة بالبـدن اتحاد الصورة بالمادة، والمقصود بالنفس هنا النفس العاقلة، التي تميز الإنسـان عن غيره من الحيوانات.

ت ــ حقيقة الشخصية الإنسانية في الفلسفة الحديثة:

يقصد بالفلسفة الحديثة تلك الفلسفة التي ظهرت في العصـور التـي تلـت عصر النهضة(*)، ولـو أمعنا النظر فـي الخصائص المميزة للفلسفة الحديثـة

١- دكتور/ هلالى عبد اللاه أحمد - مرجع سابق - ص ٤٧٦ وما بعدها.

(*) قبل عصر النهضة وفي مرحلة ذبول الفلسفة اليونانية- بعد سنوات ازدهار ممتدة عبر التاريخ- ظهرت المدرسة الأبيقورية (وتنسب إلى الفيلسوف أبيقور EPICURE الذي ولد سـنة ٣٤١ ق. م في ساموس، ومات سنة ٢٧٠ ق. م بعد أن مرض بالحصوة، وقد انتشرت تعاليمه بعد وفاتـه فـي بعض مدن ايونيه وفي مصر ثم في ايطاليا)، حيث يري EPICURE أن النفس الإنسانية جسم حار لطيف للغاية، تتألف مع الجسم وتنحل بانحلاله. وهى أثنان أولها وظيفتان لوحدة حيوية وهـي بـث الحياة في الجسم، والأخرى وجدانية وهى الشعور والفكر والإرادة. تؤدي الوظيفة الأولى بجـواهر لطيفة متحركة حارة منتشرة في الجسم كله، تؤدي الوظيفة الثانية بجواهر ألطف محلها القلب. الأولى شرط الثانية والجسم شرط النفس كلها، فأنه إذا انفصلت جواهر الجسم انطلقـت الـنفس وتبـددت جواهرها، والنفس تتألم بألم الجسم، أما النفس المفكرة فإن لها من الاستقلال ما تستطيع معه أن تكون سعيدة مهما يكن من حال الجسم. (أ/ يوسف كرم- مرجع سابق- ص ٢١٧).

ــ ثم ظهرت المدرسة الرواقية (وتنسب إلى الفيلسوف زينون ZENON الذي ولد سنة ٣٣٦ ق. م في مدينة كتيوم في قبرص وكان ضئيل الجسم قصيرا بعض الشيء، وتوفي سنة ٢٦٤ ق. م، وقـد سميت بمدرسة الرواقية لأن زعيمها كان يلقي دروسه في بعض أروقة أثينـا المزينـة بكثيـر مـن النقوش، وسميت أيضا بمدرسة الزهد لأن تعاليمها تقتضي على الإنسان أن يعيش متقشـفا زاهـدا)، ومن أنصار هذه المدرسة الفيلسوف ماريون، وكان الرواقيون يعتقدون أن كل موجود هـو جسـمي حتى العقل وفعله، وأن كل جسم يتكون من مبدأين هما مادة ونفس حار يتحد بالمادة ويتواتر فيستبقي أجزائها متماسكة، والنفس الحار هو في الحيوان والإنسان. وقسم الرواقيون النفس الإنسانية إلى ثمانية أجزاء: الحواس الخمسة وملكة النطق وملكة العقل أي الفكر في ذاته والقدرة على التناسل....... =

لوجدنا أنهـــا أولاً وقبل كل شيء فلسفة نقدية، تعنى بمشكلة المعرفة أكثر ممـــا تهتم بمشكلة الوجود(*).

*** *حقيقة الإنسان عند ديكارت* (Descartes)(١):**

تناول ديكارت حقيقة الإنسان بالدراسة، بوصفه الملتقى الـــذي اجتمـــع فـــي شخصه جوهرين متمايزين متضادين هما النفس والجسم، النفـــس روح بســـيط مفكر والجسم امتداد قابل للقسمة. وليس فـــي مفهوم الجسم شيء ممـــا يخـــص النفس، وليس في مفهوم النفس شيء ما يخص الجسم. ومع ذلك فـــإن النفـــس والجسم يؤلفان موجوداً واحداً. فكيف يمكن تفسير ذلـــك ؟ يـــرى ديكـــارت أن العلاقة التي نراها في الإنسان بين النفس (العقل) والجسم، لا يمكـــن أن تعلـــل بشيء من طبيعتهما، لأنهما ضدان متناقضان فلم يبق إلا أن يكون اتحادهما هذا حقيقة خارقة، أرادها الله على الرغم من أنها لا تتفق مع طبائع الأشياء(**).

- وينتج عن الخطأ في الفكر الانحراف والضلال وهو بـــذرة الكثيـــر مـــن الانفعـــالات ولأســـباب الاضطراب عند الإنسان، ويرى ZENON أن الانفعالات هى حركة غير عاقلة في النفس ومخالفة للطبيعة، أو أنها ميل مسرف، وهناك من يقول منهم أن للانفعالات أنواع أربعـــة: الألـــم والخشـــية والرغبة واللذة. (أ/ يوسف كرم- المرجع نفسه- ص ٢٢٣ وما بعـــدها، دكتـــور/ عـــزت قرنـــي- نصوص من الفلسفة اليونانية- بدون ناشر- سنة ١٩٨٠- ص ١٥٣ وما بعدها).

(*) النظر العقلي الذي تحرر على يد مفكري عصر النهضة من السلطة الدينية، سرعان مـــا اتجـــه باهتمامه نحو الذات نفسها، بوصفها مصدر كل معرفة. ومن هنا فقد جاء بيكون وديكارت ووضـــعا الدين بكل احترام خارج نطاق الأنظار العقلية، وعملا على تأسيس الفلسفة الحديثة بالاستناد إلى العقل وحده. ولكنهما لم يلبثا أن اصطدما بمشكلة الحقيقة فكان على كل منهما أن يحاول الاهتداء إلى أداة جديدة للبحث. (دكتور/ هلالى عبد اللاه احمد- مرجع سابق - ص ١٢١).

١- هو رينه ديكارت: ولد في ٣١ مارس سنة ١٥٩٦ في بلدة لاهي بمقاطعة تورين - فرنسا، وقـــد سمي وهو صغير (الفيلسوف الصغير) وقد عشق الترحال باحثا عن مكان يخلد فيه إلى ذاته ويتأمل ويفلسف ما يراه، فتنقل بين فرنسا وألمانيا وهولندا ومات في ١٦٥٠/٢/١١. يراجع: دكتور/ عثمان أمين - ديكارت- القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية - ط٦- سنة ١٩٦٩- ص٣٣.

(**) وتتم العلاقة بين العقل والجسم بواسطة جزء معين هو الغدة الصنوبرية (هي تلك الغدة التي تقع في وسط المخ فـــي أعلى اتجاه العمود الفقري، ولا يزيد حجمها عن ثلث بوصة ووزنها عن حبـــة القمح) فعندها تنتهي الآثار الواردة من الخارج التي تنتقل عن طريق الأعصاب، ومنها تصدر الأوامر للأعصاب فتحرك العضلات ويتحرك الجسم. (د/ هلالى عبد اللاه - المرجع السابق - ص ١٣٨).

*** حقيقة الإنسان عند بيكون (pacon):**

الإنسان ميال بالطبع إلى تعميم بعض الحالات دون التفات إلـى الحـالات المعارضة وإلي تحويل المماثلة إلى تشابه وتواطؤ، وإلي أن يفرض في الطبيعة من النظام والاطراد أكثر مما هو متحقق فيها، وإلي أن يتصور فعـل الطبيعـة على مثال الفعل الإنساني، فيتوهم لها غايات وعللاً غائية[1].

*** حقيقة الإنسان عند كانط (kant):**

هناك مصدرين للمعرفة لا غني لأحداهما عـن الآخـر همـا الحـس أو الحساسية وبها يكتسب الإنسان الإدراكات الحسية، والفكر أو الفهم أو الـذهن وبه يكون الإنسان المدركات العقلية. ويقصد بلفظ أحساس شعور الإنسان بوجود أحدى المؤثرات على أحدى الحواس، فقد تنبعث فينا الأشياء الخارجة عنا طعماً على اللسان أو رائحة فـي الأنف أو صوتا في الأذن أو حرارة على الجلد، أو لمعة خاطفة من الضوء على شبكة العين، أو ضغطة على الأصابع، فهذه الآثار الحسية هى المادة الخام الأولية التي تمدنا بها التجربة، وليسـت تسـمى هـذه الاحساسات (معرفة) مادامت مفرقة مفككة، ولكن إذا ما اتحدت المظاهر السابقة كلها في مجموعة واحدة متعلقة بشيء معين، كان إدراك الإنسان لهذا الشيء هو المعرفة لأن الإنسان لا يشعر بمؤثر عن حاسة فحسب بل يدرك شـيء، وهـذا الإدراك للشيء في مجموعة هو ما نسميه الإدراك الحسي[2].

*** حقيقة الإنسان في تصور هيجل (Hegel)[3]:**

ماهية الإنسان روح أي شعور وحرية، والشعور والحرية على درجات ثلاث:

١- فرنسيس بيكون: ولد ٢٢ يناير ١٥٦١ في مدينة لندن، وتوفى في التاسع من ابريل سـنة ١٦٢٦. (أ/ يوسف كرم – تاريخ الفلسفة الحديثة – دار المعارف – ط٦ – سنة ١٩٧٩ – ص ٤٤).

٢- إيمانويل كانط: ولد في ٢٢ ابريل سنة ١٧٢٤ م بمدينة كونجسبرج علـى الحـدود الشـمالية الشرقية لألمانيا، وتوفى سنة ١٨٠٤م بعد أن فقد البصر والذاكرة – وكان يرمى إلى تفسير النظـام الفلكي علـى أساس القوانين الميكانيكية وبحسب مبادىء نيوتن، ثم تحول إلى فلسفة الأخلاق.

٣- جورج فلهلم فردريك هيجل: ولد ٢٧ أغسطس سنة ١٧٧٠ في مدينة شتوتجارت بألمانيا، وفـى سنة ١٨٠١م حصل على دكتوراه برسالة أفلاك الكواكب، وكان تفكيره فيه قوة وعمق، وتوفى متأثرا بإصابته بوباء الكوليرا في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٣١م. (دكتورة/ نازلي إسماعيل حسين – الفلسفة –

- ففي الدرجة السفلى الروح مقارن للجسم ينمو وينضج ويشيخ معه، أحساساته غامضة يقابلها انفعالات غامضة، وهذه (جسمية الروح) أي التي يسميها علم النفس الآن بالشعور.
- ثم يظهر الشعور الواضح فيدرك الإنسان ذاته ويدرك الأشياء، وهذان إدراكان متعارضان ويوفق بينهما الفهم الذي وظيفته أدراج الإحساس تحت قوانينه الأولية، وجعل مدركات الشعور موضوعية، ووضع الحقيقة على ما بين كانط.
- وفوق جسمية الروح والشعور الواضح المعني بالفهم نجد العقل الذي يؤلف بينهما، إذ يجعل من قوانين الشعور قوانين الحياة. بمعنى أن النظر ينقلب عمليا حين يتخذ الروح ذاته موضوعا لأرادته، كما قال كانط فيتفق النظر والعمل. فالروح الذاتي حين يقر بالحقيقة والقانون، يقر بسمو الروح الموضوعي ويقدمه على نفسه[1].

ث ــ حقيقة الإنسان في الفلسفة المعاصرة[*]:

لو نظرنا إلى الفلسفة المعاصرة من حيث الموضوع لوجدنا أن التسمية الأساسية التي تميزها عن ما عداها من العصور الفلسفية السابقة هي أنها فلسفة (عصر التحليل)، فلم نعد نجد تركيبات فكرية هائلة أو مذاهب فلسفية ضخمة، بل أصبحنا نلتقي بنزعات تحليلية يهتم دعاتها بالمنهج ويحرصون على الدقة، ويتوخون النصاعة الذهنية. وقد ظهرت في الفلسفة المعاصرة صراعات الحياة

- الألمانية – القاهرة– المكتبة القومية – سنة ١٩٨١ – ص ٢٥٩).

١- يوسف كرم– المرجع السابق – ص ٢٨٠.

(*) تميز القرن العشرين بتعدد الاتجاهات الفلسفية وتنوعها، ويصعب إن لم يستحيل أن نحدد في الوقت الحالي كل هذه التيارات الفلسفية التي نخر بها هذا القرن، ومن أهم مذاهب هذه التيارات النزعة البرجماتية (وليم جيمس)، والنزعة الحيوية (دلتاي وهنرى برجسون)، والنزعة الفنومنولوجية (ارموند هو سرل)، والنزعات الوجودية (مارتن هيدجر وكارل يسبرز)، والوجودية المسيحية (جبريل مارسيل)، والوجودية الملحدة (جان بول سارتر)، والواقعية الجديدة (برتراند رسل). المزيد في شأن التيارات الفلسفية في القرن العشرين يراجع: (دكتور/ هلالى عبد اللاه أحمد – مرجع سابق– ص ١٧١ وما بعدها).

والوجود بصورة قوية، وأصبح الإنسان هـو الأسـاس فـي طـرح المسـائل والمشكلات، وأصبحت قضاياه هي قضايا العصر من حيث قيمتـه ومصـيره، وترتب على ذلك أن اتجهت الفلسفة المعاصرة إلـى التنديد بالروح المذهبيـة، والتغير من كل نزعة اعتقادية ضيقة الأفق. وأخيرا فإن الغاية التـي تتغاياهـا الفلسفة المعاصرة بكل اتجاهاتها المختلفة هي إعادة بناء العقل[1]. وقـد كانـت نظرات مذاهب الفلسفة المعاصرة لحقيقة الشخصية الإنسانية غربية متباينة مـن مذهب إلى آخر، ومعتمدة على معتقدات رواد هذا المذهب:

***** *في الحركة البراجماتية (وليم جيمس ١١ يناير ١٨٤٢ ـ ١٩١٠م):*

تفسر المعاني بنتائجها العملية. وتنكر الحقائق المطلقة الثابتة الأزليـة كمـا تنكر وجود معارف أولية فطرية في العقل الإنساني مزودا بها، فالحقائق نسـبية ومتغيرة. وهو يغلب المذهب المادي على الروحية، وذلك غاية في الخطـورة، لأن منافعنا ليست فقط حسية بل هناك منافع عليا ترجع إلـى حاجتنـا العميقـة لنظام خلقي دائم. وأن خصائص الإنسان ليست سوى أعراض مختلفـة لتفاعـل المادة والقوة مثل الحياة والفكر[2].

***** *في الاتجاه الحيوي/ فلسفة الحياة (هنري برجسون ١٨٥٩ ـ ١٩٤١م):*

إن الحياة هي الصورة الأصلية للوجود الواقعي، أو للوجـود بوجـه عـام. وحقيقة الإنسان في هذا المذهب تستقيه من نزعة برجسـون الحدسـية التـي تهدف إلى إدراك مباشر يتيح لصاحبه النفاذ إلى باطن الحياة وسبر أغوار الواقع وإزاحة النقاب عن الحقيقة التي تكمن من وراء ضـرورات الحيـاة العمليـة، ومنهج الفلسفة في هذا الاتجاه التعاطف الروحي وأداتها الحـدس الـذي يقـوم الإنسان عن طريقه بلون من ألوان الفحص الروحي للواقع، يستطيع أن يحـس بنبضات قلب الواقع[3].

١- دكتور/ هلالي عبد اللاه أحمد - المرجع نفسه- ص ١٨٥ وما بعدها.

٢- كلمة برجماتية pragmatism مشتقة من الكلمة اليونانية pragm ومعناها العمل.

٣- يطلق المذهب الحيوي على الرأي القائل: بأن الظواهر الحيوية لها خواص أساسية لا مثيل لها في الظواهر الكيمائية والفيزيائية ومن ثم تنطوي على قوة حيوية مغايرة للقوة المادية.

ثانياً- النظرة الشمولية للشخصية الإنسانية:

نظر الإسلام إلى الإنسان نظرة شمولية، فالإنسان له كيان مركب من جسم وعقل وروح، ويقدر الإسلام هذه الأبعاد في الشخصية الإنسانية ويحدد أهمية كل بُعد منها بالنسبة للحياة الإنسانية وما يتطلبه من توازن وتوافق[1]. وهناك بعضاً من الحقائق الروحية التي فسرتْ كنة الطبيعة الإنسانية في ضوء آيات القرآن الكريم، انطلاقاً من أمور أربعة هي: (الروح- النفس- القلب- العقل).

* بداية في (الروح): يتكون الإنسان الذي خلقه الله تعالى من جسد وروح أما الجسد فشيء مادي نراه بأعيننا ونحسه بحواسنا، إذ هو عبارة عن رأس ووجه وأعضاء متعددة منها الأيدي والأرجل وغير ذلك، وأما الروح فشيء معنوي، لا نراه بأعيننا ولا نحسه بحواسنا ولا نعرف حقيقته أو لونه أو هيئته، لأنه غيب من الغيوب التي استأثر الله تعالى بها[2]. قال جل وعلا في شأن ذلك: (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)[3].

ويذهب جمهور العلماء أن المراد بالروح في قوله سبحانه وتعالى:

١- دكتور/ سيد صبحي – المرجع السابق – ص ٧٨.

٢- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي - العقيدة والأخلاق – القاهرة – دار السعادة للطباعة – الطبعة الثالثة- (١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م)- ص ١٨١ وما بعدها.

٣- سورة الإسراء – آية: ٨٥.

• وأخرج الأمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل أي الرسول صلى الله عليه وسلم. فقالوا لهم: سلوه عن الروح، فسألوه فنزلت هذه الآية الكريمة. فالمقصود من سؤالهم السؤال عن حقيقة الروح وعن كنتها. وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيه الكريمة روايات منها: ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث (زرع) وهو متوكيء على عسيب (اي يستند أثناء المشي على عصا)، إذ هو بجماعة من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح فقالوا: يا محمد ما الروح ؟ فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيء، فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي (وقفت في مكاني)، فلما نزل الوحي قال: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي). والمعنى: يسألك بعض الناس أيها الرسول الكريم عن حقيقة الروح قل لهم على سبيل الإرشاد والزج: الروح شيء من جنس الأشياء التي استأثر الله تعالى وحده بعلم حقيقتها وجوهرها، وما أوتيتم أيها السائلون عن الروح (من العلم إلا علما قليلاً) وذلك بالنسبة إلى علمه سبحانه وتعالى الذي وسع كل شيء ولا يخفى عليه شيء.

(ويسألونك عن الروح) ما يحيا به بدن الإنسان وبه تكون حياتــه، وبمفارقتــه للجسد يموت الإنسان. وقال القرطبي: قوله تعالى: (الروح من أمر ربــي) دليــل على أن خلق الروح وتفسيره هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى مبهما له وتاركا تفصيله، ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مــع العلم بوجودها، وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا، كان عجزه عــن إدراك حقيقة الحق أولى، وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجــاور له، للدلالة على أنه إن يدرك حقيقة خلقه أولى(١).

والخلاصة: أن الروح غيب مــن غيب الله تعالى لا يدركه سواه، ولقد أبدع الإنسان في هذه الأرض ولكنه وقف عاجزا أمام ذلك السر اللطيف (الــروح) لا يدرى ما هــو؟ ولا كيف جاء؟ ولا كيف يذهب؟ ولا آني كان؟ ولا أين يكــون؟ إلا ما يخبر بــه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل(*).

* ثم في معنى (الــنفس): أن لفظ الروح ولفظ النفس لا فرق بينهمــا مــن حيث المعنى(٢). وكلمة النفس إذا وردت في القرآن الكريم فافهم أن لها علاقــة بالروح، وحينما تتصل الــروح بالمادة وتعطيها الحياة توجد الــنفس. والمــادة وحدها قبل أن تتصل بها الروح تكون مقهورة ومنقادة مسبحة لله عــز وجــل،

١- تفسير القرطبي - الجزء الأول - ص ٣٢٤. وقال بعض العلماء (وفى هذه الآية مــا يزجــر الخائضين في شأن الروح المتكلفين لبيان ماهيته وإيضاح حقيقته، أبلغ زجر ويردعهم أعظــم ردع، وقد أطالوا المقال في هذا البحث، وغالبه بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في دين أو دنيا، فقد استأثر الله تعالى بعلم الروح، ولم يطلع عليه أنبياءه، ولم يأذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقة فضلاً عن اممهم المقتدين بهم). للشيخ/ صديق حسن خالد- تفسير فتح البيان- ج ٥- ص ٤٠١.

(*) والمتأمل في الآيات الكريمة، سيدرك أنها تنبهنا إلــى أن إدراكنا لطبيعة الروح قاصر لقلة علمنا بها- وذلك كما قال الله تعالى- إلا أننا نستطيع أن ندرك مغزى ما يوحى به في الطبيعة الإنسانية من دلالات روحية، ذلك المغزى الذي يمثل أهم جانب في الإنسان، وهو الجانــب المعنــوي الســماوي القدسي الذي يجعل الإنسان يميل فطريا إلى أن يسمو بنفسه، ويعلو على ذلك الوجود المادي الحسي المتمثل في ادراك الشهوات وما يصاحبها من ماديات..... ويتطلع إلى الجانب المشرق في تكوينــه وهو الجانب الروحي، وذلك الذي أوضحته الآيات الكريمة أيضا. (دكتور/ سيد صبحي - مرجــع سابق - ص ٢٤).

٢- دكتور/ محمد سيد طنطاوي - مرجع سابق - ص ١٨٤.

فلا نقول الحياة الروحية والحياة المادية، لأن الروح مسبحة والمـــادة مســـبحة، ولكن عندما تلتقي الروح بالمادة وتبدأ الحياة وتتحرك الشـــهوات يبـــدأ الخلـــل. والموت يترتب عليه خروج الروح من الجسد، الـــروح تـــذهب إلـــى عالمهـــا التسخيري والمادة تذهب إلى عالمها التسخيرى[1]. وذلك يجعلنا نفهم قول الحـــق تبارك وتعالى: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)[2]*

هذا والنفس الإنسانية لها صفات:

- منها النفس الأمارة بالسوء: هي التي تدعو صاحبها إلى ارتكاب السيئات، وانتهاك المحرمات، قال تعالى:(وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسـوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)[3].
- والنفس اللوامة: تلوم صاحبها على عدم الإكثار من فعل الخير، والإقـــلاع عن الشر، قال تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة)[4].
- والنفس المطمئنة: هي التي وصلت إلي أسمى درجات العبـــادة، والطاعـــة لرب العالمين، قال تعالي: (يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي)[5].
- والنفس الوسواسة قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه)[6]*

وبالتأمل في الآيات الكريمة، نجد أن النفس واحـــدة ولكنها تمر بحالات متعددة:

١- فضيلة الشيخ الجليل/ محمد متولي الشعراوي – تفسير الشعراوي – دار أخبار اليـــوم – ســـنة ١٩٩١- جـــ ٤- ص ٣٢٧.

٢- سورة النور- آية: ٢٤.

* ولماذا تشهد عليهم أعضائهم ؟ لأنها لم تعد مسخرة للإنسان تتبع أوامره في الطاعة والمعصـــية، فحواسك مسخره لك بأمر الله تعالي في الحياة الدنيا. وهى مسبحة وعابدة فإذا أطاعتك في معصـــية فأنها تلعنك لأنك أجبرتها علي المعصية، فتأتى يوم القيامة وتشهد عليك والله سبحانه وتعالى يقـــول: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها). سورة الشمس – آية: ٧، ٨.

٣- سورة يوسف – الآية: ٥٣.

٤- سورة القيامة – الآية: ١، ٢.

٥- سورة الفجر – الآيات: ٢٧، ٣٠.

٦- سورة ق – الآية: ١٦.

فهي مطمئنة في حالتها السوية، وفي بعض الأحيان يوسوس لها الشيطان بالشر، ثم إذا ارتكب الإنسان الشر فان النفس قد تستفيق وتلوم، أما إذا استمرت في هذا الخضوع فإنها تصبح أمارة بالسوء داعية إلى الشر[١].

١- دكتور/ سيد صبحي – مرجع سابق – ص ٢٣.

ـ فيما ذهب الشريف على بن محمد الجرجاني إلى أن الأنفس أنواع متنوعة، هذه الأنواع: **النفس الأمارة:** هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية تامر بالملذات والشهوات الحسية وتجذب القلب السفلية، فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة. **النفس اللوامة:** هي التي تنورت بنور القلب، قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة كلما صدرت عنها سيئة بحكم جدلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها. **النفس المطمئنة:** هي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة. **النفس النباتي:** هو كمال أول لجسم طبيعي آلي، من جهة ما يتولد ويزيد ويتغذى، والمراد بالكمال ما يكمل به النوع في ذاته ويسمى كمالاً أولا كهيئة السيف للحديدة أو صفاته، ويسمى كمالاً ثانياً كسائر ما يتبع النوع من العوارض مثل القطع للسيف والحركة للجسم والعلم للإنسان. **النفس الحيواني:** هو كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزيئات ويتحرك بالإرادة. **النفس الإنساني:** هو كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الأمور الكليات ويفعل الأفعال الفكرية. **النفس الناطقة:** هي الجوهر المجرد عن المادة في ذاتها مقارنة لها في أفعالها وكذا النفوس الفلكية، فإذا أسكنت النفس تحت الأمر وزيلها الاضطراب بسبب معارض الشهوات سميت مطمئنة، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت موافقة للنفس الشهوانية ومتعرضة لها سميت لوامة، لأنها تلوم صاحبها عن تقصيرها في عبادة مولاها، وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت أمارة. **النفس القدسية:** هي التي لها ملكة استحضار جميع ما يمكن للنوع أو قريباً من ذلك على وجه يقيني وهذا نهاية الحدس. **النفس الرحماني:** عبارة عن الوجود العام المنبسط على الأعيان عينا وعن الهيولى الحاملة لصور الموجودات والأول مرتب على الثاني، سمي به تشبيها لنفس الإنسان المختلف بصور الحروف مع كونه هواء ساذجاً في نفسه، وعبر عنه بالطبيعة عند الحكماء. **نفس الأمر:** هو عبارة عن العلم الذاتي الحاوي لصور الأشياء كل كلياتها وجزئياتها وصغيرها وكبيرها، جملة وتفصيلاً عينية كانت أو علمية. (دكتور/ هلالى عبد اللاه أحمد – مرجع سابق – هامش ص٢٨٩).

• بينما الصوفية عندهم النفس خمسة اضرب: حيوانية وأمارة وملهمة ولوامة ومطمئنة، وكلها أسماء الروح إذ ليست حقيقة النفس إلا الروح وليست حقيقة الروح إلا الحق. (دكتور/ عبد المنعم الحنفي – معجم مصطلحات الصوفية – بيروت – دار المسيرة – ط ١– سنة ١٩٨٠ – ص ٢٥٧).

• وقد جاء في قاموس القرآنالكريم للدامغاني: أن مادة النفس على عشرة أوجه:

الأول: فوجه منها النفس القلب. قوله تعالى في سورة النجم: **(وما تهوى الأنفس)** أي القلوب. =

* ثم في (القلب): تناول القرآن الكريم القلب وعبرت عنه الآيات الكريمة تعبيراً روحياً جميلاً. والقلب بذلك أنواع منها القلب السليم قال تعالى:

- وقوله تعالى في سورة يوسف: (وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) أي قلبي، وقوله تعالى في سورة ق: (ونعلم ما توسوس به نفسه) وقال سبحانه في سورة الإسراء: (ربكم أعلم بما في نفوسكم) يعني قلوبكم. الثاني: من أنفسكم (أي منكم). قوله تعالى في سورة التوبة: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أي منكم. الثالث: النفس الإنسان. قوله تعالى في سورة المائدة: (إن النفس بالنفس) أي الإنسان بالإنسان وقوله تعالى في سورة النساء: (أنه من قتل نفسا بغير نفس).

الرابع: اقتلوا أنفسكم. (أي ليقتل بعضكم بعضاً)، قوله تعالى في سورة البقرة: (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم). الخامس: النفس الروح. قوله تعالى في سورة الأنعام: (والملائكة باسطو أيديهم اخرجوا أنفسكم) أي أرواحكم. وقوله تعالى في سورة الزمر: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) يعني يقبض الأرواح. السادس: أنفسكم أي أهل دينكم. قوله تعالى في سورة النساء: (ولا تقتلوا أنفسكم) بمعنى أهل دينكم. السابع: نفس الإنسان جملته. قوله تعالى في سورة النساء: (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) يعني أن يقتل الرجل نفسه. الثامن: النفس العقوبة. قوله تعالى في سورة آل عمران: (ويحذركم الله نفسه) أي عقوبة. التاسع: النفس الأم. قوله تعالى في سورة النور: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) يعني بأمهاتهم خيراً. العاشر: النفس الغيب. قوله تعالى في سورة المائدة: (تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) أي تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك. (دكتور/ هلالى عبد اللاه أحمد - المرجع السابق - هامش ص ٢٨٧، ٢٨٨).

وللمزيد بشأن معنى النفس يراجع: ما جاء عن ابن القيم الجوزية في مؤلفاته: (زاد المعاد) و (أعلام الموقعين). وأيضا يراجع: كتاب التعريفات -للشريف على بن محمد الجرجاني ص ٤٢٤.

* فيما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم لمُجمع اللغة العربية بخصوص مادة نفس ومعانيها، النفس وتجمع على أنفس ونفوس، وتجيء للمعاني الآتية:

فالنفس: ذات الشيء وحقيقة. ونفس الإنسان والجني من هذا جملته من الجسم والروح وتقول: لا تعتد على نفس أخيك. والنفس: الروح التي بها الحياة، وإذا زايلت الجسم نزل به الموت، وهي باقية ما بقى في الحي نفس، تقول خرجت نفس المحتضر. والنفس: تقع موقع القلب والضمير يكون فيه السر الخفي. تقول: أنا اعلم بما في نفسك. والنفس: معنى في الإنسان يوجهه إلى أفعاله من الخير والشر تقول أمرتنى نفسي وسولت لي نفسي فعل السوء. والنفس: معنى في الإنسان به التمييز والإدراك والإحساس لما يحيط به، وهذا المعنى يفارقه في النوم، لأنه يغيب عن وعيه. وتقول: (أيها المتعلمون أكرموا أنفسكم) أي ليكرم أحدكم الأخر كأنه إذ يكرم الأخر يكرم نفسه. وتقول: من الله عليكم باتخاذ أزواج من أنفسكم. أي من جنسكم ليكون ادعي إلى الألفة وحسن المعاشرة. ويقال: لا تظلم نفسك بحملها على خصال السوء وثق بنفسك. وقد تأتى النفس لتقوم مقام التوكيد فنفس الشيء عينه، تقول: هذا يمس نفسك أي يمسك عينك ولا يمس غيرك. وتأتى النفس مراد بها معين تقول: خلق البشر... -

(يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم)[١]، والقلب الغليظ قال تعالى: **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك)**[٢]، كما وأن للقلب صفات ومعاني قال تعالى: **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها....)**[٣]، وقال تعالى: **(وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون)**[٤]، وقال تعالى: **(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله)**[٥].

ويتضح من هذه الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر القلب أنه ذو صفات، تتمثل في التفقة والغُلف والذيغ، كما ورد في نصوص وآيات قرآنية أخرى، بمعنى القسوة والعمى والاطمئنان والتقوى والتعقل.

* **ثم في (العقل)**: عبرت الآيات الكريمة عن العقل بوصفه قوة مدركة في الإنسان، خلقها الله تعالى فيه لتحدد مسئوليته، وتتحكم في أعماله وتصرفاته، ويصبح العقل محكا من المحكات الرئيسية يلتزم بواسطتها الإنسان الفرد بالصراط المستقيم والطريق السوي، الذي يمكنه من الاستمرار المسئول السليم. ويصبح الابتعاد عن توظيف العقل والاحتكام إلى غير منطقه ضرباً من ضروب الضلال، وسبباً من أسباب الانحراف، والجموح الذي يبعد الإنسان عن الصراط المستقيم...، ويجعله – من خلال تصرفاته غير العاقلة – في موضوع المذنب المخطيء[٦]. قال تعالى: **(.....وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)**[٧]، والمعنى يتدبرون.

---

* من نفس واحدة أي من آدم علية الصلاة والسلام. (دكتور/هلالى عبد اللاه أحمد – مرجع سابق – هامش ٤٠٣ – ص ٢٨٦).

١- سورة الشعراء – الآية: ٨٨، ٨٩.

٢- سورة آل عمران – الآية: ١٥٩.

٣- سورة الأعراف – الآية: ١٧٩.

٤- سورة البقرة – الآية: ٨٨.

٥- سورة آل عمران – الآية: ٧.

٦- دكتور/ سيد صبحي – مرجع سابق – ص ٢٧.

٧- سورة البقرة – الآية: ١٦٤.

وقال تعالى: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)[1]، والمعنى لذوى العقول. وقال تعالى: (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون)[2]، وقال عز وجل: (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون)[3]. والمعنى في الآيتين من الإيمان (متؤمنون). وقال تعالى: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)[4]، والمعنى تَفهم وضرب مثلا بالأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدها[5].

ثالثا ـ السلوك الإنساني [Behaviour human]:

أ ـ المقصود بالسلوك الإنساني:

يقصد بالسلوك[*] (BEHAVIOUR) لدي علماء النفس المعاصرين جميع الأنشطة التي يقوم بها الكائن الحي، وبذلك يدخل تحت مفهوم السلوك المناشط العقلية والمناشط الفسيولوجية التي تحدث داخل الكائن الحي ذاته. فالسلوك الإنساني لا يقتصر على أوجه النشاط الظاهر (OVERT) كالكلام والمشي والحركة والضحك أي الفعل الملموس بوجه عام[6]، وإنما يتعداه إلى السلوك الضمني أو الداخلي- الذاتي- (SUBJECTIVE BEHAVIOUR) الذي يتمثل في التخيل والتفكير والتذكير والانفعال والعواطف........ وغير ذلك[**].

١- سورة آل عمران – الآية: ١٩٠.

٢، ٣- سورة يس – الآية: ٦٢، الآية: ٦٨.

٤- سورة الفرقان – الآية: ٤٤.

٥- تفسير الجلالين بهامش المصحف الشريف – القاهرة – دار الحديث – ط٣ – ١٤٠٧هـ.

(*) السلوك لغة: سلك – (السلك) بالكسر الخيط وبالفتح مصدر (سلك) الشيء في الشيء (فانسلك) أي ادخله فيه فدخل، وبابه نصر. قال الله تعالى: (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) و(سلك) الطريق إذا ذهب فيه وبابه دخل وأظنه سها عن ذكره لأنه مما لا يترك قصدا. (معجم مختار الصحاح – باب السين – عمود سلك– ص ١٣٠).

٦- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوي – علم النفس الفسيولوجي (دراسة في السلوك الإنساني) ـ الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية ـ سنة ١٩٨٧ـ ص ١١٣.

(**) السلوك الإنساني هو كل نشاط يصدر عن الفرد استجابة لعلاقته بالموقف والبيئة التي يعيش فيها، بكل ما في هذه البيئة من عناصر إنسانية ومادية واجتماعية وقد يحدث على مستويات مختلفة. دكتور/ سعد المغربي – علم النفس الجنائي – مطبعة كلية الشرطة – سنة ١٩٨٦– ص ٢٠.

ويرجع علماء النفس أن سلوك الفرد أنما يكـون اسـتجابة (RESPONSE)، لمنبهات أو مثيرات في بيئة الفرد الواقعية أو النفسية.

والمنبه أو المثير(STIMULUS) إنما هو عامل خارجي أو داخلي، يثيـر نشاط الكائن الحي أو عضو من أعضائه، والمنبهات قد تتعقـد فتكـون موقفـا (SITUATION)، والاستجابة قد تكون استجابة حركية أو لفظية أو انفعاليـة أو معرفية أو قد تكون استجابة بالكف أي التوقف عن السلوك[1].

وخلاصة القول أن السلوك الإنساني هو كل أوجه نشاط الفرد التي يمكـن ملاحظتها سواء بالأدوات القياسية أو بدونها، مثل حركـات الفـرد وإيماءاتـه وطريقة استخدامه للغة وتفاعلاته وتخيلاته ودوافعه وإدراكه وقدراته......الـخ. ويقسم العلماء السلوك الإنساني إلى موضوعات رئيسية يدرسون كل موضـوع على حده يعطونه اسما معينا، إلا أنه يجب أن نضع في اعتبارنا انه لا وجـود لهذه العمليات منفصلة أو مستقلة عن بعض، بل أن السلوك الإنساني هو التفاعل بين كل هذه العمليات، فكل عملية تؤثر في الأخرى وتتأثر بها بقدر معين[2].

ب ـ *طبيعة السلوك الإنساني*:

السلوك نشاط يصدر عن الإنسان كله باعتباره وحدة نفسه جسمية متفاعلـة متكاملة يعيش في بيئة مادية اجتماعية. والسلوك الإنساني لا يقـوم بـه جـزء خاص أو عضو خاص من الإنسان، وإنما هو نشاط يشمل الكائن كله ويقوم بـه الإنسان برمته. فالإنسان حين يهرب جرياً من خطر فهو لا يهرب بساقية فقـط، وعندما يفكر فهو لا يفكر بعقله فقط وإنما يقوم بكُليته (بكيانه) بهـذا النشـاط أو السلوك الذي نسميه الهـروب أو نسميه التفكير[3]. كذلك فإن الإنسـان عنـدما يخاف مـن شيء أو يقلق على شيء، فإن هذا الانفعال يصحبه تغيرات وأيضا

١- دكتور/ عباس محمد عوض- الأسس النفسية والفسيولوجية للسلوك- الإسكندرية- دار المعرفـة الجامعية- سنة ١٩٨٠- ص٤.

٢- دكتور/ محمود الزيادي - أسس علم النفس العلم - القاهرة - مكتبة سعيد رأفت- ط ١ - سـنة ١٩٧٣ - ص٧.

٣- دكتور/ سعد المغربي - مرجع سابق - ص ٥.

اضطرابات فسيولوجية جسيمة[1]. ويهدف السلوك الإنساني دائما لأشباع (satisfaction) دافع معين، ويتوقف سلوك الفرد على عدة عوامل منها درجة النضج للفرد وحالته الفسيولوجية وخبراته السابق وميوله و اتجاهاته.

والخلاصة أن السلوك الإنساني ظاهرة معقدة (complex phenol menon) لها دوافع متعددة، شعورية ولا شعورية وشبة شعورية، كما تتدخل عوامل متعددة نفسية ومادية وعقلية واجتماعية.

ت ـ وظيفة السلوك وخصائصه:

سلوك الإنسان يستهدف تحقيق توافقه أو تكيفه مع البيئة التي يعيش فيها، والإنسان يعيش في بيئة اجتماعية أي في جو اجتماعي عام له قوانينه ومعاييره التي تحدد السلوك، كذلك فإن الإنسان يسلك سلوكه تبعاً لبيئته السيكولوجية (psychological environment)، أي البيئة كما يدركها هو وليست الواقعية (real environment)[2]. وسلوك الإنسان يتميز بخاصتين أساسيتين[3]:

الأولى: متانة تكوين جهازه العصبي، وشدة ارتباط أجزائه بعضها ببعض وغزارة مادته السنجابية.

والثانية: حدة ذكائه وقوة استعداده للإحساس الدقيق والتفكير السليم.

وينشأ عن هذين العاملين أن يتفوق سلوك الإنسان على سلوك غيره من أنواع الحيوانات العليا من أربعة أوجه هي:

- أن سلوك الإنسان مرن قابل للتغير والتعديل، وفقا لظروف البيئة المتغيرة.
- قدرة الإنسان على التعليم بطريقة التفكير وأعمال العقل، والاستفادة من أخطائه، بما يطلق عليه قانون المحاولة والخطأ.
- سرعته في التعليم وحل المشكلات، والوصول إلى أهدافه بأقرب الطرق وأيسر الوسائل.

١- دكتور/ عباس محمود عوض – المرجع السابق – ص ٥. وإذا استمر القلق، واضحى سلوكاً مزمناً، قد يصاب صاحبه بقرحة المعدة أو الأثنى عشر، أو ضغط الدم الذي جوهرياً أسبابه نفسية.

٢- نفس المكان.

٣- دكتور/ محمد شفيق– علم النفس الجنائي– القاهرة– مطبعة كلية الشرطة– سنة ١٩٩٨– ص١٠.

- إن سلوك الإنسان يصير بالتعود سريعاً محكماً سهلاً، لا يحتاج إلى إعمال فكراً أو جهداً عميق.

ث ـ *التنبؤ بالسلوك:*

يعد التنبؤ بالسلوك الإنساني وأن كان صعباً عسيراً، نظرا لتعدد الشروط والعوامل والمتغيرات المختلفة التي تتدخل فيه وتثيره وتوجهه، إلا أنه خير من التخبط والجهل، والتنبؤ بالسلوك يمكن أن يتوافر بدرجة أو بأخرى كلما توافرت الشروط العلمية والمنهج العلمي في فهمه.

والتنبؤ من شأنه أن يوفر على الإنسان كثيراً من الجهد والوقت والمال[١]، (فمثلاً) إذا تمكنا من معرفة الخصائص العقلية والأنفاعلية لشاب في مقتبل عمره استطعنا التنبؤ بدرجه تحصيله ونجاحه، كما نستطيع التنبؤ باستجاباته في المواقف المختلفة. هذا فضلاً عما يساعدنا به التنبؤ من معرفة التكيف والتوافق بصفه عامة مع عناصر البيئة التي يتعامل معها الفرد، فيمكن بذلك أن نتفادى الوقوع في الكثير من المشكلات، إذا قمنا باتخاذ الإجراءات والتدابير المناسبة.

جـ ـ *أبعاد السلوك الإنساني:*

يسلك الفرد شعوريا أو لا شعوريا في ضوء بُعدين أو دعامتين أساسيتين لسلوكه، الدعامة الأولى البعد الاجتماعي للسلوك، أما الدعامة الثانية فهي البعد الشخصي لهذا السلوك[٢]:

- **فالبعد الاجتماعي لسلوك الفرد:** إنما يحدده النظام الاجتماعي السائد في بيئة الفرد، وما يفرضه هذا النظام من التزامات ومسئوليات وواجبات ومعاييره وأنماط للسلوك.
- **أما البعد الفردي الشخصي لسلوك الفرد:** فإنه يتحدد بالفرد ذاته، كفرد له امكانات معينة في تنظيم ديناميكي مميز لشخصيته والتوافق مع المواقف المختلفة بطريقة معينة.

وعلى هذا فإن سلوك الفرد الاجتماعي ما هو إلا نتيجة للتفاعل الديناميي بين

١- دكتور/ سعد المغربي – مرجع سابق – ص ٧.

٢- دكتور/ عباس محمود عوض – مرجع سابق – ص ٢١٩.

هذين البعدين، ومن ثم فهو مظهر للتوافق بين ما تحدده وتمليه القوى الخارجية المكونة للبعد الاجتماعي كما يدركها الفرد، وبين ما تدفعه إليه القوى الداخلية متمثلة في البعد الفردي لهذا السلوك.

حـ ـ دوافع السلوك الإنساني:

أولا ـ (نظريات تفسير السلوك): ينقسم السلوك إلى سلوك فطرى وسلوك مكتسب متعلم(*)، وهناك سلوك سوى وسلوك مرضى، وأيضا السلوك المقبول اجتماعياً والسلوك المضاد لمبادىء المجتمع ولنتسائل ما هو الدافع لهذا السلوك؟

لقد افترض علماء النفس القدامى أن هناك قوى حيوية هي التي تدفع بالإنسان - الكائن الحي- للإتيان بالأفعال الفطرية - السلوك الفطري - وذلك للمحافظة على حياته ولحفظ نوعه، وأطلقوا على هذه القوى الحيوية أسم الغرائز، وأشاروا إلى السلوك الفطري على أنه سلوك غريزي، أي ناتج عن الغريزة (instinct)[1]. فما هي إذن الغريزة ؟

* يعرفها إنجلش على هذا النحو[2]:

An enduring tendency on disposi tiom to act in an organized and liologi cally adaptive way that is characteristic of a given species

والاستجابة الغريزية تتميز بأنها فطرية وغير متعلمة من البيئة، كما تمتاز بأنها توجد لدى جميع أفراد الجنس أو بواسطة الغالبية العظمى من أفراد الجنس. ويضيف فرويد (Freud) خاصية ثانية للغريزة هي أنها عنصر أولى لا يمكن تحليله إلى ما هو أبسط منه.

(*) السلوك الفطري هو الذي يصدر بطريقة فطرية تلقائية، ونعنى بذلك أن الإنسان لم يتلق تعليما أو تدريبا في أدائه، مثل سلوك الطفل الرضيع في حالة شعوره بالجوع فهو يحرك كل جسمه ويصرخ ويبكى، ولا يتخصص السلوك ويصبح نوعيا لا بعد لكتساب الخبرة والمران عندما يتقدم الطفل في العمر. والسلوك المكتسب هو الذي يتعلمه الإنسان من البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش فيها، مثل القراءة والكتابة والعزف الموسيقى..... وغير ذلك من المهارات والاتجاهات والميول والعقائد الاجتماعية والسياسية.

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى - مرجع سابق - ص ١١٨.

٢- نفس المكان.

* **فالغريزة إذن عبارة عن**: محركات أولية للسلوك لا يمكن تحليلهــا إلــى أبسط منها وهى كالبديهيات في الرياضة تبرهن بها النظريات ولا يمكن البرهنة على صحتها هي(*).

١- تفسير (Mac dogell) للسلوك:

أهتم كثير من علماء النفس بتصنيف الغرائز ووضعها، ومن أشهر هــؤلاء العلماء، (مك دوجل Mac Dogell)[1] الذي افترض وجود عدد كبير جدا مــن الغرائز(**). وقد لاحظ أن بعض هذه الغرائز يستهدف إشباع حاجــات داخليــة للجسم كغريزة التماس الطعام، وبعضها الأخر يوجد من أجل التعامل مع البيئــة الخارجية المادية والاجتماعية التي يعيش فيها الكائن الحي مثل غريزة السيطرة وللغريزة أيا كان نوعها مظهرين متكاملين هما: **المظهر الجسمي** ويتمثــل فــي النزوع أو السلوك. و**المظهر النفسي** يتمثل في الانفعال.

(*) ولقد افترض بعض الفلاسفة في بادىء ذى بدء وجود الغريزة لتفسير السلوك الغائي للحيوان أي الذي يستهدف تحقيق غاية معينة، فذكر الحيوان يتصل جنسيا بأنثاه لتحقيــق غايــة هــي الإتصــال والمحافظة على استمرار بقاء النوع. ثم جاء دارون (darwn) (صاحب نظرية التطور والنشؤ) وقال أن الغريزة إذا كانت توجد في الحيوان فلابد أنها توجد أيضا في الإنسان، وذلك لأنه كان يعتقــد أن الإنسان لا يختلف عن الحيوان إلا من حيث الدرجة فقط. (دكتور/ عبد الرحمن عيسوى – المرجع نفسه – ص ١١٩).

١- هو العالم الأسكتلندي وليم ماك دوجل رائد المدرسة الغرضية (السببية).

(**) من هذه الغرائز: **غريزة التماس الطعام**: وهى المسئولية عن سلوك الكائن الحي في البحث عن الطعام وانفعاله هو الجوع، وتثير هذه الغريزة رؤية الطعام أو شم رائحته. **غريزة النبــذ**: ويثيرهــا وجود شيء منفر في الفم أو لمس شيء مخاطي لزج وانفعالها النفور والتقزز وسلوكها هو نبذ هــذه المواد. **الغريزة الجنسية (التكاثر)**: ويثيرها رؤية أفراد من الجنس الأخر، وانفعالهــا هــو الشــهوة وسلوكها هو الاتصال الجنسي والزواج. **غريزة الهروب (escape in stinct)**: ويثيرها الأصوات العالية الفجائية وعلامات الخطر الخارجي والألم، وانفعالها هو الخوف، وسلوكها هو تجنب الخطر. **غريزة حب الاستطلاع (curiosity)**: ويثيرها الأشياء التي لا يعرفها الفــرد، وانفعالهــا الدهشــة، وسلوكها هو البحث والتنقيب. **غريزة الوالديــة (parental instinct)**: (أي الأبــوة و الأمومــة) ويثيرها رؤية صغار الإنسان والحيوان أو سماع أصواتها أو شم رائحتها، وانفعالها هــو الحنــان، وسلوكها هو حماية الصغار وتوفير الطعام لها. **غريزة الإنشاء والبناء**: ويثيرها وجود الأشياء التي=

ولقد اعترف (مك دوجل) أن هذه الغرائز لا تظهر كلها بدرجة واحدة عند الأجناس المختلفة، كما أن العوامل الاجتماعية والظروف المادية التي يعيش في وسطها الكائن الحي – الإنسان – تؤثر في نمو هذه الغرائز واتجاهها، ومع ذلك فان السلوك الغريزي يوصف بأنه سلوك تلقائي، يأتي دون تعلم أو اكتساب كما يوصف بأنه عام ومشترك ويوجد عند جميع أفراد الجنس، كما يرى (دوجل) أن هذه الغرائز تتغير من حيث مثيراتها، حيث تفقد بعض الغرائز مثيراتها الفطرية وتستعيض عنها بمثيرات أخرى، فالإنسان المعاصر على وجه الخصوص يتأثر في سلوكه بالعوامل الحضارية والثقافية، فهو يخاف على مستقبله وأمنه أكثر مما يخاف الأصوات العالية المفاجئة. وكذلك ينفر الإنسان المتحضر من الكذب أو الرذيلة أكثر مما ينفر من لمس المواد المخاطية. وأيضا يغضب الإنسان المعتدل لنصرة الحق والعدل أكثر مما يغضب من الخطر المادي[1].

٢- تفسير فرويد للسلوك (المدرسة التحليلية ـ school of psychology):

قام فرويد(*) صاحب نظرية التحليل النفسي (paycho analysis) بتفسير السلوك الفطري لدى الإنسان. وقد ذهب **Freud** إلي أن جميع دوافع الإنسان

- يمكن بناؤها أو تركيبها، وانفعالها هو حب العمل البناء، وسلوكها هو الأعمال الإنشائية والعمرانية. غريزة الاستغاثة: ويثيرها حاجة الفرد إلى المعونة، وانفعالها هو الشعور بالضعف وسلوكها هو الصراخ. غريزة المقاتلة (العدوان - **instinct of combativeness**): ويثيرها كل ما يحول دون تحقيق حاجات الفرد وانفعالها هو الغضب والثورة، وسلوكها هو التحطيم والتخريب. غريزة الخضوع: ويثيرها وجود الفرد في موقف يشعر فيه بالضعف، وانفعالها هو الخضوع، وسلوكها هو الطاعة والاستسلام. غريزة السيطرة: ويثيرها وجود الفرد مع أفراد أقل قوة منه، وانفعالها هو الزهو، وسلوكها هو التحكم والغرور. غريزة الامتلاك: ويثيرها وجود أشياء يمكن للفرد امتلاكها، وانفعالاها هو حب التملك، وسلوكها الاقتناء وجمع الأشياء. وهناك عدد أخر من الغرائز مثل غريزة الضحك وغريزة التماس الراحة وغريزة النوم وغريزة الهجرة. (المرجع نفسه – ص ١٢٠).

١- المرجع نفسه – ص ١٢١.

(*) هو الطبيب النمساوي الشهير (سجموند فرويد) مؤسس المدرسة التحليلية، الذي اهتم بدراسة النواحي العقلية الشاذة والتعرف على أسبابها مركزاً على دراسة الماضي وتحليله ليفسر به الحاضر، وقد توصل إلى أن هناك ناحية خفية من العقل البشرى تؤثر في السلوك، وقد عزا أسباب الأمراض العقلية إلى الكبت أساسا. (دكتور/ محمد شفيق – مرجع سابق – ص ٥٤).

ورغباته يمكن ردها إلى غريزتين فقط هما:

- **غريزة الحياة أو الغريزة الجنسية (life-instinct):** وتظهر في كل ما نقوم به من أعمال ايجابية بنائه من اجل المحافظة على حياتنا وعلى استمرار وجود الجنس البشرى.
- **غريزة الموت أو العدوان والتدمير (death - instinct):** تبدو في السلوك التخريبي وفى الهدم والعدوان على الغير وعلى النفس.

وقد أطلق **Freud** على كل من هاتين الغريزتين معا لفظ (اللبيدو) ويعني بذلك الطاقة الحيوية والنفسية في الإنسان (libido)، ولقد توسع فرويد في مفهوم الغريزة الجنسية فلم يقصرها على وظيفة التناسل أو التكاثر بل أنها تشمل أيضا مظاهر الحب بين الآباء والأبناء وحب الذات وحب الحياة، ومظاهر اللذة الوجدانية المصحوبة بالنشاط الحركي[1]. وتؤكد المدرسة التحليلية على أن هناك جانباً خفياً من العقل الإنساني يؤثر على الحياة العقلية الظاهرة للفرد دون شعور منه أطلقت عليه مفهوم اللا شعور، كما صورت تلك المدرسة الشخصية الإنسانية كميدان لصراع كثير من القوى والدوافع[*].

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – المرجع السابق – ص ١٢٣.

(*) ركزت المدرسة التحليلية اهتمامها في تحليل السلوك الإنساني على الأتي:

ـ دراسة الماضي وتحليله لتفسير الحاضر مع تأكيد الأثر الخطير لمرحلة الطفولة المبكرة، خاصة علاقة الطفل بوالديه في تشكيل شخصية الراشد وفى كشف النواحي العقلية الشاذة والتعرف على أسبابها، كما اعتمدت على وسيلة أساسية في هذا المجال هي طريقة التداعي الحر أو(التداعي الطليق– free association). وفى هذه الطريقة يترك الفرد يتذكر كل ما يرد بخاطره فتتداعى الأفكار والخبرات واحدة بعد الأخرى، وبتحليل استجابات الشخص يمكن الكشف عن الدوافع والاتجاهات الكامنة للسلوك.

ـ إقرار مبدأ (الحتمية النفسية) بمعنى انه ليس في دنيا النفس مجال لمصادفة، فكل سلوك ظاهرا أو باطن يصدر عن الإنسان مقيد بالحتم بظروف سابقة ودوافع معينة وأحداث محدده، مثل هفوات أو فلتات اللسان، وزلات القلم، والنسيان غير المعتمد وفقدان الأشياء، وأخطاء الكتابة والقراءة.....الخ.

ـ طبقت هذه المدرسة المنهج العلمي في تأويل (تفسير) الأحلام. (للمزيد يراجع: دكتور/ محمد شفيق– الإنسان والمجتمع (مقدمة في السلوك الإنساني ومهارات القيادة والتعامل)– الإسكندرية– المكتب الجامعي الحديث– سنة ١٩٩٧– ص ١٨٧ وما بعدها)............................=

٣- تفسير المدرسة السلوكية للسلوك:

تخلص المدرسة السلوكية (Behaviourist school of psychology) في علم النفس[1]، ومن أشهر أنصارها ثورن ديك (thorn-dike) إلى موقفاً مختلفاً من مسألة دوافع السلوك، فترى أن سلوك الكائن الحي لا يأتي نتيجة لدوافع داخلية بل نتيجة لمنبهات فيزيقية حسية، فهي لا تسلم بوجود دوافع فطرية لدى الكائن الحي وإنما تفسر السلوك تفسيرا آلياً ميكانيكاً.

فهناك منبهات حسية وحركية تثير سلسلة من الأفعال المنعكسة لدى الكائن الحي، فالتأثير العضوي لحالة الجوع مثلاً هو الذي يثير في الكائن الحي حركات البحث عن الطعام. فالفعل الغريزي في نظر السلوكية ما هو إلا سلسلة من الحركات الآلية العمياء التي تثير بعضها بعضا، وعلى ذلك مادامت المسألة آلية فليست هناك حاجة إلى الشعور أو إلى افتراض غاية يرمى إليها الكائن الحي، أو افتراض دافع لحركة نحو تحقيق هذه الغاية، وكل ما في الأمر أن الموقف الخارجي يكون مزوداً بعامل أو مثير ينبه الكائن الحي، ثم يسير هذا التنبيه في الأعصاب الموردة إلى المخ، ثم يرتد هذا التنبيه في عصب مصدر إلى العضلات أو الغدد، فتتحرك عضلات الكائن الحي أو تقوم غدده بالإفراز والنشاط، وبتكرار هذه العملية تتقوى الروابط العصبية بين عضو الإحساس وبين الأعضاء التي تصدر عنها الاستجابات[2].

- توسعت المدرسة في شرح مفهوم الغريزة الجنسية وإعارتها اهتماماً بالغاً وأكدت أهميتها، واعتبرت أنها مصدر لكثير من اللذات والأنشطة والدوافع والانحراف والعلل العصبية والعقلية. (دكتور/ محمد شفيق – علم النفس الجنائي – مرجع سابق – ص ٥٤)

(*) السلوكية (behaviourism) مدرسة في علم النفس الحديث قامت فلسفيا على البراجماتية، وقد ظهرت عام ١٩١٣ على يد ولطسون (j.b.watsom) (١٨٧٨ – ١٩٥٨) كمحاولة لإضفاء طابع موضوعي على علم النفس وربطه بصورة أكثر بالعلوم الطبيعية، وقد اعتمدت السلوكية على المادة التجريبية التي قدمها ثور نديك والتي توافرت عن طريق الأبحاث التي قام بها على سلوك الحيوانات. (راجع في ذلك: دكتور/ محمد على محمد وآخرون – مرجع سابق– ص ٣٧).

٢– دكتور/ أحمد ذكى صالح – علم النفس التربوي – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية – سنة ١٩٥٩ – ص ٤١. وأيضا يراجع: دكتور/ محمد شفيق – المرجع السابق – ص ٣٧.

وبذلك نرى أن المدرسة السلوكية تفسر السلوك تفسيراً عصبياً فسيولوجياً ومن اجل ذلك حملت السلوكية حملة شعواء على اصطلاح الغريزة، حتى كاد أن يختفي من ميدان البحوث النفسية الأمريكية وذلك لأن أنصارها يرون أنه اصطلاح غامض ومضلل وغبي وليس له كيان محسوس[1].

هذا بالنسبة للدوافع الفطرية الأولية أما الدوافع الأخرى كدافع السلوك الاجتماعي في الإنسان مثلا، فأنهم يرون أن هذه الدوافع مشتقة من الحاجات الفسيولوجية العضوية البحتة، ويتعلمها الإنسان عن طريق التعلم الشرطي. ومن أمثلة ذلك الحاجة إلى التقدير الاجتماعي، والحاجة إلى الشعور بالأمن والاستقرار أو الحاجة إلى السيطرة................ الخ[2].

٤ـ تفسير مدرسة الجشطالت للسلوك (gestalt school of psychology):

مدرسة الجشطالت من اشهر علمائها كوفا (kohka)، وكهلر (kohler)[*]، فإنها ترفض بكل قوة التفسير الآلي الفسيولوجي العصبي للسلوك القائم على أساس الفعل المنعكس، ولكنهم لا يفسرون السلوك بالغرائز كما فعل فرويد ومك دوجل، فالغريزة عندهم ما هي إلا استعداد عام للنشاط والحركة يولد الكائن الحي مزودا به.

وترى مدرسة الجشطالت أن الكائن الحي يعيش في وسط بيئة اجتماعية ومادية معينة، وأن أي تغير في عناصر هذه البيئة يسبب للكائن الحي والشعور بالقلق والتوتر، ولا يزول هذا التوتر إلا إذا قام الكائن بنشاط معين على أن هذه البيئة تختلف من فرد إلى آخر، أو بعبارة أدق يختلف معناها من فرد لآخر بحسب حاجاته وميوله وحالته المزاجية، وخبراته السابقة وحالته العضوية،

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – مرجع سابق – ص ١٣١.

٢- دكتور/ حسن خير الله الدين – العلوم السلوكية – القاهرة – مكتبة عين شمس- سنة ١٩٨٣ – ص ٣٦ وما بعده، دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – المرجع السابق – ص ١٣١.

(*) تعتبر المدرسة الكلية من أحدث مدارس علم النفس، ولقد ظهرت هذه المدرسة في ألمانيا في أوائل هذا القرن الماضي. وجشطالت حكمة ألمانية معناها الصيغة الكاملة أو الصورة أو الشكل العام أو الإطار الكلي أي الشمولية أو النظرة الكلية. (دكتور/ محمد شفيق – مرجع سابق – ص ٥١).

فالطعام لا يثير اللعاب إلا إذا كان الفرد جائعا، وبالنسبة لحياة الإنسان اليومية فأن العالم الخارجي بالرغم من أنه مليء بالموضوعات الخارجية ولكن الإنسان لا يستجيب لا لبعضها[1].

* وعلى ذلك يتضح أن هناك فرقاً واضحاً بين البيئة الجغرافية الواقعية، والبيئة السلوكية للكائن الحي:

- **فالبيئة الجغرافية:** هي البيئة الواقعية المادية، التي توجد وجوداً مستقلاً عن الكائن الحي.
- **أما البيئة السلوكية:** فهي البيئة كما يراها الفرد، ويحس بها ويدركها ويستجيب لها، فالبيئة السلوكية هي البيئة كما يفهمها الفرد، وبذلك فهي تختلف من فرد إلى فرد.

وعلى حين أن البيئة الجغرافية واحدة، فإن البيئة السلوكية تختلف من فرد إلي آخر، من الموظف عن التاجر، ومن الطفل عن الراشد، ومن الفتاة عن المرأة، كما تختلف البيئة السلوكية باختلاف مستوى الذكاء، فالبيئة السلوكية لفرد ضعيف الذكاء أضيق من البيئة السلوكية للفرد الذكي، وعلى ذلك نرى أن البيئة السلوكية تنشأ من تفاعل الفرد مع الظروف المحيطة به، أو تفاعل مجموعة العوامل الداخلية النفسية والجسمية والعقلية مع مجموعة العوامل المادية والاجتماعية.

وجملة القول أن مدرسة الجشطالت ترى أنه لتفسير السلوك لابد من دراسة المجال السلوكي، وما يوجد به من عناصر، وأن السلوك لا يفهم إلا في ضوء المجال الذي يؤدى فيه، ولا تحركه غرائز أو قوى حيوية كما ذهب أنصار مذهب الغرائز. كما أنه ليس نتيجة للعوامل والمنبهات الحسية الفسيولوجية كما ذهب السلوكيين، وإنما هو نتيجة للشعور بالتوتر الذي ينشأ من اختلال توازن المجال النفسي أو السلوكي.

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – المرجع السابق – ص ١٣٢.

فدوافع السلوك في نظر مدرسة الجشطالت ماهى إلا توترات تنشأ نتيجة لاختلال توازن عناصر المجال السلوكي، ويستهدف السلوك دائما إزالة هذا التوتر واستعادة حالة التوازن للكائن الحي، وعلى ذلك فتفاعل الفرد مع البيئة المادية والاجتماعية المحيطة به هو الذي يفسر السلوك، كما أن هذا التفاعل هو الذي يحدد نوع السلوك لأن للبيئة أثر كبير في تحوير السلوك وتوجيهه. وأخيراً فإن الغرض واضحاً أمام الفرد، وقد يكون هدفاً لا شعورياً لا يعرفه الفرد(١).

ثانيا ــ تصنيف دوافع السلوك:

تنقسم دوافع السلوك إلي دوافع ايجابية وأخرى سلبية:

- **الدوافع السلبية:** الرغبة في تجنب الألم أو المذاق الغير مستصاغ.
- **الدوافع الايجابية:** فأنها تدفع نحو الاقتراب من موضوع الإثارة مثل الرغبة في تذوق الأشياء ذات المذاق الحلو.
- وأحيانا يكون **للدافع الواحد جانبا ايجابياً وآخر سلبياً**، مثل الشعور بالجوع.

وكما أن الدافع الواحد قد يسبب عدة أنماط من السلوك، فأن السلوك المعين قد ينتج أيضا من مجموعة متداخلة من الدوافع ومن أمثلة ذلك عملية التدخين:

فهو لأشباع رغبة في التقليد، والمشاركة الاجتماعية، ورغبة في القبول الاجتماعي، ولشعور داخلي بالنقص، والرغبة في تهدئة الأعصاب، أو في التركيز.......إلى غير ذلك من الدوافع.

ومن الدوافع الاجتماعية الدافع نحو القبول الاجتماعي، والدافع نحو السيطرة (dominance) والدافع نحو الخضوع (submission) وبطبيعة الحال هذه الدوافع الاجتماعية مكتسبة وليست نظرية، وعلى ذلك فهي تختلف من مجتمع لأخر(٢).

١- المرجع نفسه – ص ١٣٤.

٢- المرجع نفسه – ص ١٣٦.

الباب الثاني
النظريات المختلفة للشخصية

❖ ماهية النظرية(*):

لا يختلف مفهوم النظرية في علم النفس عن غيره من العلوم الأخرى، ورغم ذلك توجد وجهات نظر متعددة حول معنى النظرية تختلف باختلاف زاوية الرؤية للباحث أو الناظر، فقد ينظر لها على أنها نظام من المفاهيم المجردة التي تساعد على الربط بين مجموعة من القوانين غير المترابطة، أو أنها نسق فكرى ينظم مجموعة من المفاهيم أو مجموعة من الظواهر المتشابهة

وتأتى النظرية على قمة الهرم العلمي بعد الحقائق أو البديهيات ثم القوانين، فهي تساعد على تحقيق أهداف العلم الثلاثة وهى التفسير والتنبؤ والضبط، فالنظرية أذن (قوانين أو أحكام عامة تربط بين سلسلة أو مجموعة سلاسل من الأفكار لتكون بناءاً فكريا متكاملاً)[1].

(*) النظرية ***Theory***: هي مجموعة المبادئ وتعريفات مترابطة تفيد (تصوريا) في تنظيم جوانب مختارة من العالم الامبيريقى على نحو منسق ومنتظم. ولهذا تنطوي النظرية على مجموعة دعاوى وبديهيات أساسية. إذا كان هيكلها مكوناً من قضايا مترابطة وقابلة للتحقيق الأمبيريقي. وعلى الرغم من الاختلافات العديدة التي تظهر عند استخدام النظرية إلا أنه يمكن النظر إلى القضايا التي تكون أي نظرية على أنها قوانين علمية إذا كانت قد خضعت لتحقيق علمي دقيق، أمكن بعده تأييدها أو تأكيدها أو يمكن النظر إليها كفروض إذا لم توضع موضع التحقيق والاختبار الكافي. ويمكن للنظرية فضلاً عن ذلك أن توفر فروضاً للبحث من خلال عملية القياس، كما أنها من خلال عملية الاستقرار تستطيع أن توجه مادة البحث إلى تعليمات تضيف إلى النظرية أو تعدلها. (دكتور/ محمد على محمد وآخرون– مرجع سابق – ص ٤٨٦).

١– دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق– ص ١٥.

ويراجع بشأن تعريفات النظرية: دكتور/ محمد سلطان وآخرون– نظريات تربية الطفل– القاهرة– دار الهلال للطباعة والتجارة – سنة ١٩٨٦– ص ١٢.

حيث ذهب إلى أن النظرية العلمية ما هي إلا: " مجموعة من الأحكام العامة أو الفروض العلمية التي تتعلق بظاهرة ما من الظواهر الطبيعية أو السيكولوجية ويكون قد ثبت صدقها بالتجريب العلمي ".

ـ بينما عرف (***Hall Lindizy***) النظرية بأنها: " مجموعة من المُسلّمات أو البديهيات يصبغها واضع النظرية، وينبغي أن تكون هذه المُسلّمات ذات صلة قوية بموضوع واضع النظرية، وان تقدم بصورة منظمة تكشف العلاقة فيما بينها، كما تجب أن تشمل النظرية مجموعة من التعريفات أو المفاهيم القابلة للتجريب ".

-Hall,K,Lindizy,c:Theories of personality, 3ed, New York, Wiley, 1978, P, 21

❖ في وضع نظريات الشخصية:

أكد المهتمون بوضع نظريات الشخصية على أن أي تصرف يقوم به الفـرد قد يلفت النظر، لابد وأن يكون ذو صفة خاصة مميزة للشخص نفسه، وأن هـذه الصفة قد تعلن عن نفسها في عدة مواقف بما يجعلها أكثر اتساقاً بمرور الوقـت وبالتالي أكثر تمييزاً للفرد عن غيره من الأفراد. وقد اهتم واضـعي نظريـات الشخصية في دراستهم للإنسان بالسمات المميزة لسلوك الإنسان بالإضافة إلـى اهتمامهم بالأهداف الأساسية للعلم[1]. وهكذا فإن واضعي نظريات الشخصية لم يستخدموا أسلوبا واحداً، في دراسة الأنماط المختلفة للسلوك الإنساني وتصنيفها، ولكنهم استخدموا أساليب عدة لتحقيق ذلك.

فعلى سبيل المثال منهم من استخدم أسلوب الحديث الحر (***Unstructured speech***) كوسيلة عامة للاستقصاء، بينما استخدم آخـرون أسـلوب التحليـل الرياضي الإحصائي (***Mathematical-analysis***) وذلك لمعالجة الاستجابات الخاصة باختبارات الورقة والقلم، وهناك آخرون قاموا ببساطة بملاحظة ورصد أنماط السلوك المختلفة، هذا في الوقت الذي ما زال البعض يستخدم حجم وشكل الجسم كأساس للتصنيف.

ولعله مما سبق يتضح أنه لا يوجد نظرية واحدة ومحددة للشخصـية وإنمـا الأصح أنه يوجد نظريات للشخصية. وقد اهتم مؤسـس كـل نظريـة بتحديـد الجوانب الجديرة بالدراسة، وتحديد الأدوات المستخدمة في ذلك تبعـاً لأفكـاره وتصوره لماهية السلوك الإنساني[2].

❖ وظائف نظريات الشخصية (***Function of Personality Theories***):

إن احد أهم وظائف النظريات العلمية هو تنظيم الكم الهائل من المعلومـات الخاصة بموضوع معين، وصياغة هذه المعلومات في قالب يمكن الاستفادة بـه وتوصيله للآخرين. وتعد النظرية من أفضل الطرق لتنظيم الحقائق وتجميعهـا معاً، وهى تسمح بتعميم الفروض العلمية وتطبيق المعلومـات المنظمـة فـي

١- دكتور/ العارف بالله محمد الغندور وآخر- مرجع سابق – ص ١٣.

٢- المرجع نفسه – ص ١٥.

ظروف ومواقف جديدة، كما أنها تُمكن الإنسان من التنبؤ بالمستقبل وأن يفهم الماضي والحاضر بمساعدة الاقتراحات والإجراءات التي تتضمنها هذه النظريات(*).

ونظريات الشخصية مثلها مثل النظريات العلمية ـ في مجال الطبيعة ـ فهي تخدم الأغراض العلمية نفسها، ولكن فيما يخص سلوك الإنسان اليومي. وقد اتفق المنظرون بصورة عامة على الوظائف الخاصة بالنظرية، حيث أكد معظمهم على أن النظرية يجب أن تبنى لتناول الظواهر الهامة، وأن الوظيفة الأساسية لنظرية الشخصية هي تبسيط ما يميز السلوك الإنساني من تعقيدات[1].

ويرى ليفي (Levy)[2] أن أساليب تقدير نظريات الشخصية تضم ثلاث فئات

(*) جدير بالذكر أن النظرية النافعة في وقت ما قد تكون غير نافعة في وقت آخر ويمكن لاستغناء عنها، ويمكن أن يحل محلها نظرية أخرى جديدة تقدم تفسيرات أكثر دقة لحقائق معينة. ولا يعني الاستغناء عن نظرية ما إنكار صلاحية الملاحظات التي بنيت عليها. وفي كل الأحوال فإن البناء النظري للنظرية ككل يظل دائما في الحسبان، وعلى هذا الأساس فان النظرية تظل الطريقة المفيدة الوحيدة لتنظيم وتبسيط الحقائق للوصول إلى قوانين أو افتراضات عامة. (المرجع نفسه- ص ١٧).

ـ كما قد تكون النظرية جيدة ولكنها غير صحيحة بشكل كامل:

- Patterson, c, H: Theories of Counseling and psychotherapy, 4 th Ed. Harper Raw, Publishers, New York.1986, P.31.

الذي يرى أنه لا يمكن تقويم النظرية بالنسبة لصحتها أو مصداقيتها إلا بعد أن تختبر. بل أنه يرى أن القليل من النظريات هي التي يمكن قبولها كنظريات صادقة، بشكل كامل أو مطلق حتى بعد اختبارها، والنظرية الجيدة هي التي تميل لان تكون صحيحة، وألا تكون ضعيفة.

١- راجع بشأن الوظائف الأساسية التي يجب أن تؤديها النظرية: دكتور/ جابر عبد الحميد جابر - نظريات الشخصية - القاهرة - دار النهضة العربية - سنة ١٩٨٦، دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن - مرجع سابق - ص ١٦ وما بعدها.

- Hall, k, Lindizy, G: OP. Cit.1978.
- Patterson, C,H: OP. Cit. 1986.
- Hall, G A: Behavior is an experiment. In D. Bannister (E d). Perspectives in Personal Construct Theory New York: Academic Press, 1970 b.

2- Levy, L. H: Conceptions of personality – Theory and Research. New York: Random House. 1970, P. 12.

عامة، وأن هذه الأساليب تعتمد إلى حد كبير على التقدير الشخصي، وقد حدد هذه المقاييس في الأنواع التالية:

- مقاييس الحكم الذاتية *(Subjective Judgment)*.
- المعرفة المنطقية *(Logical Epistemic)* .
- المقياس التجريبي *(Empirical)*.

والسؤال الذي يطرح نفسه بداية..... ما هي الضرورة التي تدفع بعلماء النفس إلى ابتكار نظريات الشخصية ؟

إن الأفراد دائما في حالة تقييم للآخرين، فيلاحظوا الفرد من خلال المظهر الشخصي والأخلاقيات، ويستمعوا إلى ما يقوله الآخرين ويشاهدون ما يفعلونه، في مختلف المواقف ثم يرابطوا هذه الملاحظات والمشاهدات بما تقوله نظريات الشخصية، من اجل استنتاج الميل وتحديد الدوافع الكامنة وراء سلوك هؤلاء الأفراد. ولكن يجب أن نحذر من الخروج باستنتاج سريع على شخصيات الأفراد، اعتمادا على تقييمنا الشخصي لسلوك الآخرين حتى لا نقع في خطأ، حيث يمكن أن يتأثر تقييمنا لشخص ما بدرجة كبيرة بتوقعاتنا عن هذا الشخص، وقد يؤثر ذلك في تحديد سلوكنا تجاهه(*).

وسوف يقتصر عرضنا على تلك النظريات التي تتضمن تقديم أهم أفكار علم النفس الحديث في نطاق الشخصية الإنسانية. وسيتم تناول هذه النظريات بالقدر الذي يحقق الفائدة من الدارسة ويفي بغرض بحثها.

(*) وقد اثبت كيلي *(Kelly)* في تجربة قام بها مدى تأثير تقيم الشخص بدرجة كبيرة بالتوقع عن هذا الشخص:

- Kelly, H.H: The Warm – cod Varible in first impressions of Persons. Journal of personality 18: 431-9. 1950. P. 16.

الفصل الأول
النظريات المبكرة في مجال دراسة الشخصية الإنسانية.

أولا: النظريات التحليلية الكلاسيكية.

- تضم النظريات التحليلية الكلاسيكية للشخصية ثلاث نظريات هي: نظرية التحليل النفسي (سيجموند فرويد)، وعلم النفس التحليلي (كارل يونج)، وعلم النفس الفردي (الفرد أدلر).

[أ] نظرية التحليل النفسي
(Psychoanalytic Personality Theory)
(Freud ١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م)

على مدار حياتنا تعامل العلماء والبشرية جميعها مع ثلاث صدمات كبرى أضعفت شعورنا بأهميتنا الذاتية، احد هذه الصدمات عندما أوضح فرويد أننا لسنا أسياد على أنفسنا، ولكننا مدفوعين بالعديد من العمليات اللاشعورية، كالرغبات والمخاوف والاعتقادات والصراعات، والعواطف والذكريات التي لا نكون على وعى بها(*).

وصاحب نظرية التحليل النفسي هو العالم سيجموند فرويد ١٨٥٦-١٩٣٩ (فرويد- الأودبى)، الذي أصبحت البشرية جميعها ضحية لأفكاره، تلك الأفكار التي لاقت مقاومة عنيفة من علماء النفس ورجال الدين على حد سواء، فيما عدا القليل من أولئك الذين فتنهم إسهاماته وتجاهلوا ما بها من عيوب وحقائق[1]. وتعتبر نظرية التحليل النفسي من أشهر النظريات التي

(*) أما عن الصدمتين الأخريين: فالأولى عندما قرر كوبر نيكوس أن الأرض ليست مركز الكون ولكنها مجرد كوكب حول الشمس، والثانية عندما ذكر دارون أن الإنسان ليس كائن فريد، ولكنه تدرج عن أسلافه من الحيوانات عبر ملايين السنين. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ٣٥).

١- فرويد زودته حياته الخاصة بقدر كبير من الحقائق النفسية القيمة، فقد كان اوديبي لديه عداء =

تهتم بتفسير سلوك الكائن الإنساني ككل، والمعروف أن جميع نظريات تفسير الشخصية تبدأ بدراسة السلوك، بغرض تحديد أنواع السلوك التي تميل إلى التجمع أو الترابط في شكل نماذج محددة. ويهدف هذا الاتجاه التحليلي بأنه يتجاوز مجرد الشخصية، ويهتم بطبيعتها الديناميكية وذلك بمعرفة الدوافع التي تكمن وراء السلوك بغية التمكن من التنبوء بسلوك الفرد في المستقبل[1].

والاتجاه التحليلي في تفسير الشخصية اتجاه ديناميكي لا يهتم بالوصف فحسب، ولكنه يبحث عن تلك الدراما التي تدور فصولها داخل الكائن الإنساني. وتمتاز مدرسة التحليل النفسي باستخدام الكثير من الاستعارات اللغوية، ولكنها لا تستخدم أيا من مفاهيم علم النفس العام أو موضوعاته، مثل التذكر والنسيان والتعليم والاستدلال، والمعرفة الذاتية والدوافع والرغبات.

وقد نشأت حركة التحليل النفسي عندما بدأ فرويد ***(Freud)*** يفكر في أعراض بعض المرضى، الذين أتوا إليه سعياً وراء العلاج النفسي، ولقد اهتم على وجه الخصوص بالأعراض الهستيرية كشلل الذراع أو الرجل دون وجود أسباب عصبية، أو فقدان حساسية الجلد ***(Glove anesthesia)*** التي تشبه حالة الفرد الذي يرتدى قفازاً في يديه(*).

- لا شعوري قوى إزاء الأب، ومرتبط جداً بأمه (كانت تصغر أبيه بتسع عشرة سنة). وعانى فرويد من اضطراب عصابي عنيف عام ١٨٩٠ ورغم ذلك كان مضرب المثل في عمله الذي كان يسير في تقدم بالرغم من حالته النفسية المرضية الطارئة. ولقد وصف ألين برجر هذه الحالة باسم (الأمراض المبدعة)، ونظراً لطول معاناته من حالته انتابه أحساس جارف بالعزلة، وظهر خلال هذه المحنة كشخصية متقلبة. وخلال هذه الفترة بدأ فرويد في التحليل النفسي لذاته Self analysis وكانت حياته المهنية مليئة بالمواقف المضنية وأيضا بالأخطاء الشائعة. للمزيد يرجع: دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ٣٦ وما بعدها.

- Ellen berger, H.F: The discovery of The unconscious. New York: Basic Books, 1970.

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – علم النفس في الحياة المعاصرة – مرجع سابق – ص ٣٠٨.

(*) لا توجد رواية واحدة لنظرية التحليل النفسي في الشخصية يمكن اعتبارها الرواية الحقيقة. –

واعتبر فرويد هذه الأعراض الهستيرية ضرورة لمحافظة الكـائن الحـي على توازنه، واتبع منهج دراسة تاريخ الحالة، واعتقد أن الأعـراض الحاليـة للمرض النفسي أنما تنبع جذورها من خبرات الفرد الماضية. كذلك اتبع مـنهج التداعي حيث يسرد المريض كل ما يرد على خاطره من أفكار وخواطر، وذلك لمعرفة الأمور التي تتكرر أكثر في حـديث المـريض، والأمـور المترابطـة عنده..... وهكذا[1].

أ ــ تفسير (*Freud*) للغرائز:

ترجم علماء النفس الإنجليز كلمة (*Tribe*) التي استخدمها فرويد في لغتـه الألمانية إلى الغرائز (*instincts*) أو الدوافع (*Drives*)، بيد أن البعض يـرى أن الترجمة الصحيحة لها هي النزوة...، فالغريزة نمط سلوكي موروث خـاص بنوع حيواني معين ولا تتباين إلا قليلاً من فرد إلى آخر ضمن نفـس النـوع، وتجرى تبعاً لمسار زمني يندر تعرضه للتغيير، وتبدو وكأنها تهدف إلى تحقيـق غاية محددة. أما النـزوة فهـي دافـع فطـرى قـوى يطلـق الغريـزة مـن عقالها.....فتُرضي الدافع وتخفض التوتر.

غير أن البعض من أمثال (*Brenner*)[2] اقترح أن الغريزة تستخدم للدلالة

- ولقـد أكد فرويد انه مع التطورات في النواحي الذهنية والمنهجية والتكنولوجية فـان تحـولات أساسية تحدث لمفاهيم دقيقة، ولقد وصف فرويد بعض ما حدث له من تغيرات أساسية في فكرة فـي ضوء خبرته الطبيبة الطويلة. ولسوء الحظ ليس واضحاً إذا ما كانت الكتابات الأولى لفريـد تعـد متخلفة على نحو يمكن معه تركها أو اعتبار أن التراجم والكتابات التالية مكملة لها، وبالرغم من أن هذه التراجم نادرة وقد تبدو متناقضة مع ما قبلها.

ــ ورغم ذلك يوجد بعض الكتاب مازالوا يؤكدون على تفسير فرويد لأنظمـة العقـل واللاشـعور والإدراك الحسي التي يعتبرها كتاب آخرون غير هامة، ويمكن تجاهلها بدرجة كبيرة إذا قورنت بما ظهر من تطورات جديدة، وقد ازداد الغموض نتيجة استخدام فرويد لنفس النمط ليشير إلـى أشـياء مختلفة ومتنوعة في فكره خلال مراحل مختلفة. للمزيد في هذا الشأن يراجع: (دكتور/ العارف بـالله محمد وآخر – المرجع السابق – ص ٣١).

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – المرجع السابق – ص ٣٠٩.

2 - Brenner, c: An elementary textbook of psychoanalysis (Rev- ed.) New York: Anchor Books, 1974. P, 36.

على دورة كاملة تشمل المثير (الإثارة الداخلية، والاستجابة الحركية)، أما الدافع فهو يشير إلى حالة الإثارة الداخلية فقط (كالجوع مثلاً). ورغم ذلك فإن معظم الكتاب يستخدمون كلاً من المصطلحين بمعنى واحد. ويرى فرويد أن الغريزة النشطة (الحاجة- **Need**) سيتولد عنها حالة نفسية مقترنة بزيادة التوتر والإثارة (الرغبة- ***Wish***) والتي تعتبر خبرة غير سارة، وطبقاً لذلك فإن الأهداف الموضوعية للسلوك الإنساني هي تحقيق اللذة وتجنب الألم. فنحن لذلك نفعل ما يحقق رغباتنا، ويخفف التوتر العقلي، ويرضي الحاجة الغريزية الملحة لدينا[١].

ويوضح فرويد أن الغرائز تعمل تبعاً لمبدأ اللذة فيذكر: " نحن نفترض أن القوى التي تدفع العمليات العقلية إلى النشاط توجد في أعضاء الجسم كتعبير عن الحاجات الجسمية الرئيسية، فما تريده هذه الغرائز هو إشباع الحاجة وخلق المواقف التي يمكن بها تمييز الحاجات العضوية، وخفض التوتر الناتج عن الحاجة وهو ما نشعر به من خلال أعضاء الحس من أحساس باللذة، كما أن زيادتها تشعر الفرد بالألم. وهكذا يبدو كما لو أن نشاطنا العقلي يوجه كلية نحو تحقيق اللذة وتجنب الألم، وهو ما تم تنظمه تلقائياً من خلال مبدأ اللذة ***(Pleasure Principle)*** "[٢].

وعلى ذلك يمكن تحقيق اللذة من خلال تخفيف حدة الدافع، وتقوم الغريزة بإرجاعنا إلى حالة الاتزان السابقة والمحافظة عليها، ويرى فرويد أن زيادة الدافع ربما تؤدى إلى الإحساس باللذة، كما في حالة الإثارة خلال الممارسة الجنسية، وإن هذا التناقض لا يتفق مع نظريته.

ونظراً للطبيعة المقننة للغرائز وارتباطها، فقد غير فرويد رأيه في العديد من المرات خلال حياته، وأخيرا ميز فرويد بين غريزة الجنس من ناحية وتلك الغرائز التي تهدف إلى الحفاظ على الذات (مثل الجوع والعطش) من ناحية

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ٣٩.

2- Froud , S: In trodutory lectures on Psychoanalysis (Rev. ed) New York : Norton , 1966.P.134.

أخرى، مع أن الغرض الأسمى يقرر أننا ندفع بغريزتين رئيستين هما غريـزة الجنس (غريزة الحياة)، وغريزة العدوان (غريزة الموت)[1].

ب ـ منظمات الشخصية لدى فرويد:

وتبعاً لنظرية فرويد فإن الشخصية تتضمن ثلاث منظمات رئيسية، ولكـل منظمة وظيفتها الخاصة وطبيعتها والمبدأ الخاص الذي تعمل وفقاً لــه، وهــذه المنظمات هي:

- **الهــو**: يمثل الجهاز الإنساني في الشخصية وهو يضم كافــة الخصــائص والغرائز التي يولد الإنسان مزودا بها، وهو يــرتبط بالوظــائف الحيويــة الأولى مثل التنفس والعرق وعملية الإخراج، وأكثر من ذلك فإن الهو يمثل مستودع للطاقة التي يستخدمها الفرد في كافة العمليات العقلية والجسمية. إن الوظيفة الأساسية للهــو تتمثل في الحفاظ على توازن القوى الدافعة للإنسان فــي اتجاهات مختلفة، وتعرف القــوة الدافعــة لغرائــز الهــــو باللبيــدو (*Libido*)[*].
- **الآنــا**: نظرا لأن الهو لا يستطيع التخلص من التوتر الناشئ عن النــواحي الغريزية تماماً، فقد انتقلت هذه الوظيفة إلى منظمة أساســية أخــرى فــي الشخصية وهى الآنا. والآنا هي احد فروع الهو وهى تنبعث منه مباشــرة، ولكنها تعمل بصفة مستقلة ويحكمها في ذلك مبدأ أساسي هــو مبدأ الواقع

١- دكتور/ سيد محمد غنيم – سيكولوجية الشخصية – مرجع سابق – ص ٤٧.

(*) اللبيدو (*Libido*): هو قوة حيوية دافعة ذات طبيعة جنسية بشكل أساسي، ولكنها تخــدم دافــع الحفاظ على النفس، وبالنسبة لفرويد فان الجنس يعنى معان أكثر من مجرد النشاط الجنسي العــادي، فهو يتضمن كل أنواع الملذات الحسية، والإحساس أو الحب بمعناه العام، والصداقة وما إلى ذلك من مظاهر العلاقات الإنسانية وجميعها تدخل في هذا الإطار. (دكتور/ محمد على محمد– المرجع السابق – ص ٢٧١). وفى مقابل غريزة اللبيدو، يصف فرويد غزيرة الموت (*Thanatos*) لتحديــد مــدى الاعتداء أو التدمير الغريزي للإنسان، وقد وجد فرويد دليله على هذه الغريزة في الحرب العالميــة الأولى، وغريزة الموت يمكن أن تتجه إلى ذات الإنسان ويحدث ذلك في الانتحار وتجريح الذات، وقد أثارت نظرية الموت كثيراً من الجدل حتى أن الكثير من الموالين لفرويد لم يتقبلوها على نحو كلى. (دكتور/ العارف بالله محمد وآخر– مرجع سابق – ص ٣٣).

(*Reality-Principle*). ووظيفة الآنا الأساسية هي التحكم في الرغبـات المندفعة للإشباع، والعبور بهذه الدفعات وتحليلها إلـى أشكال أكثر قابليـة للتعبير، مـن خلال البحث الدائم عـن أفضل سبيل للتسـوية أو التوفيـق بيـن معايير العالـم الخارجي وقيـوده، ودفاعات العالـم الداخلي للفرد.

- الآنا الأعلى: تنبثق الآنا الأعلى من الآنا، وتكوينها يعبر عن القيم الأخلاقية النابعة من الاحتكاك بالمجتمع عامة، ومع الأبوين بشـكل خـاص. والآنـا الأعلى مرتبط ارتباط وثيق بالآنا ولكنها تعمل مستقلة، والآنا الأعلى تعمـل وفق مبدأ المثالية لذا فهي غير واقعية تماما مع المستويات التي تمثلها، أمـا الآنا فتقترب من الواقعية في تعاملاتها بدرجة اكبر[1].

وجدير بالذكر أن نميز في الآنا الأعلى بين مكونين داخلين همـا...... الآنـا المثالي والضمير:

* **أما عن الآنا المثالي:** فهو بمثابة المعيار الذي يحتكم إليه الفرد فـي الحكـم على تصرفاته، وذلك استناداً إلى مجموعة القيم والأخلاقيات التـي اكتسـبها الفرد ويحتفظ بها في آناه المثالي.

* **أما الضمير:** فهو بمثابة منفذ الأحكام في حالة خروج الفرد بتصرفه عن مـا يحمله من قيم مما يستحق معه العقاب من الضمير، وهو ما يعرف لدى العامـة بتأنيب أو وخذ الضمير.

وبذلك نرى أن في الشخصية ثلاث قوى متعاونة متـآزرة تعمـل كفريـق واحد متعاون، قوة بيولوجية وقوة سيكولوجية وقوة اجتماعيـة، والشخصـية تكون قواها متعاونة في حالة السواء، متصارعة فـي حالة المرض أو سـوء التوافق، وبهـذا يصبح الفرد نهبا للصراعات والقلـق والتـوتر ولا يصـبح متمتعاً بالصحة النفسية أنما يكون مريضاً نفسياً وقـد يصـل إلـى المـرض العقلي[2].

1- Spencee A. Rathus: Psychology in The new Millenium (Eighth Edition). Thomson WAD Sworth. London Wci. Vt.AA.200.

٢- دكتور/ عباس محمود عوض – مرجع سابق – ص ٣٨٤.

وهكذا فإن نظرية التحليل النفسي الكلاسيكية قد أكدت على اصل الصـــراع الكامن فـــي الشخصية بيـــن المنظمات الثلاث (الهـــو والآنا والآنا الأعلـــى)، والوصول إلي حل لهذه الصراعات عبر مراحل النمو(*).

وقـــد أحدث التطور الكبير فـــي نظرية التحليل النفسي بعض الانشـــقاقات الأساسية التي نتج عنها بعض الحركات الانفصالية مثل:(علم الـــنفس الفـــردي) ليونج ***Jung*** و(علم النفس التحليلي) لأدلـــر ***Adler***. ورغـــم أن معظـــم هـــذه الحركات قد اهتمت بالأساس النظري إلا أنها لم تلعب دوراً أساسيا فـــي الفكـــر الحديث للشخصية.

كما حدثت تطورات أساسية في التحليل النفسي، حيث زاد الاهتمام بتطـــوير مفهوم الآنا وقد بدأ التركيز على الآنا بكتاب ميلانى كلاين ***Melaine Klein***، وتشير الطبعـــة الحديثـــة فيـــه إلـــى ***Object Relation Theory*** العلاقـــة بالموضوع، وهى تؤكد على أن الدور البيولوجي والدفعات الغريزيـــة للسـلوك ممثلة في الهو، قد قلت أهميتها على عكس ما ذكر في كتابات فرويـــد الأولـــى. وإن علاقات الأشخاص وتأثيرها المتبادل على بعضهم قد اخذ الأولوية العظمى في ذلك، وخاصة علاقة الأم بطفلها حيث تلعب هذه العلاقة دورا أساســـيا فـــي تطور الشخصية، وهى الأساس الذي يبنى عليه العلاقات المتتابعة للشخص[1].

(*) أوضح فرويد أن هذه النظم الثلاث ليست أجزاء منفصلة داخل العقل، ولكنها ممتزجة ومرتبطة ببعضها كأجزاء التليسكوب أو ألوان الصورة. لمراجعة المزيد بشأن منظمات الشخصية يراجـــع:

- *Froud , S: The interpretation of dreams . New York: Avon books,:Group psychology and the analysis of the ego. New York: Norton, 1959.*
:An outline of Psychoanalysis (Rev. ed.) New York: Norton, 1969 a.

ـــ وأيضا يراجع: دكتور/ جابر عبد الحميد – مرجع سابق – ص ٤٦ وما بعدها.

١- دكتور/ العارف بالله محمد وآخر – مرجع سابق – ص ٤٣.

• إذا كانت العلاقة بين الأم وطفلها علاقة صحيحة فان الشخص يكون قادرا على تكـــوين علاقـــات سوية في حياته، أما إذا لم تكن العلاقة صحيحة فسوف تظهر الصراعات والمشاكل الشخصية. وقـــد وصف جن تريب (***Guntrip***) طبيعة نظرية العلاقة بالموضوع وتطورها، وأكد استمرارها الأساسي في أعمال فرويد...... -

كما كان البحث التجريبي لمفاهيم فرويد هو الشاغل الأساسي في علم النفس منذ منتصف القرن الماضي، إلا أن البحث في هذه المفاهيم قد قل حديثا. وقـــد غالى فرويد في بعض أرائه إلى حد جعل كثيراً من تلاميذه يرفضـــون بعـــض آرائه، ويتحررون من تعصبه[١].

* وثمة العديد من العوائق التي تقف أمام التقييم الموضـــوعي لنظريـــات فرويد، منهـــا صعوبة أن نحدد مـــا إذا كان وصف فرويـــد لـــبعض المفـــاهيم المحددة مرادفات ومعاني خاصة بالأدب. كما أن هناك أيضا بعض المعوقـــات المنطقية التي تقف أمام البحث الموضوعي لمفاهيم فرويد، وأوضح مثال علـــى ذلك نجده فيما يعرف بميكانيزم التكوين العكسي (***Reaction Formation***)، كما أن هذه النظرية انتقدت كثيراً لأنهـــا لا تتفـــق والمذاهب الفلسفية الحديثـــة للعلـــم[٢]. لقـــد كان لفرويد وجهة نظر براقة حول طبيعة الشخصية الإنسانية،

= *-Guntrip, H.J.S: Psychoanalytic Theory, and the self. London: Hogarth Press. 1971, P, 27.*

١- دكتورة/ انتصار يونس – مرجع سابق – ص٣١٩.

ـ لقد زعم فرويد أنه وضع أساس نظرية تحول دون أدراك الأشياء إدراكا ذاتيا، وأنها تمنع من انقياد التفكير إلى مجرد إشباع الدوافع الشخصية، إذ تستهدف في المقام الأول استخدام التفكير الموضوعي الذي أساسه التزام العالم منهجياً بالأمانة إلى أقصى حد ممكن، وحتى إذا كانت النتائج مخالفة لوجهة نظر العالم، فانه مع ذلك يبين هذه النتائج بنفس الدقة والوضوح والاستعداد الذي يبين بـــه النتـــائج المؤيدة لوجهة نظره. كما ملأ فرويد الدنيا ضجيجاً، وروج لنظريته الذي ادعى فيها انه اكتشف فـــي الإنسان قانون الحتمية النفسية وزعم أن الحتمية هي التي تصبغ تصرفات الإنسان وسـلوكه بطـــابع معين، وان هناك غرائز حيوانية تحركه، ودوافع لا شعورية تعمل على تكوين شخصـــيته، وان فـــي باطن الإنسان قانوناً تحكمه شريعة الغاب.

ـ كما أن فرويد فرض نظريته هذه على العالم فترة من الزمن باعتبارها الحق الذي لا مراء فيـــه، وأنها تصدق مع التجربة الموضوعية والحقيقة التي لا زيف فيها أن كثيراً من العلماء ومنهم فرويد، أصحاب نظرة ذاتية وتعسفية ظالمة، إذ يدركون الأشياء كما يريدونها أن تكون.

(يراجع بشأن تقييم نظرية التحليل النفسي للشخصية: دكتور/ حسن الشرقاوى – مرجع سابق – ص ١١٤. وأيضا: دكتور/ حسن الشرقاوى – نحو علم نفس إسلامي – الإســكندرية – الـدار القوميـــة للطباعة والنشر – بدون سنة نشر).

٢- دكتور/ العارف بالله محمد وآخر– المرجع السابق – ص ٥١.

غير أن هناك بعض الأخطاء في نظريته ولها بعض الجوانب التي ظلت محل جدل كبير فضلاً عن بعض المفاهيم المعقدة وتركه لبعض النهايات تائهة، وان كان التسليم بالخطأ وتصحيحه يعد أعظم قمة النزاهة العلمية، ولكن إعادة النظر المتكرر نتج عنه صعوبات لهؤلاء الذين يحاولون تقييم نظريته[١].

- **ومن أوجه النقد والخلاف في نظرية فرويد:**

ــ **الجنس الأنثوي:** كان فرويد يعتقد أن المرأة اقل درجة من الرجل لنقص أو عيب عضوي، وان الآنا الأعلى لديها ضعيفة، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن المرأة تتفوق عما كان يعتقد سواء جسدياً أو روحياً[٢].

ــ **الاتساق الداخلي للنظرية:** على الرغم من أن نظرية فرويد نالت كل الاهتمام والعناية إلا أن بناءها الداخلة لم يكن متماسكاً، لوجود اعتبارات هامة مزقت الأساس وهددت بهدم التركيب، مثل رأى فرويد في طبيعة الغريزة. كما ينكر فروم على فرويد زعمه بوجود غريزة الموت لدى الإنسان، وان من مظاهر وجود هذه الغريزة الميل للعدوان والتخريب وتعاطى المخدرات.....

ــ **الجنس والتعصب:** واجهت نظرية فرويد هجوم قياسي بسبب تأكيده الزائد على الجنس من كل جوانبه عقدة أوديب، اللبيدو، المراحل النفسية الجنسية، إرجاعه كل الأمراض النفسية إلى الدافع الجنسي، معظم رموز الأحلام إشارة لأعضاء الجنس وغيرها، وهذا يبرز أثر الدافع الجنسي مما جعل الناس لا تصدق بإمكانية رد كل تصرفاتهم للدافع الجنسي وحده[*].

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ١٠٢.

2- Fromm, E: The anatomy of hurman destructiveness. New York: Holt, Rinehart, Winston, 1973.

(*) في هذا يقول يونج: " لاحظ أن حقيقة نظرية فرويد الجنسية قد أحبطت (فشلت) عاطفيا بدرجة غير عادية – عندما كان يتكلم عنها– أي غريزة الجنس، كان ينبعث منه مدى الاهتمام بها، وأن كل دلائل أو علامات نقده العادي قد زادت وتعبيرات عميقة كانت ترتسم على وجهه لا افهم سببها، كل ما أفهمه بداهة أن الجنس بالنسبة له شيء مقدس ". يراجع في ذلك:

-Ellenferger, H.F: The discovery of the unconsicious. New York Books, 1970.
- Becker, E: The denial of death. New York: Free Press, 1973.

مشار إليه لدى: دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ١٠٦.

ـ التشاؤم واختزال الدافع: واجه تصور فرويد للجانب المظلم في الشخصية انتقادات حادة، فلا أحد ينكر أن الناس يمكنهم أن يقوموا بأفعال مدمرة وغير مشروعة ولكن هل نحن حقيقة في امكاننا أن نكون عدوانيين وسافكي دماء بالوراثة ؟ وهل الاعتقاد في أن الطبيعة الإنسانية خيرة هو أحدى الأوهام الخاطئة، والتي يسعى عن طريقها الإنسان لان تصبح حياته جميلة وسهلة بينما هى في الحقيقة غير ذلك ؟ كما أن هناك تشاؤم عميق في فكر فرويد فالإنسان محكوم بكل عنف بالقوى اللاشعورية للأنا، بحيث أنه لا يستطيع أن يتخلص أبدا كلية من الاستيحاش والقساوة والشهوة في طبيعته، وفى ذلك يكون الإعلاء أفضل ما يمكن أن نأمله، فليس ثمة تحويل أصيل للدوافع[1].

ـ الطاقة النفسية (*Psychic Energy*): طبقا لنظرية فرويد فإن التثبيت أو النكوص سوف يؤدى إلى العصاب ومن ثم استنفاذ جزء من الطاقة في صورة أعراض مرضية، ولكن ما كمية الطاقة المستنفذه في هذه الحالة ؟ أنه لمن المستحيل أن تقاس كمية الطاقة النفسية الداخلة في أي عملية تركيز للطاقة، لذلك وضع بعض علماء النفس نموذج الطاقة ضمن السواقط الدرامية عند فرويد مثل ***Carlson & Bieber***[2].

ـ المنهج والطريقة (الميثودولوجى/*Methodology*): بعض النقاد ينظرون إلى التحليل النفسي على أنه عملية ذاتية جدا وغير منضبطة[3].

لقد اشتق فرويد أفكاره من نزلاء مستشفى الإمراض العقلية الذين فحصهم بدقة وعمق، ثم رآها على إنها الحقيقة التي لا تقبل الجدل، وقضى حياته في عمل شاق ومرير، ولم يكن يقبل وجهة النظر التي تتعارض معه فقط إلا ليظهر أنه واسع الأفق، وقد كان على يقين من أن التحليل النفسي به أوجه قصور حادة[4].

١- يراجع: فرانك سيفرين – علم النفس الإنساني – ترجمة طلعت منصور وآخرون – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية – سنة ١٩٨٧.

2 - Bieber, I: Cognitive Psychoanalysis, New York: Aronson, 1980.

- Carlson, R: Personality, Annual Review of Psychology, 1975.

3 -Waller stein, R.S., Sampson. H: Issues in research in the Psychoanalytic Process. International Journal of Psychoanalysis.1971.

٤- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ١٠٧ وما بعدها.

[ب] علم النفس التحليلي (كارل يونج ١٨٧٥ــ ١٩٦١م):

يعد يونج من أهم المفكرين السيكولوجيين في القرن العشرين، فقد كرس ما يزيد عن ستون عاماً من الجهد المتواصل في كشف أغوار النفس البشــرية(*). وعلى الرغم من أن نظرية يونج هي بالدرجة الأولى نظرية في التحليل النفسي بسبب تأكيده الواضح على العمليات اللاشعورية، إلا أنها تختلف عــن نظريــة فرويد في اهتمامه بالجمع بين السببية والغائية، فالسلوك الإنساني لا يحكم فقــط من خلال الفرد وتاريخه الجنسي (السببية) ولكن أيضا مــن خــلال الأهــداف والطموحات (الغائية). كما تميل وجهة نظره إلى التأملية والاهتمام باللاشــعور الجمعي جنباً إلى جنب مع اللاشعور الشخصي، فالإنسان اليوم قد تشكل وتقولب في شكله الحالي من خلال التجارب المتراكمة للأجيال الماضية، والناس يولدون ومعهم نزعات كثيرة خلفها لهم أسلافهم، وهذه النزعات تهدى سلوكهم.

كما اهتم يونج بعلم نفس ما وراء الطبيعة (الباراسيكولوجى)، وتقسيم الناس إلى أنماط على حسب خصائصهم المزاجية وليس على حسب التثبيــت الشــبقي لديهم كما فعل فرويد، وعدل من طريق فرويد في العلاج، واهتم بــأثر الــدين على الفرد وصحته النفسية، ومهد لقياس الشخصية باستخدام أدوات موضــوعية واسقاطية(١).

أ ــ طبيعة الشخصية:

أطلق يونج على نظريته علم النفس التحليلي (***Analytical Psychology***).

ورغم التشابه في المسميات وبعض التركيبات فإن علم النفس التحليلي يختلف

(*) ولد كارل جوستاف يونج Carl G Jung في السادس والعشرين من يوليو عــام ١٨٧٥م فــي كيزول وهى قرية في سويسرا، ويرجع شاك يونج في عقدة أوديب في جزء منها إلى المرأة العطوفة التي عانت من مشكلات زوجية. والتأثير يختلف تماما هنا، فظروف فرويد كانت أفضل بكثير فــي طفولته، لقد كان يونج قليل الاتفاق مع أمه... وكمثل فرويد ارتفع يونج من طبقة متوسطة إلى أن لخذ شهرته العالمية. وكان يونج طفلاً وحيدا يتميز بالانطواء، وكان منشغل بعمق بعالمه النفسي الداخلي، ومنذ حياته المبكرة وهو يستمتع بجمال الطبيعة.

- *Jung.C.G: Memories, Dreams, Reflections. New York: Vintago Books, 1965.*

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ١١٥.

أحيانا عن التحليل النفسي لفرويد[*].

وتفسير يونج للسلوك الإنساني أشتمل على دراسة التركيبات الآتية:

١ـ الغرائز والطاقة النفسية:

- **اللبيدو والقيمة (*Libido & Value*)**: يوافق يونج فرويد في أن البشر تحركهم غرائز فسيولوجية فطرية يولد الفرد مزوداً بها، وتشكل أساليبه المنتظمة في الفعل ورد الفعل[1]، ويرى أيضا أن النشاط العقلي يُقوى بطاقة نفسية (اللبيدو)، غير أن يونج لم يكن متعاطف مع اعتبارات معينة في نظرية التحليل النفسي ويرفض بشدة تأكيدها القوي على الرغبة الجنسية[**]

ومفهوم يونج عن اللبيدو يشير إلى الطاقة النفسية الكلية المستثمرة في الأنشطة والأحداث العقلية، وبالنظر إلى الغريزة (الغرائز) تأخذ القيمة الجزء الأكبر من طاقة اللبيدو والأكثر في الأحداث المرغوبة، ومفهوم يونج عن القيمة (***Value***) يشبه إلى حد ما مفهوم فرويد عن تجمع الطاقة (***Cathexis***)، فيما عدا أن تجمع الطاقة ذات صبغة جنسية، بينما القيمة ليست كذلك. ففي المجتمعات التي يغلب فيها التنافس، بعض الناس تكون قوة القيمة لديهم أكبر من طاقتهم النفسية نحو النجاح الوظيفي ويصبح ضعيف جنسياً، وقد اخذ فرويد وجهة نظر قاتمة حول هذا النوع من السلوك، حيث أن اللبيدو عند فرويد ينكر معظم المخارج

(*) خلال الفترة من ١٩١٣ – ١٩١٩م عاش يونج وحيداً يبحث في أعماق اللاشعور لديه ويتجادل مع ذاته، ولقد لاحظ ظهور نماذج شعورية مختلفة، وشعر انه يتدخل في العمليات الفردية ويكتشف نفسه، وكان يعانى من بعض الانفعالية (القلق الانفعالي) معتقداً أن هذه الأعراض تشبه الأمراض المبدعة (***Creative Illness***) التي أصابت فرويد. وفى سنة ١٩١٩ انبثق عن فترة استيطانه الذاتي باعتقاد لكبر في صدق لما طوره من بناء في نظريته.

-Ellenberger, H.F: The discovery of the unconscious. New York: Basic Books, 1970.

1- Jung, C. G: In stinct and the unconscious (in): The portable Jung. New York, Viking Press, 1971 C. P, 44.

(**) لم يعارض يونج فرويد، وهو كما يقول لا يعنى إغفال أهمية الرغبة الجنسية في الحياة النفسية، ولقد كان فرويد عنيدا حينما تجاهل وجهة نظر يونج، وان ما يبحث عنه هو ليجاد علاقة بين المصطلحات الجنسية التي أفسدت كل المناقشة حول النفس البشرية.

المرضية، أما الليبدو عند يونج فيشمل الطاقة من عدة مصادر بما في ذلك غرائز الجنس، وبالمثل ففي المجتمع البدائي يكون الطعام غير متوفر، ولكن الجنس شيء متاح عن طيب خاطر، فإلى حد كبير فإن جزء كبير من الطاقة النفسيةسيتم تكريسها في التفكير في الطعام بدلا من التفكير في الجنس، وينظر يونج لهذا الموضوع على أنه يمكن فهمه في ضوء الفروق في القيم، عن كونه نوع من التسامي لبعض الغرائز الجنسية الموروثة **(فالحذاء الذي يناسب شخص ما لا يناسب شخص آخر)**، ولا توجد فرصة موحدة عالميا للحياة. ويعد هذا رفضاً على أجبار الناس على أن يُصبوا في قالب واحد، وهو إحدى السمات المثيرة لعلم النفس التحليلي. على أنه يجب ملاحظة أن يونج لديه رأي مشابه لوجهة نظر فرويد عن حقيقة التركيبات النظرية(١).

وطبقا لرأى يونج فالسلوك الغريزي يختلط بسهولة مع الدوافع الشعورية، وهذا يجعل من الصعب التعرف على كل الغرائز الإنسانية أو الطبيعية الدقيقة للبيدو. أن قائمة متميزة من الغرائز سوف تشمل على (الغذاء- الجوع، العطش، الجنس، القوة، النشاط، وتشمل حب التغيير، ودوافع اللعب والسفر) فسوف تصبح وحدة متكاملة أو تكون الذات الحقيقة المتصفة بالتفرد والإبداع، ويختلف يونج بدرجة شديدة مع فرويد فهو يعتقد أن البشر لديهم طبيعة خلقية فطرية سيكولوجية ضرورية مطلقة(*).

- **العُقد:** هي الطريق المميز والذي تُعبر النفس من خلاله عن ذاتها. إن العُقد النفسية ذات القيمة العالية غالباً ما تصبح شيئاً تلقائياً، وتمارس سيطرتها على الشخصية، فالرجل الذي تسيطر عليه عُقدة الأم يصبح عاجز

1-Ellenberger, H.F: Op.Cit, 1970.

مشار إليه لدى: دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ١٢٠.

(*) يحتاج الإنسان بدرجة لا تقبل الجدل لأفكار عامة وإيمان راسخ، وهو ما يعطى معنى لحياته، وتمكنه من إيجاد مكاناً لنفسه في هذا الكون، وبها يستطيع الإنسان أن يواجه أعظم الصعوبات الخارجية حينما يقتنع أن لها معنى، ويتحطم الإنسان حينما يكون في قمة سوء حظه، فينبغي عليه أن يعرف أن له دور في اي قصة قام بتأليفها شخص غبي.

- Jung, C.G: (ED.) Man and his symbols – New York: Dell, 1968.

عن أن تكون له علاقات مرضية (طيبة) مع الجنس الآخر، لأنه أصبح مهتم بدرجة إكبر برغباته وأرائه فيتحدث عنها باستفاضة، ويجعل الموضوع محل حديثه باستمرار وأحلامه دائما رمز للأم (*Mother Symbols*)(*).

٢ــ الغائية (القصدية):

بينما يؤكد فرويد أن طفولة الفرد تحدد نمط شخصيته العليا والسببية (*Causality*). فأن يونج يرى أن أي سلوك يجب أن يفهم في ضوء الهدف والسبب وراءه (*Teleology*)، فالشخصية لا تتحدد عن طريق الماضي فقط ولكن أيضا تستمر في التطور الهادف نحو المستقبل(**).

وهكذا فإن السلوك العادي والأحلام ورموزها أو حتى الأعراض العصابية، تكون موجهة نحو المستقبل، وملائمة لنمو الشخص كما تتوازن مع ماضيه. والعقد تنشأ أيضا لبعض الأغراض، حتى وان كانت تبدو متعارضة مع الأهداف في احد الأجزاء الأخرى للشخصية، وبالإضافة إلى هذه الظواهر في الغائية، فإن يونج يرفض وجهة نظر فرويد، بأن نوازع النفس البشرية يمكن أن ترجع إلى أسباب فسيولوجية، فالغرائز لها دلالة عضوية بينما الحياة العقلية تتبع (قانون خاص بها)، والذي لا يمكن أن يستدل عليها من معرفتنا للقوانين الفيزيقية للطبيعة[١].

٣ــ اللاشعور(*The unconscious*):

(*) على سبيل المثال: فان مجموعة الأفكار والمشاعر المتمركزة حول الأم تتشابك معا لكي تُكون عقدة الأم *Mother complex* بينما العقد المرتبطة بـ (أنا ــ I) ونفسي (*My self*) تعطى مكون الشخصية المعروف بالآنا (*EGO*). ويمكن أن يكون لدى الفرد عقدة الأم ضعيفة نسبياً، بينما عند فرد آخر يعانى من عقدة الأم بدرجة أنها تسيطر على نفسه.

(**) لن يكون الإنسان غير مستوعبا لحياته لمجرد أن يعرف كيف أتى كل شيء إلى هذه الحياة. فالحياة ليست مجرد الماضي فقط، ولا أن يوضح ربط الحاضر بالماضي فقط لان الحياة فيها الغد أيضا، والحاضر واليوم يمكن أن يفهما عندما نضيف إلى معرفتنا أن الأمس هو بداية الغد. يراجع:

- Jung, C G: on The psychology of the unconscious (in) essays on analytical psychology Princeton, N. J: Princeton university press, 1972 b.

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ١٢٤.

قبل يونج بكل رضا وجود المتناقضات، حتى مع وجود بعض الأمثلة والنمـــاذج في تجمعات فرويد، ولكن مدخل يونج في القصدية ـــ وبصرف النظر عن كون الأحداث النفسية تحدث بقصد أو غرض ـــ يرى أن الأحداث اللاشعورية تحدث تلقائيا وتنطلق عفويا من اللاشعور، ولا يســتطيع فقــط أن يخــرج الرغبــات اللاشعورية ولكنه أيضا يستطيع أن يلغى الرغبات الشعورية[١].

وبطريقة غير مشابه لما قاله فرويد، لم ينظر يونج إلى محتوى اللاشــعور على أنه أفكار شيطانيه بشعة وجبارة، فكل قوة فطرية في الإنسان هي ضــرب من ضروب العاطفة وهى تتطور باعتدال، واللاشعور يشمل ينــابيع الابتكــار ومصادر الإرشاد والشجاعة، والدليل على ذلك أن الإنسان من الممكن أن يقترح بعض الحلول عندما يصبح الشعور في حالة يأس أو إحباط وعدم قــدرة علــى أعطاء فكرة معينة، وهنا يعيد اللاشعور ترتيب خبراته مستغلاً كل ما لديه مــن معلومات منسية في طي الكتمان أهمها حكمة وخبرة القدماء في القرون الخوالي.

ب ـــ تركيب الشخصية:

يعد نموذج يونج للنفس (اقل اتساقا) وأكثر تعقيداً من ذلك الــذي وضــعه فرويد، على سبيل المثال: **فالعُقَد** تنشأ في اللاشعور ويمكنها الخروج (الانتقــال) إلى الشعور، وتحاول التأثير والتحكم في الشخصية لتحقيق أغراضها الخاصــة. بينما يرى فرويد العكس من ذلك، فالهي في رأى فرويد تبقى لا شعورية وتؤثر على الآنا من خلال عمليات تجمع الطاقة.

وهناك أبنية أو مكونات أو أنظمة مختلفة في علم النفس التحليلي تم تمثيلها بأكثر من مركب واحد للشخصية، وعناصر لا شعورية تنصهر حقا أكثــر مــن كونها متباعدة أو منفصلة. وتفصيل ذلك:

- **الشعور**: وُصف في نظرية التحليل النفسي (فرويد) كما لو كان يمثل قيمــة جبل جليدي، بينما اللاشعور يمثل قاعدة الجبل. وبالمثل فالشعور فــي علــم النفس التحليلي يشبه إلى حد ما جزيرة صغيرة تظهر في وسط بحر شاسع.

١- المرجع نفســه – ص ١٢٥.

- الآنـــا (*Ego*): هي مجموعة معقّدة (مركبة) من الأفكار الشعورية والتـــي تشكل مركـــز إدراك الفرد، وتظهر فاعليتها بدرجـــة كبيرة فـــي إحـــداث الاستمرارية وتكوين الهويـــة، وهذا الإحساس يتطور في نفس الفـــرد فـــي الرابعة من عمره، وقد ساعد على نموها الإحساس الجسمي والـــذي يُنمـــي (يُنشأ) الاختلاف بين أنـــا، ولا أنـــا {I} **and** {Not I}. وعـــن طريـــق الخبرات (كخبرة النجاح مثلاً) التي يمكن إرجاعها إلى أحساس موضـــوعي بالهوية ولكنها لا تصبح منتج منتهى بالفعل[١]. ويقتنع يونج بأن الآنـــا هـــي كائن ضعيف نسبياً دائما ما يكون في موضع يتطلب الرحمة وبين أكثر من قوة كبيرة، كمتطلبات الواقع من جانب والمتطلبات اللاشعورية من جانـــب آخر، وتستطيع الآنا كذلك أن ترسل المادة المهددة إلى اللاشعور الشخصـــي بطريقة الكبت[٢].
- القنـــاع (*The Persona*):لا يمكننا دائما أن نقدر على مواجهـــة العـــالم بمشاعرنا الداخلية الحقيقية، ولكن يجب أن نغير مـــن مظهرنـــا الخـــارجي لنرضي من خلاله مطالب المجتمع، وهذا الوجه المخادع يعرف باسم القناع (*Persona*) فقد ارتدى الممثلين القدامى القناع ليلعبوا الأدوار التي تخصهم والقناع يُسهل لنا اتصالنا بالآخرين من الناس لكونه يعطيهم انطبـــاع عمـــا نتوقعه منهم.

والقناع هو حل وسط بين الفرد والمجتمع وما هو الإنسان الذي يجـــب أن يظهر وأن يكون، وذلك مثل ارتداء الزى العسكري، أو لعـــب دور اجتمـــاعي، فالمجتمع يتوقع ـــ أو يجب أن يتوقع ـــ أن على كل فرد أن يثبت قدميه، فهـــذا الاسكافي وهناك الشاعر ولا يوجد إنسان نتوقع أن يكون هو الاثنين معاً، وليس من المعقول هذا وذلك سيكون غريباً، فالإنسان الذي يختلف عن الناس لا يمكن الاعتماد عليه، والمتوقع دائماً من قبل الآخرين أن يكون هذا شخص غير عملي

1- Jung, C G: Psychological Types: Princeton University Press, 1976. P, 132.

٢- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- المرجع السابق – ص ١٢٦.

وليست لديه كفاءة، ذلك لأن المجتمع اقتنع بأن الاسكافي وحده ــ وليس الشاعر ــ هو الذي يستطيع أن يعمل في الأحذية(*).

- **الظــل (*The shadow*)**: الظل هو الجزء الأولى (البدائي) والجانب غيــر المرغوب من الشخصية الذي اشتق من أسلافنا، وهو يتكون مــن المــواد المكبوتة في اللاشعور الشخصي حيث أنها مخزية وغيــر ســارة، وتلعــب دوراً متكافئاً للقناع والآنا (هناك حالات شاذة، حيث تكون المظاهر الايجابية من الشخصية مكبوتة وتكون الآنا سالبة بصورة واضحة)، أن قــوة الظــل تظهر بوضوح عندما تنتاب الشخص فتــرة مــن الثــورة العنيفــة وغيــر المضبوطة وهذا الأمر وضاح تماما في الأدب(**).

ولم ينظر يونج إلى الكبت على أنه عملية حفظ نشطه، ولذلك فإن الشخص الذي يود أن يختبر محتوى الظل لديه يمكنه عمل ذلك، لكن هذه مهمــة مهــددة بدرجة كبيرة ولذلك يفضل تفاديها غالبا.

• القناع والأنماط الأولية للظل:

ما سبق ذكره عن القناع والظل تم دمجه في النفس البشرية خلال الأجيال

(*) وشبيه لذلك فان الدور الوظيفي للطبيب يصدق في رأى مريضه عندما يهدأ من روعة بجانــب فراشه، بينما الاستاذ الجامعي يُفترض انه سيقوم بتمثيل دور المصدر الموثوق به ذي المهارة الفنيــة الخاصة، وانتهاك هذه التوقيعات – كالسلوك القلق وغير المميز – بلا شــك سيثير مقاومة الآخرين. (المرجع نفسه – ص ١٢٧).

(**) في قصة دكتور جيكل والسيد هايد *Dr.Jeky II & MR Hyde*, فالسيد هايد الخطير الــذي يعمل تحت أمرة دكتور جيكل الذي لا يعفو ولا يصفح. ومع ذلك فان اي تكوين فــي علــم الــنفس التحليلي يؤكد على انه يجب أن يكون الظل على الأقل له فائدة ما، لكي يُبقى على الأجيال من خلال عملية التطور، فهو مثل الهي عند فرويد تمدنا بقدر ضروري من الحيوية والنشاط.

وحيث أنه من المستحيل أن نحصل على ضوء الشمس دون أن نجد الظل معه، لذلك فإن نور الشعور لابد وأن يقترن بالجانب المظلم من شخصيتنا، وليس ذلك لكي ننفر من ظلنا بل ينبغي علينا أن نفتح صندوق بندورا (*Pandora s box*) ــ بندورا أمراء أرسلها زيوس كبير آلهة اليونان عقابا للجنس البشري، بعد أن سرق بروميثيوس النار من السماء، وتعليمه للبشر كيــف يســتخدمونها، وأعطاهــا صندوق بندورا، وما أن فتحته بدافع الفضول حتى أنطلقت منه جميع الشرور والرزايا، فعمت البشر ولم يبق فيه غير الأمل **[أسطورة يونانية]** ــ ونتقبل محتواه.

المتعاقبة، وقد انعكس ذلك عن طريق دمج الأنماط الأولية في اللاشعور الجمعي، وهكذا فنحن نرث الميول لتشكيل الشخصية، ويتضح ذلك في تفسير ظاهرة الانيما والانيموس حيث يتبنى علم النفس التحليلي الرأى الأوسع قبولاً، وهو أن الإنسان في أصله خنثى أو ثنائي الجنس، ولكنها تختلف عن النظريات الأخرى لأنها تنسب هذه الظاهرة إلى الأنماط الأولية، فالأنوثة اللاشعورية في الرجل ترجع إلى نمط أولى يعرف بالانميا (*Anima*)، أما الرجولة {الذكورة اللاشعورية} في الأنثى فتعرف بالانيموس (*Animus*)(*).

ولم تسلم نظرية يونج (علم النفس التحليلي) من النقد والمعارضة:

حيث اختلفت أراء العلماء مع أفكاره ووُجهة إليه الكثير من عناصر النقد، منها أن أسلوب يونج يتسم بالتشويش الأدبي، وارتباك المفاهيم والافتقار إلى الأسس العامية، والفكر الخاطيء بشأن الاستقلال الذاتي للنفس البشرية[1].

* **التشويش الأدبي وارتباك المفاهيم:** تعد كتابات يونج في بعض الأحيان واضحة جداً، إلا أن أسلوبه الأدبي يوصف بأنه ممقوت ومربك وتنقصه الدقة والترتيب، فعلى القارئ أن يكافح في عدد من الصفحات تتدفق فيها الأفكار وتتضمن فقرات طويلة وقوائم طويلة من المراجع الغامضة والمعقدة، ولم يكن يونج مهتما بالتعريفات الواضحة لمصطلحاته. فمثلاً: تعريفه للغريزة على أنها استجابة متعلمة أو سلوك تعود عليه الفرد وفى الوقت ذاته هي محدد فطرى للسلوك. وان الشعور شيء يمكن تقييمه، وهذا أمر غير مناسب لأن على العالم أو المنظر أن يقدم أفكارا جديدة وواضحة ويعرف مصطلحاته بدقة، ولم يفعل يونج ذلك مما جعل هناك بعض الرفض وسوء فهم لأعماله، التي وصفت أحيانا

(*) الانيما (المركب الأنثوي) في الرجل تنتج عن خبرات الرجال مع النساء منذ فجر التاريخ والأنماط الأولية هذه تحدث أمرين **الأول:** تجعل لدى الذكور صفات أنثوية، **والثاني:** أن تكون عمل يجعل الذكور ينجذبون للإناث، وتمد الرجل بصورة مثالية عن الأنثى. والانيموس (المركب الذكرى) في الأنثى فهي تمد الإناث بخصائص الذكورة، وتكون أطار عمل يسهم في تكوين علاقة مع الرجل، وتمد المرأة بصورة مثالية عن الرجل.

١- المرجع نفسه- ص١٥٤، ١٥٥.

بأنها سطحية، وغير ناضجة أحيانا أخرى.

* **الافتقار إلى الأسس العلمية:** انتقد البناء التركيبي للاشعور الجمعي عند يونج، على أنه غامض ويفتقر إلى الأساس العلمي ونفس الأمر بالنسبة لاعتقاده في البارasيكولوجي، والنموذج الميتافزيقى للبيدو، وقد فهم ذلك على إنه مجــرد محاولات شــبة علمية، وضعهــا يونج للهجوم على فرويد وانتقاده وليس لبناء نظرية ناضجة، فالوظيفة التي تقع خارج نطاق البشر، من الصعب شرح كيــف تطبق، فمثلا مفهوم التزامن يبدو غير واضح[1]، كما أظهر يونج عدم تفضــيل لاستخدام الإحصاء مما جعله يبالغ في أهمية الأحداث غير العادية.

* **الاستقلال الذاتي للنفس البشــرية:** لو كان الجنس هو القوة البشرية التي دفعت فرويد إلى اعتناق فكر دوجماطى حوله، فإن نفس الأمر حدث ليونج حول مفهومه عن الاستقلال الذاتي، فهو يرجع أفكارنا وخيالنا إلى أحــداث مســتقلة حدثت لنا أطلقتها ما لدينا من عقد نفسية، وفى رأيه غير الصائب بــالطبع – أن ليس من الطبيعي– بل من الضروري أن نسمع أصوات تنبعث من داخلنا، لكي نتعلم من اللاشعور الجمعي ومن ثم تحدث عملية التفرد. وهذا ما يتعارض كلية مع علم النفس الحديث لان ذلك يعنى أن هناك اختلال عقلي ما، بالإضافة إلــى أن هذه الأصوات لا شك ستؤثر على الرأي الشخصي، ومن ثم تؤجــل تحقيــق التفرد والذاتية، ولقد تأثر في هذا الجانب بسيرته الذاتية وانه أسير أفكاره السيئة

* **ولقد وصف فرويد ذات مرة يونج بأنه مجنون،** وهناك بلا شك علماء نفس معاصرين سوف يوافقون فرويد على هذا التشبيه، ولكن حتى الآن مازال يــونج يعد معالجاً نفسيا ذو بصيرة، ومفكراً ذو خيال خصب قدم لنا معلومات شــاملة بدرجة غير عادية تفوق الحد عن موضوعات عديدة ومختلفة، ورغم أن الكثير من آراء الناقدين لنظرية يونج مقنعة، ألا أن كتاباته قدمت ثروة علمية هامة.

١- باقتراب حياته من النهاية طور يونج مبدأ التزامن (*Synchronicity*)، الذي يعنــي التطــابق الزمني أو المكاني بين الأحداث التي لا ترتبط بالسببية أو القصدية. ولم يستطع يونج بعد ذلك نسب هذا التطابق إلى فروض حقيقة، مثل شخص ما قد يحلم بأحداث مستقلة تماما ثم تتحقق بعد ذلك، مثل مقابلة صديق لم يراه منذ سنوات.

[ت] علم النفس الفردي (ألفرد أدلر ١٨٧٠-١٩٣٧م)

القضايا العلمية عادة ما تكون قضايا عقلية وموضوعية، ورغم ذلك في حالات كثيرة يحتدم الخلاف بين أصحاب التخصص لاختلاف وجهات النظر العلمية وهو ما حدث عام ١٩١١م، عندما اختلف كل من فرويد وأدلر حول نظرية التحليل النفسي وخروج أدلر من دائرة فرويد، ودفع ذلك أيضا فرويد إلى منع أتباعه من حضور أي مؤتمر علمي يشترك فيه أدلر عن التحليل النفسي[١].

وكما فعل يونج أصر أدلر على أن يكون حراً في التعبير عن آراءه الخاصة، وترتب على ذلك أن تباعدت نظرية أدلر عن التحليل النفسي واتخذ طريقاً منفصلاً، الأمر الذي دفع فرويد إلي اتهامه بالضلال وسرقة مؤلفاته.

أ ـــ الطبيعة الأساسية للشخصية:

أطلق أدلر على نظريته مسمى (*Individual Psychology*) علم النفس الفردي، ولسوء الحظ فإن هذا الاسم لا يعبر عن محتوى النظرية إلى حد ما، فكلمة الفردية تعبر عن اعتقاده بوحدة وعدم تجزؤ كل شخصية إنسانية، ولكنه دون أن يقصد أشار إلى أن العامل الاجتماعي يعد أهم العوامل على الإطلاق، وقد دافع عن ذلك بقوله: " الفرد يصبح الفرد فقط في إطار سياق اجتماعي، ولكن أنظمة أخرى في علم النفس تجعل هناك اختلافات بين ما يسمونه علم النفس الفردي وعلم النفس الاجتماعي ولكن بالنسبة لنا لا توجد هذه الاختلافات"

وعلم النفس الفردي يعطى اهتماما قليل نسبياً للغموض الذي يكتنف تناقضات الميتافيزيقا، والتعميق في أغوار النفس البشرية وأن أهداف أدلر هي تزويد كل فرد بفهم جيد لطبيعته البشرية الإنسانية، وهو يؤكد على استخدام الأسلوب

١- ولد أدلر في ٧ فبراير عام ١٨٧٠م في رادو لفشيم *Rudo lfsheim* وهى مقاطعة في فينا. وكان أدلر ضعيف البنية أصيب بأمراض عديدة، ولقد تابع دراساته في الطب في جامعة فينا، ولم يلتحق بأي من محاضرات الهستيريا التي كانت تلقى من عالم النفس – غير المعروف في ذلك الوقت- فرويد. وكانت حياته بسيطة بطريقة غير عادية وبلا غرور ولا يشبه إطلاقا الرجل النموذجي، وقد كان رجل قصير قوى ذو مظهر غير لائق وقل أناقة عن كل من يونج وفرويد، وكان يتميز بقوة عواطفه التي أدت إلى تأثره السريع وحساسيته المفرطة، وكانت معظم إنجازاته الهامة والقيمة خلال الفترة من ١٩٢٠- ١٩٣٣م حيث نشر عدداً من الكتب الهامة. (المرجع نفسه – ص ١٦٠، ١٦١).

البراجماتى(*) للتعامل مع مشكلات الفرد، ما اكتسبه خلال طفولته وما حققه من تفاعل مع الآخرين وما يحصل عليه من خصائص في الحياة بشكل عام[1].

- **الاهتمامات الاجتماعية:** بينما ينظر أنصار التحليل النفسي إلى الحياة على أنها صراع بين الأنانية الذاتية الموروثة ومتطلبات المجتمع، يرى أدلر أن الناس لديهم ميول فطرية للارتباط بالآخرين وهو ما سماه بالاهتمام الاجتماعي (***Social interest***) أو الشعور بالارتباط الاجتماعي (***Community Feeling***)، وهذا يتضمن أكثر من مجرد العضوية في مجتمع معين أو جماعة بعينها، ويرجع ذلك إلى إحساسنا بنوع من إنسانيتنا، وهو ما يمكننا من التغلب على ضعفنا الفيزيقي من خلال الحياة في تعاون مع الآخرين وتقسيم العمل معهم(**).

والاهتمام الاجتماعي يفوق الآنا الأعلى واللاشعور الجمعي، لأنه يضم خطوط إرشادية تناسب تطور الشخصية، وهكذا فقد ألح أدلر على الميل إلى الاجتماع، فالتفكير والعقل والمنطق والأخلاق والجماليات جميعها أمور لا تنشأ إلا في المجتمع، وأنها في الوقت نفسه مسالك بين الأفراد، يقصد منها حفظ الحضارة من التحلل، ذلك أن كل الكفايات الإنسانية لا يمكن أن تنمو وتنضج إلا من خلال اهتمامنا برفاقنا من المجتمع[2].

(*) البراجماتية: هي ما يعرف بفلسفة الذرائع، وهى فلسفة أمريكية تتخذ من النتائج العلمية مقياساً لتحديد قيمة الأفكار الفلسفية وصدقها.

١- المرجع نفسه – ص ١٦٢. ويراجع أيضا:

-Adler A: The science of living New York. Anchor Books, 1969.

(**) يقول أدلر في هذا الشأن: (تخيل لو أن إنسان ما عاش بمفرده دون وسائل ثقافية في غابة بدائية، فسوف نجده بالطبع غير متوافق بالقياس لأي كائن بشرى آخر. فالمجتمع أذن هو الضمان الوحيد لبقاء ووجود الجنس البشرى، والاهتمام الاجتماعي هو الحقيقة التي يتحتم وجودها حتى يتم التغلب على الضعف الطبيعي).

- Adler, A.: The differences between individual psychology and psychoanalysis – superiority and social interest: A collection of Adler's later writings, New York, Norton, 1979 b.

٢- يراجع بشأن الاهتمامات الاجتماعية في نظرية أدلر: إسحق رمزي – علم النفس الفردي – القاهرة – دار المعارف – ط ٣ – سنة ١٩٨١.

- **القصدية وأهداف الحياة:** احتوت نظرية أدلر في بدايتها فكرة الدافع العدواني، الذي شغل مكانة هامة في نظريته لمدة اثني عشر عاما سابقا بذلك فرويد، ولكنه تنازل أخيرا عن هذا المدخل، وخلاف علم النفس التحليلي والتحليل النفسي فأن علم النفس الفردي نظر إلى فكرة وراثة المكونات الشخصية كشيء خرافي، فنحن لسنا مجرد آلات تحرضنا بواعث فطرية ولكننا نختار أهدافنا الحياتية والوسائل التي تحققها، حتى الاهتمام الاجتماعي ليس هو فقط الذي يتميز بوجود نزعة (ميل فطرى) ولكن من الممكن أن ننكر هذا الميل ونختار التمركز العصابي حول الذات[1].
- **الشعور بالنقص والسعي نحو الوصول للرفعة:** يرى أدلر أن الهدف الأول الذي يندرج تحته كل أنماط السلوك الإنساني هو حماية الذات، فكل فرد يبدأ حياته ضعيفا لا حيلة له، ويمتلك الدوافع الفطرية للتغلب على الشعور بالنقص والسيادة على البيئة المحيطة به.

ويرى أدلر أن المرء يصل إلى معنى الحياة منذ السنوات الأربع أو الخمس الأولى من العمر كله، لكنه لا يصل إلى إدراك ذلك المعنى بالوسائل المنطقية المضبوطة، بل يتحسس طريقة في الحياة، كما يتحسس الأعشى طريقة في جو غامض، وذلك للحصول على الغايات التي قد تضمن له الأمن، وتخفف من الشعور بالقصور.

ب ـ تركيب الشخصية:

نظراً لأن أدلر يرى أن الشخصية وحدة واحدة متكاملة لا تتجزأ، فهو لذلك لم يضع أية افتراضات حول تركيبها، وهو يتفق مع فرويد ويونج في أن الجزء الأكبر من شخصيتنا لا ندركه تماماً. وأن أصعب شيء على الإنسان أن

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق- ص ١٦٣. وراجع أيضا:

- *Adler, A.: what Life should mean to you: New York: capricom Books, 1958.*
- *Adler, A.: Advantages and disadwntages of the inferiority feeing superiority and social interest: A collection of Alfred Adler's Later writings- New York: Norton, 1979 a.*

يفعله هو أن يعرف نفسه أو يسعى لتغيير نفسه، ولكنه يعزو (ينسب) نقص المعرفة الذاتية إلى عوامل قصدية أو غرضية أو صراعية. ونحن نخدع أنفسنا لكي نصل إلى تحقيق مآربنا (أهدافنا) المختارة، واللاشعور هو ذلك الجزء الذي لا نريد فهمه أو معرفته.

- **ويقسم أدلر الناس إلى طرازين:**

الأول: ويشمل أولئك الذين يعرفون قدراً أكثر من المتوسط عن حياتهم اللاشعورية.

الثاني: ويشمل أولئك الذين يعرفون قدراً اقل منه.

ويرى أدلر أن الشعور ضرب من النشاط العقلي يسهل تفهمه إلى حد ما، ذلك أن الإنسان يستطيع أن يتفطن إلى كثير مما يجرى في عقله غير أن هذا التفطن ليس سوى جانب صغير من ضروب النشاط، وأنه ليس من الصواب أن نطلق لفظ اللاشعور على كل ما يجرى في العقل بعيداً عن نطاق الشعور[1].

ت ـ نمو الشخصية:

يشارك أدلر فرويد الرأي في أن الشخصية تتكون خلال السنوات الخمس الأولي من الحياة، ويتفق معه أيضا في أن هناك غرائز جنسية في الطفولة. ويرى أدلر أن السلوك الجنسي في الطفولة هو شكل من أشكال المجاهدة للاستعلاء (للتغلب على الشعور بالنقص)، وهو يرفض فكرة وجود مراحل نمو معينة مفضلاً التركيز على الممارسة الموجهة لتقويم الاهتمام الاجتماعي، وتجنب الوقوع في كارثة عقدة النقص.

* **العوامل المؤثرة في نمو الشخصية:** ارجع أدلر العوامل المؤثرة في نمو الشخصية إلى:

- **الأم:** فلا شك أن جهود الطفل للاهتمام الاجتماعي تزدهر بواسطة الأم، فنحن مدينين إلى الإحساس الأموي بالاتصال بالجزء الأكبر من الشعور الاجتماعي الإنساني، وعليه يدور الجزء المستمر من الحضارة الإنسانية.

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ١٦٦.

- ثم دور الأب: هو أعطاء الطفل الشعور بالشجاعة والاعتماد علـى الـذات، وأن يؤكد على الحاجة إلى التعاون المرضى والموفق. ويرى أدلر أن كثيراً من الآباء غير معدين (مستعدون للتغلب على المخـاطر والتحـديات التـي تواجه أطفالهم).
- الخصائص الطبولوجية (أسلوب الحياة): يستجيب الطفل لشعور بـالنقص، وترتيبه الميـلادي، والأساليب الوالديه في التربية، بأن يطور أسلوبه فـي الحياة. فسلوك الإبداع الذاتي والتنظيم المعرفي يتكون تماماً عند أربعـة أو خمسة سنوات، مكونا الأهداف التي يختارها الطفل في حياتـه، والأسـاليب التي يستخدمها لتحقيق هذه الأهـداف، مثـل اسـتخدامه لعمليـات الإدراك والتذكر والأنشطة العقلية الأخرى والتي تشكلها هذه الأغراض[1].

*** ومن العوامل المؤثرة في نمو الشخصية أيضا:**

ـ **التدليل**: ربما يكون التدليل من اخطر الأخطاء التي يقع فيهـا الوالـدين بإغراق الطفل بالاهتمام المفرط والحماية والمساعدة، هذا التدليل ***Pampering*** أو الافساد ***Spolin***، يسلب الطفل استقلاله واعتمـاده علـى الـذات، ويشـطر (يحطم) الثقة بالنفس. والتدليل أيضا ربما يكون سببا لعقدة اوديبيه، حيث يـرى أدلر أن عقد اوديب ليست عامة ولا جنسية، وهى في رأيه أيضا ليست حقيقـة أساسية، ولكنها شعور غير طبيعي ينتج عن شعور امومى مفرط (شعور مستمد من الأم بصورة واضحة)، فضحايا عقدة اوديب هم أطفال دللوا مـن أمهـاتهم، وكان آباءهم مختلفين أو قاسين.

ـ **الإهمال *Neglect***: هو أقصى طرف عكسي للتدليل، حيث الفشـل فـي توفير الرعاية والاهتمام بالصورة الكافية، يخلق الأثر الخاطئ من الإحساس بأن

١- على سبيل المثال: الطفل المدلل يختار الهدف الذي يجذب الانتباه باستمرار، ويرى الآخرين على أنهم مجرد وسائل لتحقيق رغباته. أما الطفل المهمل سوف يختار الهدف الذي يمكنه من أن يكـون محل احترام الآخرين، وينظر للآخرين على أنهم أعداء لدوديين له. أما الطفل الذي مـنح الاهتمـام والرعاية الكافية والمناسبة، فيبني أسلوب للحياة يتضمن النفع للأخربين، والإخلاص والتعاطف معهم.
- Adler ,A: OP – Cit.- 1958.

العالم كله بارد- جاف- وغير متعاطف، والطفل الذي يعانى الإهمال لا يعرف أبدا كيف يكون الحب والتعاون، وهو يضع تفسيرات للحياة لا تتضمن هذه القوى الأخوية (الحب والتعاون). ويحقر من شأن قدرته على مواجهة هذه الصعاب، ويرى أنه لا يستطيع أن يحظى بالحب والتقدير إذا أدى أعمال نافعة.

ـ **عوامل والدية أخرى**: الوالدين الذين لا يستطيعون أن يظهروا قدراً عادياً من الحنان أو الذين يصفون رقة المشاعر بأنها سخافة أو ضعف، فهم يضعفون وبدرجة كبيرة قدرة الطفل على ادارك الحب وإظهاره. وقد يلجأ بعض الوالدين إلى استخدام أسلوب العقاب لتعليم الطفل قيم ومعايير معينة، والعقاب أيضا وخاصة العقاب البدني ضار بالطفل ومن شأنه أن يخلق لديه الشعور بالنقص، وأي عملية تعليمية لا تقوم في أطار من الصداقة هي عملية خاطئة.

ـ **النقص العضوي**: العجز البدني أو المرض الخطير قد يثير شعوراً نفسياً قوياً بالعجز العضوي ليس بالضرورة أن ينتج عنه المرض النفسي. فالأعضاء غير المتكاملة تؤدى إلى العديد من الإعاقات، ونواحي النقص هذه ليست مصير أبدى، فالعقل إذا تدرب جيدا على التغلب على الصعوبات، فان الفرد قد يستطيع تحقيق نجاح بصورة لا تقل عما لدى هؤلاء الذين لا يعانون من مثل نواحي النقص هذه. ويعرف ذلك باسم التعويض.

ـ **الترتيب الميلادي**: يعلق أدلر أهمية كبيرة على الترتيب الميلادي للطفل في الأسرة، ويؤكد على أن الوضع داخل الأسرة غير متكافئ بالنسبة لكل الأطفال، فاكبر الأطفال سناً (الطفل الأول) يتمتع بفترة مؤقتة على اعتبار أنه مركز الاهتمام الذي لا ينازع، وتصل هذه الفترة إلى نهايتها من تدليل واهتمام بصورة مفاجئة وعنيفة بوصول الأخ الأصغر.

*** وقد واجهت نظرية أدلر (علم النفس الفردي) مجموعة من الانتقادات،** من بينها أنه إسراف في تبسيط نظريته، وأخذ عليه المغالاة في التأكيد على أهمية العوامل الاجتماعية وفي التأكيد على الشعور بالنقص، وقد أفرط أدلر في

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ١٦٨ وما بعدها.

التفاؤل بشأن الطبيعة الإنسانية الموجهة للاهتمام الاجتماعي[1]. من الانتقادات التي إصابة نظرية أدلر لعلم النفس الفردي:

* **إسراف التبسيط:** التبسيط المخل صفة معيبة لأي نظرية، ووصف أدلر للحياة يتناقض مع فلسفة يونج للحياة العقلية (الميتافيزيقا)، حيث يبدو أن علم النفس الفردي هو وصف مبالغ فيها لعقدة السلوك.

* **المغالاة في التأكيد على أهمية العوامل الاجتماعية:** أن محاولات ادلر لتحديد الشخصية ككل في مصطلح العلاقات الشخصية لهو موضع انتقاد، فعلم النفس الاجتماعي بحق هو نظام هام، ولكنه يمثل فرع واحد فقط في علم النفس الحديث ومعظم النظريات الحديثة توافق على أن الشخصية توجد ويمكن دراستها بمعزل عن الوجود الإنساني.

* **المغالاة في التأكيد على الشعور بالنقص:** مصدر آخر للجدل يتركز في اقتناع ادلر بأن كل عصابى وذهانى ومجرم يعانى من عقدة النقص، فالإحساس المغالى فيه بالعجز يلعب دور هام في العديد من الاضطرابات الجسيمة والعقلية

* **التفاؤل الزائد:** بقدر ما تميزت نظرية فرويد بالتشاؤم الزائد بقدر ما تميز علم النفس الفردي بنقيضه وهو التفاؤل الزائد. فإذا لم توجد عند الإنسان طبيعة مدمرة أو رغبات محرمة وغير مشروعة وتملك قوى غريزية فطرية للاهتمام الاجتماعي، كيف يمكن أذن للفرد أن يفسر حدوث العديد من الحروب والجرائم والكوارث ؟ حيث أنها من صنع الإنسان.

* **وأخيرا:** فإن أعمال أدلر تماثل إلى درجة كبيرة أعمال فرويد ويونج، حيث لم يؤيدوا نتائجهم بواسطة بيانات إحصائية تؤكد الموضوعية في إقرار هذه النتائج مما يجعل الشك قد يتطرق إلى أذهان البعض حول ذاتية ملاحظاته. ولم يضع ادلر خطوط خاصة للتميز بين المستوى المعتدل من الحب الأمومي والتدليل، أو بين المستوى الأدنى من التهذيب الكافي والإهمال أو القسوة، بالإضافة إلى أنه لم يتمسك باعتقاده المعترف به في فردية كل شخصية إنسانية.

١- المرجع نفسه – ص ١٩٠ وما بعدها.

ثانيا: نظريات التحليليون الجدد

النظريات التالية لدراسة الشخصية بنيت على نظريات فرويد ويونج، وقد رفض كل واحد من التحليلين الجدد الاعتبارات البيولوجية والليبدية في نظرية فرويد، وأكدوا بدلاً من ذلك على المحددات الاجتماعية للشخصية، مستفيدون بما قدمه أدلر ويونج في التحليل النفسي، مع اعترافهم بأن أراء أدلر مبسطة للغاية وسيرهم في نفس مسار أفكار فرويد.

نظرية العلاقات الشخصية المتبادلة I

(النظرية الاجتماعية ـ كارن هورني ١٨٨٥- ١٩٥٢م)

تشبه هورني فرويد في أن كل منهما يوصف بأنه شخص معقد تصدر عنه تصرفات مختلفة متناقضة[1]، قوى وضعيف ومتشدد ومنعزل حنون ومهمل، متسلط ومؤثر، وكانت هورني أساسا شخصية أنانية ومنغلقة حتى العشرينات من عمرها مبتعدة بنفسها عن الرأى العام، ومحتفظة بقليل من العلاقات الحميمة، وعموما فالفرق بين نظريتها وبين علماء التحليل النفسي التقليدين قادتها إلى نزاعات جادة معهم حيث رفض طلابها الاقتناع بمذهبها، وعانت هي نفسها من قدرها المحتوم بكونها غير جديرة بأن تكون معلمة للتحليل النفسي.

أ ـ طبيعة الشخصية:

كانت هورنى تعتقد في قابلية الطبيعة البشرية للتغير نحو الأحسن فقد كانت متفائلة بالنسبة لتطور الكائن الحي، وشجعها على ذلك الصفات الايجابية في الجنس البشرى. ومن هنا كانت تعتبر نظريتها نظرية بناءة لأنها قد تؤدى حقيقة إلى حل العصاب. وإذا كان السلوك العصابي هو محور تفكير (هورنى) فإن حل السلوك العصابى يمكن أن يؤدى إلى خلق مجتمع أكثر صحة وسعادة.

وتنعكس هذه النظرة المتفائلة البناءة في كتابها **{صراعاتنا الداخلية}** حين قالت:

١- هي كارن دانيلسون ***Karen Danielson*** ولدت في قرية صغيرة تعرف باسم (بلانكنيز) في هامبورج بألمانيا في ١٦ سبتمبر ١٨٨٥م في العام الذي كان فرويد يتعلم فيه التنويم المغناطيسي على يد شاركو في باريس، ثم تزوجت من اوسكار هورنى ***Oskar Horney*** وهو رجل أعمال في ٣١ أكتوبر ١٩٠٩م، وانجبا ثلاث بنات، وطلقت منه عام ١٩٣٩م، وهورني تقرأ (هورن– ***Horn eye***).

" اعتقد أن الإنسان لديه القدرة والرغبة في تنمية إمكانياته في أن يصبح إنسانا وديعاً، هذه الإمكانيات تنبل إذا استمرت علاقاته مع الآخرين- وبالتالي مع نفسه- في حالة اضطراب. وأني اعتقد أن الإنسان يمكنه أن يغير ويظل يغير، طالما كان على قيد الحياة "[1].

وقد اتفقت هورنى مع أدلر في أن طبيعتنا الفطرية هي أساساً بنائية (إنشائية)، وعلى تأثير الشخصية بالعوامل الحضارية أو الثقافية، فنحن نجاهد لنتطور.

ب ــ تركيب ونمو الشخصية:

تشارك هورني سيجموند فرويد الرأى (وجهة النظر) حول المحددات النفسية، وأهمية العمليات اللاشعورية مع التأكيد على الكبت وميكانزمات الدفاع الأخرى. ورفضت فلسفة أدلر من أن الشخص مولود بصراعاته الداخلية وكل عصابى في حرب مع نفسه. وعلى أيه حال فإن هورني ليس لديها سوى القليل الذي يمكن أن تقوله عن تركيب ونمو الشخصية وتطورها. وفضلت أن تركز في الجزء الأكبر من جهدها على ثلاث محاور تطبيقية هي:

العصاب – العلاج النفسي – الجنس الأنثوي (Femal Sexuality)[2].

ت ــ تطبيقات نظرية هورني:

تذهب هورني إلى أن الثقافة الحاضرة (وتعنى بها على وجه الخصوص الثقافة الغربية التي عاشت فيها)، من شأنها أن تخلق قدراً كبيراً من القلق في الفرد الذي يعيش في هذه الثقافة. وهى ترى أن المرض النفسي أو العصاب هو المصاحب الطبيعي للإنسان الذي يعيش في مثل هذا المجتمع الصناعي اليوم. وقد خصصت الموضوع الأساسي لكتابها **{الشخصية العصابية في زماننا}** لموضوع الصراع في الثقافة[3]، والأساليب المختلفة التي يقوم بها الفرد في توافقه مع ظروف الحياة.

1- Horney, K.: our inner conflicts: A constructive Theory of neurosis, New York: Norton, 1945.

٢- تقول هورنى: " أنا لا اعتقد أنه من الممكن بلورة الصراعات العصابية كما أوضحها فرويد". دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق- ص ١٩٩.

3- Horney, K.:The Neurotic personality of our Time. New York. Norton, 1937.

وليس أدل على تأثير الاتجاه الثقافي في تفكيرها من قولها:" أن العصاب مع أنه مصطلح طبي في أساسه، إلا أنه لا يمكن استخدامه الآن دون الإشارة إلى مضموناته الثقافية ". وكذلك قولها:" إن مفهوم ما هو عادى يتغير ليس فقط بتغير الثقافات، ولكن أيضا داخل الثقافة الواحدة بتغير الأزمنة "[1].

ث ـ القلق الأساسي (Basic Anxiety):

أظهرت النظرية الاجتماعية لهورني مفهوماً أوليا عندها، ونعني به مفهوم (القلق الأساسي). وقد أوضحت هذا المفهوم في كتابها عن الشخصية العصابية في زماننا حين ذكرت أن استثارة هذا القلق ـ وليس الدوافع الجنسية والعدوانية التي قال بها فرويد ـ هي الأساس لفهم شخصية الفرد. وقد عرفت هورنى هذا القلق الأساسي بقولها:" أنه الإحساس الذي ينتاب الطفل بعزلته وقلة حيلته في عالم يحتفل بإمكانيات العداوة ".

وهناك مجموعة من العوامل المعاكسة في البيئة، يمكن أن تؤدى إلى هذا الشعور بانعدام الأمن لدى الطفل التحكم والسيطرة المباشرة وغير المباشرة، واللامبالاة والإهمال والاتجاهات المتضاربة، والإسراف في الإعجاب أو عدم وجوده أطلاقا، والإسراف في الحماية...... وما إلى غير ذلك.

فالبيئة المنزلية والتركيب الاجتماعي داخل الأسرة، له على هذا الأساس أهمية كبيرة في نظرية هورنى، ففي هذا التركيب الاجتماعي للأسرة وفي استجابة الطفل له، يكمن مفتاح نمو شخصية الفرد. والطفل القلق يحاول أن يستجيب لمشاعر القلق عنده باتخاذ أساليب مختلفة توافقية. وإلى درجة كبيرة غير عقلية إذا كان القلق شديداً ومستمراً[3].

1- Horney, K: Feminine psychology: New York Norton, 1967.

2-Horney, K: Neurosis and human growth. The struggle Toward self - realization. New York: Norton .1950.

٣- الطفل مضطر بصورة تلقائية لاختراع طرق للتعامل والانسجام مع الآخرين، بأقل حد ممكن من إحداث قلق له. والنتيجة أن الحاجة الصحية إلى تحقيق الذات تستبدل لديه بدوافع الشعور بالأمن وهذا في نظر هورنى يتم بالمبالغة في واحدة من المكونات الثلاث الجوهرية للقلق الأساسي وهى: العجز *Helplessness* والعدوان *aggressiveness* أو العزلة *detachment*.

وهذه الأساليب التوافقية تتبلور في أنماط واقعية مستمرة في صورة حاجات عصابية، وتذهب هورني إلى أنه من الممكن تجنب الصراعات أو حلها إذا ربى الطفل في أسرة يتوفر فيها الأمن والطمأنينة والثقة المتبادلة، والمحبة والاحترام والتسامح، والدفء العاطفي. وبهذه الصورة ترجع هورني الصراع إلى العوامل والظروف الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد، أكثر مما تجعله جزءاً من طبيعة الإنسان وأنه لا مفر من ظهوره، فنظريتها هنا اقرب إلى أدلر منها إلى فرويد.

جـ ـ الحقوق والواجبات وحيل الدفاع النفسي:

تُحول الصورة المثالية للذات الرغبات العادية إلى حقوق (claims) ومطالب غير منطقية التي يفترض أنها تمنحها الشعور بالاستعلاء والعظمة والمجد، والشخص العصابي تقوده الأوامر الداخلية التي تُفرض عليه ذاتياً، والتي تهدف إلى تحقيق الصورة المثالية، وهو ما تطلق عليه هورني طغيان الواجب The tyranny of the should ويتضمن ذلك الاعتقاد بأنه ينبغي أن يتصف الفرد بأقصى درجات الكمال، لكي يتحمل المفاجأت غير السارة دون التعرض لأي أذى ظاهر. وترى هورني أن الواجبات ربما تكون خارجية، وتبدو بصورة غير صحيحة وأنها مفروضة من لاشيء وعلى عكس الآنا الأعلى عند فرويد، حيث نجد أن الواجبات دائما تمثل قوة عصابية فهي تشبهه تماماً بالطغيان السياسي في الدولة البوليسية (الدكتاتورية)[1].

* **وقد انتُقدت هورنى بشدة لاقتباسها** الكثير من علم النفس الفردي والتحليل *النفسي، وبفشلها* في تقديم تركيب واضح لنظريتها ذات صبغة جديدة وفعالة، فالصورة المثالية تشبه إلى حد كبير جزء من عقدة النقص وفكرة الصراعات النفسية الداخلية بين هذه المتناقضات الذات المثالية والمدركة[2].

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق- ٢٠٦.

٢- والعجز عند هورني يشبه ميكانزمات الدفاع مثل التكوين العكسي عند فرويد، بالإضافة لذلك فان تحقيق الذات هي فكرة يونج في الأصل. ولا تثير نظرية هورنى بحوثاً تجريبية بدرجة كبيرة.

وقد لخذ كل النقاد عليها كتاباتها عن قيم سطحية ووصفوها كالتي تقوم بالطب الأكلينكي بطريقة جيدة مستخفين بأهميتها كولصفة لنظرية في الشخصية. تقييم نظرية هورنى: المرجع نفسه – ص ٢١٢.

نظرية العلاقات الشخصية المتبادلة II

(اريك فروم ١٩٠٠- ١٩٨٠م)

كان فروم في وقت ما زميل لكارن هورني، ونظريته في الشخصية هي مزيج من نظرية فرويد وأدلر.... حيث كان فروم يكرس أنتباه أكبر لدور القوى الاجتماعية، ويعكس عمله بشدة نظرية كارل ماركس (***Karl Marx***) الذي كان ينظر إليه على أنه مفكر أكثر عمقاً من فرويد[١].

وعلى عكس فرويد وأدلر ويونج وهورني لم يكن لفروم تدريب طبي، ولكنه حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هيدلبرج (***Heidelberg***)، ودرس بعد ذلك في المعهد القومي للتحليل النفسي ببرلين، وكما حدث لأدلر أدى التخريب الذي أسفر عن الحرب العالمية الأولى إلى إحداث صدمة عميقة له وأثرت فيه ودفعته نحو الإيمان بمبدأ الاشتراكية الماركسية[٢]، ولأنه خرج عن نطاق نظرية فرويد بتأكيده على تأثير العوامل الاجتماعية في الشخصية، أسقطت عضويته في المؤسسة العالمية للتحليل النفسي وفي سنة ١٩٤٥ كون ***Fromm*** مع ***William alanson*** المؤسسة البيضاء للعلاج النفسي.

أ ـ طبيعة الشخصية (الدوافع العضوية مقابل الدوافع غير العضوية):

- **العزلة والتضاد:** طبقاً لفكر (رأي) فروم فأن الإنسان شاذ (***Onomaly***) ويمثل نزوة الكون[٣]، والحافز الأصلي لنا هو (***Self-preservation***) وقاية الذات لذلك فنحن مرتبطين ارتباطاً معقداً بالطبيعة الحيوانية وبدوافعنا الفطرية (الغريزية) الجوع، العطش، الجنس، والدفاع ضد الحرب (الفرار)، كذلك فإن قمة تفكيرنا يجعلنا ننفصل عن طبيعتنا وينتج الشعور بالوحدة

1- Fromm, E: The crisis of psychoanalysis: Essays on Freud, Marx, amd social psychology, New York. Fawcett, 1971 a.

٢- ولد فروم في الثالث والعشرين من مارس ١٩٠٠م في فرانكفورت بألمانيا، وكان الطفل الوحيد لوالديه ووصف بأنه عصبي، وطفولة فروم تحمل تأثير قوى لليهودية، ولكنه رفض عقيدته الأصلية في السادسة والعشرين من عمره لأنه كما يقول (أنني لا أفضل أطلاقا أن أشترك في تقسيم الجنس البشري سواء كان ذلك تقسيماً دينياً أو سياسياً) ومات بأزمة قلبية في منزله بمورالتو سويسرا ١٩٨٠.

3- Fromm. E.: The same society. New York. Fawcett, 1976.b.P, 37.

والقلق الذي لا يوجد في الأعضاء الدنيا من المخلوقات. ويجب أن نواجه الحقيقة التي تهددنا بأن الموت سيحرمنا من الوقت اللازم والكافي لننجز ما يجب أن يكون. (إنها الحقيقة المُرة والمؤلمة لمعظم الناس، أنهم يموتون قبل أن يولدوا حقيقة)[١]. وهكذا فإن الكثير من الدوافع البشرية تتكون من دوافع غير عضوية مكتسبة (متعلمة)، أو انفعالات متأصلة الجذور والخصائص.

- **الدوافع غير العضوية:** ولأن دوافعنا غير العضوية ليست غريزية لذا فأنه من الصعب إشباعها، وليس لدينا برنامج فطري حتى يمكن التأكيد على ما تم إنجازه، ولذلك فأنه من السهل جداً أن نختار بدلاً من الأهداف التي تبدو بعيدة المنال أهدافا أخرى قريبة، ولكن النتيجة النهائية تسبب عدم الارتياح حتى ولو كان ذلك أثناء العلاج النفسي.
- **الحاجة للآخرين (*The need for others*):** بسبب مشاعرنا الإنسانية المؤلمة بالعزلة (المصحوبة بالألم والغربة)، ولأننا مكتئبين وتعساء وضعفاء في مواجهة قوى الطبيعة الجبارة لذا يجب أن نتعاون معاً لكي نحمى أنفسنا ونحيا. " أن الضعف البيولوجي للإنسان هو طبع ينعكس على الثقافة الإنسانية، والإنسان بداية اجتماعي بطبعه، وعلم النفس الفردي هو في الأساس علم نفس اجتماعي ***(Social Psychology)***[٢].
- **مفهوم الحب عند فروم:** إن فن الحب يشتمل على الاهتمام الطبيعي للأخذ والعطاء مع الآخرين، إنه المعرفة الموضوعية والملموسة لمشاعرهم أو رغباتهم الحقيقة، واحترام حقهم في التطور والنمو بطريقتهم الخاصة بهم، وإحساسهم بالمسئولية تجاه كل البشرية[٣]. وهكذا يرى فروم أن الحب هو الاتجاه الوحيد الذي يستطيع المرء أن يشبع به حاجته إلى أتحاده مع العالم،

1-Fromm, E: The heart of man. Its genius for good orevil. New York Perennial, 1971 b.P, 41.

2- Fromm, E; To have to be? New York: Harper, Row. 1976 c.

٣- الحب ليس في البداية علاقة بشخص معين (بعينه)، انه توجيه لخصائص الشخصية التي تعتزم عدم الارتباط الشخصي بالعالم ككل، فلو انني حقيقة أحب أي شخص فإن هذا يعني انني أحب كل الناس وأحب الدنيا وأحب الحياة. وكل إنسان لديه القدرة على الحب، ولكن تحقيق ذلك صعب للغاية.

كما يشبع في الوقت ذاته حاجته إلى الإحساس باستقلاله الذاتي وبفرديته. ويقسم فروم الحب إلى عدة أنواع منها: الحب المنتج، والحب الجنسي[1].

* **الحاجة لفلسفة شخصية:** كما كان يعتقد يونج فإن فروم يرى أنه لابد لنا من الإحساس بمعنى الحياة والغرض منها، فكلنا يحتاج لفلسفة شخصية ترسي قيمنا وأهدافنا في الحياة، وترشدنا إزاء أنماط السلوك المفروضة والثابتة، وتحدد لنا مكاننا في العالم الذي نعيش فيه، عن طريق الإطار التوجيهي أو إطار من التقوى (***Frame of devotion***). والإنسان لا يعيش وحيدا، ولذا فهو يبحث عن إجابة لمطالبه الإنسانية وعن وجود معنى له، ومحاولته تحقيق الإحساس بوجوده هذا. إن الحاجة لوجود فلسفة شخصية ثابتة هي حاجة قوية أيضا، وذلك لبناء إطار عقلاني ينظم علاقتنا بطريقة سليمة، فالإطارات البدائية الصحيحة/ السوية تؤكد على الحب، التنافس، الإنتاجية، العقل، وحب الحياة (***Biophilia***). بينما الإطارات غير العقلانية تنغمس في حب الموت (***Necrophilia***) التدمير، القوة، الثروة، والاعتماد التكافلي، فالشخصية بلا شك محددة الأبعاد، حيث أنه بالنسبة لإطارات التوجيه المختلفة قد تتصارع مع بعضها في درجات متفاوتة[2].

ب ــ تكوين الشخصية:

إلى حد كبير لم يكرس فروم انتباهاً كبيراً على بناء الشخصية فهو قد قبل بطريقة مبدئية تحول الأنا الأعلى (***Super ego***) من حالة القسوة والوحشية (عدم التبصر بالقيم والمعايير)، إلى حالة اللين (الإدراك والتبصر بالقيم)، وقد

١- **الحب المنتج:** يقصد به اتصال الفرد ببني الإنسان وبالطبيعة وبنفسه، اتصالاً ايجابياً إنشائيا في المجالات المختلفة الفكرية والعملية، والحب المنتج قد يكون [اخويا] بين الند والند على أساس المساواة، وقد يكون [أمويا] تقوم العلاقة فيه بين الأم والطفل على أساس عدم المساواة، ولكنها عونا للطفل على الانفصال عن أمه والاستقلال. **الحب الجنسي:** هو التعلق بشخص واحد وهو عادة من الجنس الآخر يشتهي الانصهار معه والاتحاد به، وهو يبدأ بالانفصال وينتهي بالوحدة على خلاف الحب الأموي. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن– مرجع سابق – ص ٢١٩). وراجع: اريك فروم – المجتمع السليم – ترجمة محمود محمود – القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية – سنة ١٩٦٠.

2-Fromm, E: OP. CiT. 1976 C.

وصف الآنا الأعلى بأنه موروث أو مستمد من الوالدين، وأضاف إلى ذلك فكرة الضمير الأمومي الموروث (*Maternal*) وبالتالي فإن النتيجة النهائيـة التـي استخلصها، أنه الأفضل أن يتحرر علم النفس من نفوذ نظرية طاقـة الليبيـدو، وجزئيا من مفهوم الهي والآنا والآنا الأعلى[1].

ت ــ نمو الشخصية:

على العكس من فرويد لم يحدد فروم مراحل متميزة لنمو الشخصية، وهـو أيضا يحيد (يميل) عن معيارية التحليل النفسي ويرى أن الشخصية تستمر فـي النمو خلال المراهقة والرشد، بالرغم من أن التأثيرات الخارجية يجب أن تكون محددة الأثر في الكبار وذات أثر أقل في تكوين انطباعات الفرد. ويتفق فـروم مع فرويد حول الاعتقاد بوجود الجنسية الطفلية أي بوجود النشاط الجنسي فـي مرحلة الطفولة، ويتفق معه أيضا في أن الشخصية تتحدد خلال السنوات الأولى من العمر، حيث الفترة الطويلة مـن الاعتماد الإنساني علـى الآخرين، تخـدم كدروس فعالة في الحاجة للارتباط بالآخرين. ونظرية فروم ليس لديها الكثيـر عن تطور الشخصية[2].

ث ــ تطبيقات على نظرية فروم:

تفسير الأحلام: كما فعل فرويد كان فروم يرى أن الأحـلام هـي الطريـق الملكي إلى اللاشعور وقد استنتج أن تفسير الأحلام ربما يكون أكثـر الطـرق أهمية وقيمة في العلاج النفسي. فهو يتفق مع فرويد في أن الحلم يخدم تحقيـق رغبة أثارتها الأحداث اليومية الثابتة، والحقائق المهددة ربما تحث ذلك بطـرق مختلفة. ويشارك يونج الرأي من أن الأحلام قد تكون ذات معاني واضحة وغير خفية، وليس من الضروري أن يشمل صراعات الطفولة.

1-Fromm, E: the anatomy of human destructiveness New York. Holt, Rinehart, Winston, 1973.P,53.

٢- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ٢٢٣.

الطفل النامي يتعلم ببطئ التميز بين أنا I وغيرها Not I (انتقالية من الأنانية إلى الغيرية) وذلك من خلال الاتصال بالبيئة مع التأكيد على أهمية دور الوالدين، حيث ينمو لديه الإحسـاس بالهويـة، *Sense of Identity* الذي استعاره (اقتبسه) فروم من مصطلح يونج الفردية *Individuation*.

* **وليس من الغريب أن يجمع فروم أهم التوصيات** بتشكيل المجتمع الـذي يعاني خلافات كثيرة. ومدخله الاجتماعي يختلف كثيراً عـن هـؤلاء الـذين يؤمنون بالرأسمالية، فإنه رغـم عيوبها ما زالت أحسن وسيلة لسد احتياجـات الناس، و تظهر بعض من اقتراحاته عدم الكفاءة والبعض الآخر يصعب إلى حد كبير تطبيقها. والأكثر من ذلك أن العديد من علماء النفس المحدثين يـرون أن أفكار فروم ليست سوى القليل من التأملات الفلسفية، وكتاباته عاجزة عن تقـديم التحليلات الكمية وتحقيق توقعات العالم عموماً (وخصوصاً الذي يتوقـع تلـك التغيرات الاجتماعية).

وعلى العكس من فرويد فإنه من الصعب التحقق تماماً من التطـابق بـين محتوى نظرية فروم والمشاهدات العلمية من خلال ممارسته للتحليـل النفسـي وغياب النتائج القاطعة، كل ذلك أعطى ما كتبه نمط من نغمة الواعظ فقط التـي تحير كل من يبرر مناقشته لموضوعاته. وبعض الملاحظات الفلسفية تثير أسئلة مستمرة حول تفسير فروم للمفاهيم الاجتماعية الإنسـانية الماركسـية. وعلـى العكس من فرويد لم تتضح دائما لدى فروم العلاقة بـين المصـطلحات التـي استخدمها في أعماله الأولى وتلك التي وضحت في كتاباته الأخيرة، وبينما عمل في أوقات يستشهد فيها بمن سبقه من علماء مثل يونج وأدلر، ثم غدا في اغلـب الحالات وكأنه يتجاهل المتشابهات الهامة بين عملهم وعمله هـو[١].

ورغم ذلك كان فروم مفكر ذات علم وبصيرة، وهناك من يتفـق علـى أن البحث في أمور معينة مثل أزمة الطاقة وعالم المرأة والحرب النوويـة، تمثـل تهديدات عظيمة لمجتمعنا الحالي، ولقد أسهم أسهاماً كبيراً في مسـاعدتنا علـى فهم الأحلام والحرية، وعوامل الدمار في العالم. وقد تضمنت نظرية فروم أراء منطقية جيدة بشأن الدوافع العضوية في الشخصية والتعادل الأنثوي والنرجسية، كما أثر فروم في نظريات الآخرين وأفكارهم.

١- المرجع نفسه – ص ٢٣٤.

نظرية العلاقات الشخصية المتبادلة III
(هاري ستاك سوليفان ١٨٩٢-١٩٤٩م)

يعد سوليفان (*Harry Stack Sullivan*) صاحب مدرسة جديدة في الطب النفسي، وتعرف نظريته بأسم [نظرية العلاقات الإنسانية المتبادلة في الطب النفسي]، وترتبط هذه النظرية بفكرته عن الشخصية. ورغم أن سوليفان يعترف أنه يدين عقلياً لفرويد، إلا أن نظريته تحمل شبهاً كبيراً بنظرية أدلر. وكما كانت هورني وكان فروم، فإن هاري ستاك سوليفان يؤكد أيضا على الطبيعة البينشخصية، وبينما ركزت هورني على العصاب وأكد فروم على الدور المرضي للمجتمع، فإن سوليفان يركز مبدئياً على مجالين هامين آخرين هما: نمو الشخصية، وديناميات وعلاج الفصام.

وبصورة جزئية فهو يرى أن المدخل النمائي الارتقائي يعد أهم الطرق المشبعة لتوحيد متناقضاته النظرية. وقد عاش سوليفان حياة تتميز بالعزلة والوحدة، وهو ما ساعده بلا شك في تطوير اعتقاد غير عادى لأثر العزلة الشديدة في الإصابة بالفصام، كما أثر ذلك على شخصيته فكان منطوي على نفسه، وسبب ذلك تعرضه لمشاكل شخصية خلال فترة الشباب في جامعة كورنيل (*Cornell*)[٢].

أ ـ طبيعة الشخصية:

- **مبدأ أحادية الجنس (*The one genus Postulate*):** يرى سوليفان أن الشخصية توجد فقط حيث توجد العلاقات المتبادلة بين الأفراد. أي أن وحدة الدراسة في نظره هي الموقف الشخصي المتبادل وليس الشخص. فالحديث

١- ولد سوليفان في الحادي والعشرين من فبراير سنة ١٨٩٢م في نور يتش *Norwich* بنيويورك، وكان الطفل الوحيد لوالديه، وكان الأب يعمل فلاحاً وفى دباغة الجلود، ولم تهتم والدته لكي تلاحظ تطور شخصيته، وكان مختلفاً عنها تماماً.

ولقد كتب سوليفان سبع مجلدات في حياته، منها مفاهيم الطب العقلي الحديث في سنة ١٩٤٧، *Conceptions of modern psychiatry*، والطب العقلي (مدخل لدراسة العلاقات البينشخصية) ويتضمن إحداها محاضرات أضافية له جمعت ونشرت بعد وفاته.

عن الشخص كموضوع للدراسة حديث أجوف في نظره، لأن الفرد لا يوجد ولا يمكن أن يوجد بمعزل عن الآخرين. فالشخصية إذن لا يمكن دراستها ما لم يكن هنا تفاعل متبادل على الأقل مع شخص آخر، رغم أن هذا الآخر ليس من الضروري أن يكون موجوداً وجوداً مادياً، فتفاعلات الشخص قد تكون مع صورة أو حلم أو شخصية وهمية أو ما أشبه ذلك.

ولم ينكر سوليفان أهمية التأثيرات الوراثية وعوامل النضج، بل اعترف بأهميتها خلال مراحل الطفولة والمراهقة، واقترح وجود تسلسل هرمي في الحاجات الفسيولوجية التي تنشأ عنها توترات يمكن أن تختفي عن طريق إشباع الحاجات، لكنه مع ذلك يرى أن ما هو إنساني بصورة متميزة، هو نتاج التفاعلات الاجتماعية، وبالإضافة إلى ذلك فإن الخبرات الشخصية وتغير الأداء الفسيولوجي لوظائفه، وتغير الشخص من كائن حي عضوي إلى كائن حي اجتماعي له طرقه ذات الطابع الاجتماعي في التنفس والهضم والإخراج الخ[1].

- **الحاجة للآخرين:** ومن أهم المبادئ التي أقام عليها سوليفان نظريته في الشخصية مبدأ العلاقات الشخصية المتبادلة، فهو يرى أنه لا جدوى من أن ننظر أو نفكر في شخصية إنسان في ذاتها باعتبارها شخصية مفردة وفي عزلة عن شخصيات الآخرين، فلا يمكن أن يوجد لإنسان ما شخصية قائمة بذاتها ومنعزلة عن الآخرين. فالعلاقات الشخصية المتبادلة بين الأفراد هي إذن أساس وجود الشخصية. فمنذ اللحظة الأولى التي يوجد فيها الإنسان

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق– ص٢٣٦. وراجع بشأن نظرية سوليفان:

Sullivan, H.S: Conceptions of modem psychiatry. original publication. 1947.
- paper back reprint, New York. Norton, 1953.
- The interpersonal Theory of psychiatry. Original Publication. 1953. Paperback reprint. New York, Norton, 1968.
- The psychiatric interview. Original Publication. 1954.
- Paperback reprint, New York. Norton, 1970.
- The fusion of psychiatry and social science original Publication.1964.
- Paperback reprint .New York .Norton , 1971.
- Clinical studies in psychiatry original Publication .1956. Paperback reprint .New York .Norton .1973.
- Schizophrenia as a human Process. Original Publication. 1962. Paperback repient. New York. Norton. 1974.

على ظهر الأرض يدخل في علاقات متبادلة على الأقل مع شخصية شخص آخر يتعهده بالرعاية وهى شخصية الأم وهذا الاتصال بشخصيات الآخرين يظل مستمراً طول الحياة سواء أخذ صورة اتصال فعلي أو اتصال وهمي. فالعلاقات المتبادلة بين الناس بعضهم بعضاً هي أساس نظرية سوليفان. لكن هؤلاء الناس الذين يتم معهم التبادل لا يتطلب الأمر وجودهم، فقد يتم التفاعل المتبادل بين الشخص وأشخاص خياليين كشخصية {علاء الدين} أو {السندباد} أو هؤلاء الأبطال الخرافيين الذين نقرأ عنهم في الكتب أو الشخصيات التاريخية أو الروائية.

وفى مثل هذه الحالات فإن الشخصية الخيالية أو الوهمية أو التاريخية. تقوم على تشخيص كائن حي إنساني يقوى الصورة الخيالية. وبذلك يحدث تفاعل متبادل مع هذه الشخصيات. وليست الشخصيات الوهمية والخيالية هي التي يمكن أن يكون لها تأثير متبادل على الفرد، بل وصور أحلام الليل يكون لها تأثير متبادل، وذات طابع شخصي متبادل ما دامت تعكس في العادة علاقات الحلم بغيره من الناس. ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل أن العمليات الأساسية كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل، وجميع العمليات النفسية الأخرى يمكن أن تتضمنها العلاقات الشخصية المتبادلة. فالأنشطة العقلية لهذه العمليات ترتبط بشخصيات أخرى، وليست ديناميات داخلية خالصة للسلوك بعيدة عن تأثير الشخصيات الأخرى، فكل ما نفعله في نظر سوليفان هو نتيجة النظام الاجتماعي والتفاعل بين الأشخاص.

وعملية الإدراك تظهر متضمنة في العلاقات الشخصية المتبادلة:

مثال ذلك أن الشخصية التي تتربى وتنشأ في ظروف يحوطها الثراء، تختلف نظرتها إلى ما تعرضه المحلات التجارية الراقية، عن تلك التي تتربى وتنشأ في ظروف يحوطها الفقر والفاقة فالنظام الإدراكي يختلف عند كليهما، والإدراك يتأثر في هذه الحالة بماضي الفرد وخلفيته وتربيته، وغير ذلك من العوامل التي تكونت خلال حياته مع الشخصيات الأخرى التي يعيش معها.

والحال بالمثل بالنسبة للعمليات العقلية الأخرى. فنحن نتذكر الأشخاص والأشياء التي حدثت نتيجة التفاعل الاجتماعي المتبادل، وما له اتصال بالأشخاص الآخرين. وتفكيرنا يتشكل أيضا حسب الشخصيات التي تعيش بيننا. فالشخصية التي تعيش في ثقافة حضرية يختلف تفكيرها إلى حد ما عن تلك التي تعيش في بيئة بدوية أو ريفية. أن الأجهزة العصبية والعضوية قد تكون واحدة متماثلة لدى كل منها، ولكن النتاج النهائي لعملية التفكير مختلف.

وليس معنى ما ذكرناه أن سوليفان ينكر أساسا كل فرصة لدراسة الشخصية الإنسانية المفردة، فثمة مبادئ كالديناميات والشخصيات، والعمليات المعرفية هي دراسات لشخصية الفرد. أن مثل هذه الدراسة ضرورية إذا ما أردنا فهم طبيعة الإنسان لكن من الضروري أيضا ألا يفقد الباحث اهتمامه بأنظمة التفاعل المتبادل، التي تعمل دائما خارج الشخصية الفردية وحولها[1].

ب ـ تركيب الشخصية:

يتفق سوليفان مع فروم وهورني في الرأي على نقض النموذج الفرويدى في تركيب الشخصية. ويستنتج بدلاً من ذلك أننا ننظم خبراتنا من خلال تكوين مفاهيم عقلية عن أنفسنا وعن الآخرين[2]. هذه التشخيصات (***Personifications***) تتكون من المشاعر والاعتقادات المكتسبة التي لا تتطابق دائما مع الحقيقة. **ومجمل القول:** أن التشخيصات لا يمكن فصلها عن الموضوعات التي يتم تجسيها، وهى في اغلب الحيان لا تعبر بصدق عن واقع الشخص موضوع التشخيص أو التجسيد.

١- دكتور/ سيد غنيم - مرجع سابق- ص ٦٢٧، ٦٢٨.

٢- دكتور/ كمال دسوقي- ذخيرة علوم النفس - القاهرة - المجلد الثاني - الأهرام للنشر والتوزيع - سنة ١٩٩٠- ص ١٣٤.

ـ حيث عرف التشخيص اصطلاحيا بأنه: " خلع جسدي أو مجازى لخصائص وصفات الشخص الإنساني على الأشياء غير الحية أو على قوى وظواهر الطبيعة، أو نسبة الخصائص الشخصية والإنسانية إلى المجردات أو النماذج أو الموضوعات، أو إضفاء خواص على الشخص الآخر هي التي تنقص المرء ذاته ". فالتشخيص إحدى صور الإسقاط الذي منه خواص الواقع المرغوب فيه والمرغوب عنه تنسب لشخص ما حتى لو لم يكن للشخص علاقة بحصول هذا الواقع.

• وقد قدم سوليفان بعض المصطلحات الفنية من اختراعه الشخصي التي صعب على الأقل ترجمتها إلي اللغة العربية بمصطلحات واضحة ومحددة، ومن المحتمل أن تكون نظريته أكثر صعوبة من نظريات أخرى ما عدا نظرية يونج، وربما بعض الأجزاء في نظرية فرويد. كما تعد لغته صعبة الفهم للقارئ العادي. وعلى الرغم من أن نظرية ***Sullivan*** تقوم على فروض محتملة، إلا أنه يؤكد على نموذج لتخفيف التوتر والقلق المرتبط بالدوافع الإنسانية التي كانت موضوع للنقد في نظرية فرويد. ويتماثل مفهوم الدينامية لدى سوليفان بمصطلح الليبدو أو الطاقة الجنسية عند فرويد، وعقدة النقص عند أدلر، ولكن هذا المفهوم (الدينامية) لم يلقى قبولا واسعا بين الأطباء النفسيين المعاصرين.

كما فشل سوليفان في الاعتراف بفضل الآخرين عليه، ولم يستفد سوليفان بجهد أسلافه من أصحاب النظريات الأخرى، رغم بعض التشابه بين افكاره وأفكار الآخرين، فقد ركز على وصف المفاهيم بصياغة جديدة مثل عمليات الأمان، وميكانزمات الدفاع، والدفاع الحاقد. كما يتشابه مع أدلر في بعض المفاهيم، مثل اهتمامه بالطفل المهمل والتشخيص ونظام الذات ونمط الحياة.

وأيضا انتقد سوليفان بسبب إرجاعه نظام الذات إلى اهتمام وإسهامات الآخرين في الوسط المحيط بالفرد، كما انتقد لتجاهله التشويهات التي حدثت للطفل وسوء إدراكه، ودور ذلك في تشويه نظام الذات لديه. كما كان مدخله لتفسير الأحلام سطحيا وغير مقنع مقارنة بفروم وأدلر، كما يعاب عليه تأكيده المبالغ فيه على العلاقات البنشخصية، أو العلاقات الشخصية المتبادلة[1].

ورغم ذلك يعد ***Sullivan*** أكثر من أكد على أهمية فهم وعلاج الفصام، وعلى الأسباب غير العضوية ودور العلاقات الشخصية المتبادلة والطبيعة الترتيبية للمرضى، ومن أكثر المعالجين الذين نجحوا في علاج مرض الفصام. ويعد اهتمامه بالسلوك الظاهر أحد الجوانب الهامة التي لاقت تأييداً من أنصار المدرسة السلوكية وتلاقي كتاباته اهتمامات زائدة لما تتميز به من شمول وعمق

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ٢٦٧، ٢٦٨.

نظرية علم نفس الآنا XI

(إريك إريكسون Erikson, E.H)

على عكس كل من يونج وأدلر وهورني وفروم وسوليفان الذين اختاروا جميعاً رفض نموذج الطاقة النفسية الذي وضعه فرويد. اختار بعض المنظرون العودة له مرة أخرى مع بعض التعديل. وقبول المبادئ الأساسية لفرويد كالنشاط الجنسي الطفولي والصراعات اللاشعورية والنموذج التركيبي للشخصية[1]. وهم يُذعنون لتأكيد فرويد على آلهي اللاعقلانية وتفسيره للأمراض العقلية، وطريقته في العلاج النفسي التي تعكس أهمية التوافق بين المكونات العقلية، وباستخدام بعض كتابات فرويد الأخيرة كنقطة انطلاق، أخذ هؤلاء المنظرين يبحثون عن أعادة التوازن المفقود عن طريق التركيز على قوة الآنا العقلانية، وهو ما أصبح معروفاً بعلم نفس الآنا.

ولكن ما حققته نظرية الآنا من الانتشار والاهتمام المهني لم يكن ليحدث لولا هذا الرجل غير العادي المبدع، الذي دخل دائرة فرويد في فينا وعمره {٢٥سنة} بدون أية درجة جامعية على الإطلاق وخرج بعد ذلك كواحد من أوائل المهتمين بعلم نفس الطفل، كما أسهم بمصطلح (***Identity crisis***) أزمة الهوية في تفسير الكثير من ظواهر مرحة المراهقة، أنه إريك هومبرجر إريكسون (***Erik H. Erikson***).

وقد كان إريكسون طالبا متوسط التعليم لم يحصل على شهادة جامعية من أي نوع، وخلال العشرين سنة الأولى من عمره، وكان هائماً على وجهه إلى أن درس في مدارس الفن، ورسم صوراً زيتيه للأطفال، وعانى من مشاكل نفسية تتأرجح بين العصاب والذهان، وكان يصف نفسه بأنه نابغ منذ صغره

١- من العلماء الذين ساهموا في تطوير علم نفس الآنا: بول فيدروم *Federm, P*، وأنا فرويد *Freaud , A*، وهنيز هارتمان *Hartman , H*، وارنيست كريس Kris , E، ولو فينشتين *Loewestien*، ودافيد رابابورت *Rapaport,* D. وعلى سبيل المثال فقد أكد هارتمان على أن وظائف كاللغة والذاكرة والمهارات الحركية والتفكير هي من وظائف الآنا وشبه الآنا بمركز الوظيفة والسلا في بلد تحدث الحروب على حدودها. كما حافظ هارتمان على المظهر المقبول للفرويدين الجدد.

ولكنه بلا مأوى[1]، وقد بدأ العمل كمعلم أطفال في مدرسة صغيرة أنشئت لأطفال مرضى وأصدقاء فرويد، وتمتع بتبني حقيقي من قبل أنصار فرويد، ثم بدأ يتلقى تدريبات في التحليل النفسي للطفل متضمنا تحليلاً شخصياً من أنا فرويد، ثم تدرج في سلم الحياة، حتى وصل إلى مرتبة أستاذ لعلم النفس في جامعة كاليفورنيا[2].

أ ــ طبيعة الشخصية {العمليات البيولوجية. والليبيدو. والجنس}:

ظل إريسكون على ولاءه لفرويد حيث ضمن **البيدو في البناء الأساسي لنظريته** ولكن بدون بعض الجوانب التي يشملها هذا المفهوم. فقد شبه هذا المفهوم بالضوء الواضح والقوى الذي يُلقى على ظلام العقل البشرى فيضيئه، وعرفه بأنه طاقة جنسية متحركة تسهم في رفع وخفض مساعي الإنسان وغالباً ما يحدث ذلك في وقت واحد، كما تحفظ على قبول ما اعتبره فرويد فرض عملي فقط، وحذر من أنه يعطى قليل من الاهتمام للتحدث عن الطاقات التي لا يمكن إثباتها علمياً.

١- ولد إريسكون في الخامس عشر من مايو عام ١٩٠٢ في فرانكفورت بألمانيا لوالدين دنماركيين، ومنذ نشأته تعرض لمصادر ألم متعددة بداية من ترك والده الحقيقي لأمه، ثم أرتباط الأم بزوج آخر، أما مصدر الألم الأخر الذي كان من أسباب تميع الهوية عن اريسكون هو التناقض بين وراثة اريك لليهودية (عن أمه وزوجها)، وبين ما لديه من خصائص شعوب شمال أوربا من سمات جسمية، وهذا ما جعله مرفوض من جماعات الطفولة في كلا المجموعتين، ولقد انعكس ذلك عليه في السنوات الأخيرة من عمره. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن - المرجع نفسه - ص٢٦٩).

٢- للمزيد بشأن نظرية علم نفس الآنا يراجع:

Erikson, E.H- Identily and The life cycle. selected papers. New York, International. universities press. 1959.

-Childhood and society.(2 nd ed.) New York. Norton. 1963.

- Insight and responsibility. Lectures on the ethical implication of psychoanalytic insight - New York. Norton, 1964.

- Identity. Youth and crisi, New York .Norton, 1968.

- Gandhi's truth. on the origins of militant nonviolence, New .York. Norton 1969.

-Life history and the historical moment . New York. Norton.1975.

- .Toys and reasons .New York .Norton, 1977.

ويتشابه إريكسون مـــع فرويد أيضا في احتفاظه بأهمية الـــدافع الفطـــري، لكنه انتقد فرويد لاهتمامه الزائد بالجانب الفوضوي في الشخصية (الهـــي) دون الجانب المتعقل (الأنا)، ولاعتباره أن **الجنس** يبدأ منذ الميلاد وليس مع البلـــوغ. وذكر أن التحليل النفسي يجب أن يرجع إلى التوجه **البيولوجي** بشكل أساســـي، ويصف غرائزنا الجنسية والعدوانية في الطفولة بالغموض. فالـــدوافع المرنـــة بصورة غير عادية تتأثر بكل من التدريبات وأساليب المعاملة الوالديه وبالعوامل الثقافية، وهو يوافق على أن أنكار قوى التوافق الفطري تجعل التحليل النفســـي ليس الا نوع من التزييف أو اللغو البيولوجي. ورغم أن ***Erikson*** استبقى على هذا لكنه لم يوضح التعارض بين الغريزة والليبدو، مفضلاً التركيز على الدور الذي تلعبه الآنا والقوى الاجتماعية في تشكيل الشخصية الإنسانية[1].

ب ــ تركيب الشخصية:

لولا تأكيد إريسكون على الآنا لتشابه تصوره عن تركيب الشخصـــية مـــع مفهوم فرويد، فهو يرى الشخصية تتكون من:

- **الهـــي**: لا شعورية تماماً ولا تستطيع إدراك الصحيح من الخطـــأ، وهـــي المكون الوحيد الذي نولد مزودين به، وعلى هذا فهي تحوى تاريخنا الـــذي يخبر البداية لنا والغرائز الفطرية والموروثة.
- **الآنـــا**: تقع الآنا بين الهي والآنا الأعلى، وهى لا شعورية إلى حد كبير كما في نظرية فرويد، فهي تحفظ التوازن بين دوافع الهـــي المحرمـــة والقيـــود القاسية التي يفرضها الآنا الأعلى، وذلك باستخدام ميكانزامات الدفـــاع اللا شعورية، كالكبت ورد الفعل العكسي والإنكار والرفض للواقـــع والإســـقاط والتوحد والنكوص، وأحلام اليقظة وما إلى ذلك. ولأن هدف إريكســـون أن يوسع التحليل النفسي الفرويدي، فقد قام بشـــرح العمليـــات الحـــرة للأنـــا والجوانب المنطقية والصراعات التي تحدث لها، إن الآنـــا لـــم يعـــد هـــو الحصيلة الفرودية لضغوط الهو والآنا الأعلى، وإن اتجاه سلوك الفرد يتحدد

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ٢٧١.

بقدرة الفرد على تنمية عمليات الآنا الخاصة به واستخدامها كاللعب والتفكير والكلام والأفعال.

- **الآنــا الأعلى:** يشمل كل المثاليات والقيم الأخلاقية التي يبثها المجتمع فــي الفرد، ويخدم الوظيفة الأساسية لحفظ الهو في حالة طاهرة، وعلى إيه حــال فمن الممكن أن يصبح الآنا الأعلى قوة تعسفية، تســتخدم وســائل بدائيــة وبربرية ضد الآنا. وهكذا يستطيع أن يجعل العقــاب يبــدو وكأنــه شــيء مناسب للتستر على أحاسيس الكراهية والدوافع الجنسية، أو يثير مزيد مــن الاعتقاد بأن الفرد أقوم أخلاقاً من الآخرين، وهو ما يجعله يســتدير ضــد الآخرين، في صورة من المراقبة الأخلاقية الدائمة والصارمة لهم.

ث ــ نمو وتطور الشخصية:

كما فعل فرويد، فقد نسب إريسكون أهمية سيكولوجية غير عاديــة للمــدة الطويلة التي نقضيها معتمدين على الآخرين والتــي تميــز مرحلــة الطفولــة الإنسانية، وهو يرى أن اعتمادنا الشامل والمبكر على الغير (الوالدين بــالطبع) سهل تشرب المعايير الوالدية ونمو الآنا الأعلى. ويتفــق مــع فرويــد فــي أن صراعات مرحلة الطفولة تظهر تأثيرها في الشخصــية فــي مرحلــة الرشــد. وبعض من هذه الصراعات يرجع للأنشطة الجنسية المكبوتة منذ الطفولة، ولقــد استنتج اريسكون أن عدم التكافؤ بين مرحلتي الرشد والطفولة يجعلنــا نقضــى فترة طويلة من العمر نعانى من عدم النضج الانفعالي. والصراع مــع أهــدافنا الكثيرة العقلانية والأخلاقية[١].

• **وقــد وُجهت لإريسكون بعض الانتقادات** أهمها تأييده لفرويد ثم الــتحفظ على تركيب اللبيدو عند فرويد، ووضوح الانطبــاع الســائد لديــه بالمســايرة السياسية وخدمة السياسيين، ثم إيمانه بالمحافظة الاجتماعية والتفــاؤل حيــث أن أفكاره تعارض أي تغير اجتماعي[٢].

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن - المرجع نفسه- ص٢٨٢.

٢- تعكس كتابات إريسكون بعض الاضطرابات والتصدع، فهو من ناحية يقر بولائه للقوى لفرويــد ونظريته ويصف نفسه على انه محلل نفسي، ثم يعود ويتحفظ على تركيب اللبيدو عند فرويد، كما -

ثالثاً- النظريات الأكاديمية الأمريكية المبكرة:

ما تم عرضه من نظريات سابقا، تمت بواسطة أطباء ممارسين فعلياً لعملية العلاج النفسي، اعتمد اغلبهم في صياغته للنظرية التي قدمها على الدراسة المتعمقة للمرضى. وعلى العكس من ذلك، فإن هناك بعض نظريات الشخصية التي تأثرت بشدة بأعمال الدراسات المكتبية، ويعد كلا من (**Allport, G.**) جوردن البورت، (**Muray, H.**) وهنرى موري، مثالاً واضحاً لهذه الفئة من علماء النفس، فقد عملا معاً كزميلين في جامعة هارفارد، وكل منهما شارك الأطباء السابقين اهتمامه بدراسة الأفراد، واعدا مقاييس للشخصية معروفة جيداً سهلت لهما أعمالهم التجريبية، ورغم ذلك يوجد بينهما اختلافات جوهرية، ففي حين يعد موارى من الفرويدين الجدد، ينظر البعض لالبورت على أنه مثل أدلر يفضل التركيز على الجانب الشعوري في الشخصية.

[أ] نظرية السمات (جوردن ألبورت ١٨٩٧ - ١٩٦٧م)

في عام ١٩٢٠م وبعد عام واحد من حصوله على ليسانس الآداب التقى البورت بالعالم فرويد ــ وكانت هذه المرة الوحيدة التي يلتقيان فيها ــ في مقابلة وصفها **Allport,G** فيما بعد (***Traumatic development episode***) بحادثة مأسوية في نموه. وعلى الرغم من أن ألبورت قد وصف اكتشافات فرويد بالعبقرية، إلا أنه لم يسير في تياره وكان أكثر أقناعاً بعلم نفس الأنا.

- حاول تخليد بعض الأحداث المزعومة في حياة فرويد ضمن نظريته مثل طرده من فينا، كما صبغ نظريته بسيرته الذاتية عن الهوية، ورغم ذلك تعد نظرية اريكسون أكثر راديكالية من نظرية الهو الفرويدية. وعن الانطباع السائد بالمسايرة السياسية فان ذلك أمر قائم، وربما يرجع ذلك إلى أنه قد شعر ببعض الخوف من حرمانه من عضوية جماعة التحليل النفسي لرفض نظرية الليبدو، وهو المصير المؤلم الذي سيلاقيه كل من اعترض على نظرية فرويد. وعلى الرغم من أن اريكسون قد أنكر وجود اي رغبة في الدفاع عما في نظريته من تطابق وانسجام، فإن البعض نظر إلى أفكاره على أنها تعارض أي تغير اجتماعي وبصورة خاصة تأكيده على أن النمو السوي للأنا يحتاج إلى التدعيم الثقافي، وهو ما تم تفسيره على أنه تأكد لدور القواعد والمبادئ الثقافية في هذا الإطار، كما انتقد اريسكون في تأكيده على ما يسمى بالقاعدة الذهبية للتبادلية، والتي نظر إليها على أنها تفاؤل -

وقد تميز البورت بعقل متفتح فكان يأخذ كل ما هو جيد من الأفكار من مصادر مختلفة ويوحدها في كل متكامل، وهو ما يعرف بـــ (***eclecticism***) أسلــوب الانتقائيـــة (أي عدم أتباع نظام واحد بل انتقاء كل ما يعد الأفضـــل فـــي كـــل الأنظمة)، ولذلك يقول أن الأنظمة المحدودة والدوجماطية تحد من قدرة العـــالم على التفكير، ولا يوجد مجال واحد في علم النفس الحديث يستطيع حل مشـــاكل الإنسان سواء في تفرده أو نموه، وخاصة ذلك الذي يبنى على سلوك الأشخاص المرضى والقلقين[1]. ولذلك فقد اخذ ألبورت وضعاً خاصاً، وبشكل خاص فيمـــا يتعلق برؤيته لنظريات الشخصية ودور اللاشعور في السلوك، ومقارنة الطفولة بالرشد والعلاقة بين السواء والمرض النفسي.

أ ــ الطبيعة الأساسية للشخصية:

على العكس من أصحاب النظريات البينشخصية (***Interpersonal***) مثـــل أدلر وسوليفان، فإن ألبورت ينظر للشخصية على أنها شيء ما داخل كيان الفرد فيقول: " بالطبع إن الانطباع الذي نكونه عن الآخرين واستجاباتهم لنا تُعد عامل هام في تطور شخصياتنا، ولكن ماذا عن الناسك المتعبد وهؤلاء الذين يعتزلون الآخرين، هـــل يفتقدون الشخصية لكونهم لا يؤثرون علـــى الآخرين ؟ ويجيب

= مبالغ فيه، فالعديد من المشاكل يصعب حلها بمجرد السماح للأجزاء المتعارضة أن تحقق بعـــض النفع أو المكاسب. **وانتقادات أخرى** منها أن أعمال اريسكون تفتقد إلى ليه تحليلات كمية أو إحصائية كما فشل اريسكون في تحديد تلك العوامل التي تسهم بمعدلات سيكولوجية مفضلة أو غيـــر مفضـــلة فـــي المراحل الأخيرة للنمو مثل المثابرة مقابل الشـــعور بالنقص. (المرجع نفسه – ص٣٠٢).

١- ولد البورت في الحادي عشر من نوفمبر ١٨٩٧م في مونتيزوما بولاية أنديانا الأمريكية، وكـــان الابن الأصغر فـــي أسرته، وقد تميز بالنزعة نحـــو العمـــل الجاد، وقـــد أكمل البـــورت دراســـته فـــي جامعة هارفارد، وفـــي عام ١٩٣٧ ألف أول كتاب بعنوان (**الشخصية: تفسير سيكولوجي**) في حين كان كتابه(**نمط ونمو الشخصية**) الذي صدر في ١٩٦١م أكثر كتبه انتشاراً.

* يراجع بشأن نظرية السمات لالبورت:

Allport , G.W:Becming . Basic consideration for a psychology of personality. New Havkn. Ya le university, Press, 1955.

-Personality and social encial encounter. Boston .Beacon Press. 1960.

-Pattern and growth in personality. NewYork. Holt, Rinehart and Winston,1961

-Letters from Jenny-New York . Harcourt, Brace and World, 1965.

-The person in psychology. selected essays. Boston. Beacon. Press,1968.

ألبورت على هذا السؤال بقوله إن مثل هؤلاء الأشخاص لهم خصائص شخصية لا تقل عما لدى هؤلاء الذين يعايشون الآخرين في المجتمع الإنساني، وأنه من الواجب أن نمتلك بداخلنا صفات تحدد وتميز طبيعتنا الحقيقية ". ويوافق ألبورت أدلر في أفكاره بأن كل شخصية متفردة، وبعد عرضه لحوالى خمسين تعريفاً للشخصية تم وضعها بواسطة منظرين آخرين، أصبح على قناعة وأكثر ميلا إلى التعميم بأن الشخصية تنمو وتتغير بديناميكية وتفرد خلال حياتها، مكونة نمط منظم في الشخص السوي، ومكونة وحدة متسقة لكل من الوظائف العقلية والفيزيائية، ومكونة نظام معقد من العناصر المتفاعلة تغير تحدد كل ما نفعله[1].

وقد ذهب ألبورت إلى أنه لا توجد بالطبع تعريفات صحيحة أو غير صحيحة، فالمصطلحات يمكن أن تعرف بطريقة مفيدة لإعطاء ما نريده، وعلي ذلك تُعرف الشخصية بأنها: " ذلك التنظيم الديناامي داخل الفرد للنظام السيكوفزيقى والذي يحدد كل من خصائص السلوك والتفكير المميز له "[2]. ويعتقد البورت أن مشكلة الدافعية، تمثل إلى حد ما مسالة مركزية في الدراسات السيكولوجية للشخصية، ويعرف الدافع بأنه: " كل ظرف داخلي في الشخص يولد حدثاً أو فكراً "[3].

- **الدوافع الغريزية:** لاعتبارات كثيرة فإن مفاهيم ألبورت عن الطبيعة الإنسانية تختلف وبشكل جذري عن مفاهيم التحليل النفسي لفرويد. فهو يوافق على أننا نمتلك ميولاً لاعقلانية ذات جذور عميقة في شخصياتنا أو تُخم من اللامنطق (***Marshland of unreason***) له تأثيره الوراثي الواضح على شخصيتنا، وهو ما يمدنا بالعناصر الخام كبنية الجسم والذكاء والخصائص المزاجية الانفعالية (كالنشاط أو الفتور)، وبشكل واقعي فإن كل فرد يكافح من اجل خفض وإشباع دوافعه الفطرية كالجوع والعطش ....

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- المرجع السابق- ص ٣١١، دكتور/ احمد محمد عبد الخالق - المرجع السابق- ص١٤.

2- Allport, G.W. Pattern and growth in personality. op. Cit. 1961. P, 28.

3- Allport, G.W: op – Cit. p, 29

والجنس إلي آخر هذه الدوافع. وتختلف دوافع الراشدين عن دوافع الأطفال في أربعة جوانب أساسية:

* زيادة المعرفة والتوتر. * التنوع والتفرد.
* الغائية. * الاستقلال الذاتي الوظيفي.

- **القيم**: يتفق ألبورت مع كل من يونج وفروم على أن وجود الإنسان يحتاج إلى وحدة فلسفية تعطي معنى لحياته، وتهديه إلى بعض الإجابات لتلك المشكلات المؤلمة، التي قد يعانيها مثل الشعور بالذنب والخوف من الموت. وقد بنى ألبورت أفكاره عن القيم على أعمال الفيلسوف الألماني أدوار أسبرنجر (*Spranger, E*)، واستنتج وجود ستة أنواع أساسية من القيم[١].
- **اللاشعور والوعي**: يتميز مدخل ألبورت إلى اللاشعور بمحاولة التكافؤ بين الضدين إلى حد ما، والتوحيد بين النظريات التي تتناوله (اللا شعور) بالشرح. فالبورت من ناحية يشارك أنصار التحليل النفسي، الاعتقاد بأن اغلب تصرفات الشخصية يمكن أن تتم بطريقة أو بأخرى بشكل لا شعوري، فالكثير من الدوافع لا شعورية طفوليه ونابعة من ذاتنا، كما أنه أيضا يؤمن بأن الشخص السوي يندفع بداية بواسطة كل من البواعث الشعورية والصراعات، ويؤكد على وجهة نظر فرويد في ارتباط العمليات اللاشعورية بالاختلالات السيكوباثولوجية[٢].

ب ـ تركيب الشخصية:

على النقيض من فرويد ويونج، لم يقدم ألبورت تمييزاً واضحاً بين الاعتبارات التركيبية والدافعية للشخصية. ولكن التركيب التالي هو تركيب جوهري ومثالي، يلعب دوراً واضحاً في تفسير سلوكنا وأفكارنا:

- **السمات العامة والميول الشخصية**: تمشياً مع أفكار البورت عن محسوسية

١- أنواع القيم الأساسية: القيم النظرية، والقيم الاقتصادية، والقيم الجمالية، والقيم الاجتماعية، والقيم السياسية، والقيم الدينية. وهذا التصنيف للقيم ينطبق فعليا على اغلب الناس عموماً ولكنه يتميز بفرديته، فأي نظام من القيم لدى أي شخص يتكون من تركيبه فريدة من الاحتمالات الستة.

٢- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- مرجع سابق- ص ٣١٥ وما بعدها.

الدوافع الإنسانية، فإنه يقدم وصفاً لتركيب الشخصية من خلال مصطلح السمات (*Traits*) مثل الصداقة والطموح والنقاء أو النظافة والغيرة والالتزام، حيث قدرها – عدد هذه السمات – بما يتراوح بين ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ سمة تحتوي ما يقرب من ١٨٠٠٠ مسمى، فالسمات لاشك تعد ذات أهمية كبيرة لارتباطها المباشر بالعديد من الجوانب الثابتة في الشخصية. وحتى يوفق البورت بين تأكيده على المدخل الرمزي (*Idiographic*) والحتمية في المقارنة بين مختلف الأشخاص، قام بالفصل بين نوعين من السمات:

١ – السمات العامة (المشتركة) *Common Traits*.

٢ – السمات الفردية (الشخصية) *Personal Traits*.

- الجوهر (*Preoprium*) الوظائف الجوهرية للشخصية: على الرغم من أن الشخصية الراشدة السوية تتصف بوجود عدد كبير ومتشابك من الاستعدادات والاهتمامات والغرائز، إلا أنها تنتظم حول الأمور التي تعد أكثر أهمية بالنسبة للفرد. وحيث أن مصطلح الذات (*Self*) أو الأنا (*Ego*) قد استخدم من قبل منظرين آخرين وبطرق مختلفة، فإن البورت يوحد مضمونها في مفهوم الجوهر فيقول: " اعتقد أن الجوهر هو ذلك الجزء الدافئ، والمركزي الذي يمثل منطقة خاصة في حياتنا ".

وهكذا فقد اقترح البورت تسمية جميع وظائف الذات أو الآنا كما وردت في النظريات الأخرى، بالوظائف الجوهرية (*Propiate*) للشخصية[1].

ت ــ تطور الشخصية:

يرى أن أليورت أن معظم دوافع الراشدين تتصف بالاستقلال الوظيفي عن أصولها الطفولية في مرحلة المراهقة، لذلك فأنه يعتقد أن الحاجة لدراسة دورة تاريخ الشخصية أو مراحل تطوره حاجة محدودة، ولكنه يرى أن رأى فرويد القائل بأن الشخصية تتحدد ملامحها في سن الثالثة أو الرابعة مجرد هراء (رأى خاطيء)، كما أنه يرى أن السنة الأولى اقل السنوات أهمية في تشكيل

١- المرجع نفسه – ص٣٢١.

الشخصية، مفترضا أن هناك سلسلة من الاضطرابات الصحية لم تحدث بعد خلال هذه السنة.

- **نمط الحياة (*The style of life*)**: نظراً لأن ألبورت يرى أن كل شخصية تمثل وحدة مستقلة، فأنه يرفض استخدام صفات تحدد اتساق وأنماط للشخصية (***Typologies***)، مثل استخدام أدلر لنمط الحياة، كما يرى أنه توجد اعتبارات كثيرة يمكن في ضوئها تصنيف الأشخاص (كريم، نرجسي، متسلط..) وأي فرد يمكن أن يكون لديه مئات من هذه الصفات[١].

وعلى الرغم من أن هدف جوردن ألبورت كان الوصول إلى خيار قابل للتطبيق فيما يتعلق بتأكيد فرويد عن السببية عند الأطفال، والعمليات اللاشعورية ذات الجذور العميقة في الشخصية، فقد لاقت نظريته بعض الاعتراضات من أولئك الذين يفضلون الاسس التي قام عليها التحليل النفسي بدلاً من الحياد عنها. وتتمثل هذه الانتقادات في[٢]:

- رفض ألبورت لأهمية السنوات القليلة الأولى من الحياة دون غيرها إلى درجة مبالغ فيها. كما أن اهتمامه بالاستقلال الوظيفي في مرحلة الرشد خلق فجوة بين مرحلتي الطفولة والرشد. كما أن تأكيدات البورت على الشعور والجوانب الراهنة للشخصية تعد تبسيطاً بالغ الإفراط وخطأ جسيماً.

بالإضافة إلى بعض الانتقادات الأخرى التي وجهت إلى البورت وخاصة فيما يتعلق بأن السلوك البشرى لا يمكن وصفه بشكل كافي من خلال السمات، وأكد العلماء والمنتقدين أنه يجب توجيه مزيد من الاهتمام إلى المتغيرات البيئية والبينشخصية، يضاف لذلك أن البورت لم يكن أكثر نجاحاً من أدلر في دفاعه عن تفرد الشخصية الإنسانية. كما انتقد في مفهومه حول الاستعداد الذاتي للمرض النفسي والعقلي الذي يختلف في النوع عن الشخص العادي، وليس في الدرجة كما ذكر اغلب علماء النفس، كما أنتقد خاصة عندما اعتقد أن اللاشعور يشكل معظم الشخصية يسود فقط في الأفراد غير العاديين والشواذ.

١- نفس المكان.

٢- المرجع نفسه - ص ٣٣٢ وما بعدها.

[ب] نظرية الحاجات (هنري موراي – Murray, H. A.)

في حين ترك لقاء ألبورت مع فرويد نوعا من التشكك في علم نفس الأعماق (اللاشعور)، كان الأمر مختلفاً تماماً بالنسبة لموراي، فقد أصبح أكثر تعصباً واقتناعاً بالعمليات اللاشعورية عندما قابل يونج. ولذلك كان على العكس من ألبورت، حيث أن مفاهيم موارى النظرية وطرق البحث التجريبي وأساليبه في القياس تغوص في الأعماق الداخلية لتصل إلى ما دُفن وخبأ في اللا وعى، داخل الشخصية الإنسانية.

أ – طبيعة الشخصية:

يتفق موراي مع ألبورت في أن علم النفس يجب أن يتعامل مع حالات فردية[1]، وانطلاقا من هذا الاعتقاد سمى نظريته (*Personology*) علم الشخصية، فهو ينظر إلى الشخصية كوحدة واحدة في بعض جوانبها، ولا توجد عناصر فرعية فيما عدا بعض الاستثناءات التي يمكن تناولها في كل حالة، وهو يرى أن الشخصية هي الجهاز المسيطر على الجسم، وهى المؤسسة التي تظل دون توقف منذ الميلاد حتى الموت في عمليات تحويلية وظيفية.

ورغم أن آراءه الخاصة بطبيعة الشخصية تأثرت كثيراً بنظرية التحليل النفسي إلا أنها تختلف عنها كثيراً. وكان موارى قلقاً من استخدام كلمة البنية أو التركيبة (Structure) للشخصية بسبب ارتباطها بالاستمرارية القانونية والاعتبارية للشخصية، فهو يعتقد أن الشخصية تكون دائماً في حالة من التغير وقد افترض عدة تعريفات في أوقات متباعدة[2] مثل:

– شخصية الفرد هى شيء مجرد يُكون بواسطة صاحب النظرية، وليس

١– ولد هنرى موراي في الثالث عشر من مايو ١٨٩٣م في مدينة نيويورك لوالدين متحفظين في حين تميز والده بالحزن والمرح في نفس الوقت، وفى سن مبكرة كان يشعر بان أمه تفضل عليه شقيقة الأصغر، وقد عانى في طفولته من عيوب في الإبصار، كما عانى من مشكلة التهتهة مما أثار رغبته في تعويض ذلك في صورة تفوق دراسي وأصبح دارساً متميزاً ومتعدد المواهب، وكانت مقابلته ليونج التي تمت في عام ١٩٢٥م سبباً لانشغاله واهتمامه بعلم النفس.

٢– المرجع نفسه – ص ٣٣٨. وأيضا يرلجع هول. ك، ليندزى.ج – نظريات الشخصية – ترجمة فرج احمد فرج وآخرون– القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٧٥.

مجرد وصف لسلوك الفرد.

- شخصية الفرد تشير إلى عدة أحداث تحتل حياة الفرد كاملة، فتاريخ الشخصية هو الشخصية.
- تعريف شخصية يجب أن يعكس العناصر الدائمة والمتكررة للسلوك، وأيضا العناصر الحديثة والنادرة.
- الشخصية هى العنصر المنظم أو الحاكم للفرد، فوظيفتها هى التكامل بين الصراعات، والمتناقضات التي تظهر في الشخصية.

- **الحاجات**: يتفق موراي مع ألبورت في الاعتقاد بأن الدوافع تمثل أساس المحاولات والمساعي في نظرية الشخصية، ولكنه يفضل قبول رأى فرويد القاضي بأننا مدفوعين برغبة في إشباع الدوافع المولدة للتوتر، لإزالة هذا التوتر وأطلق عليها الحاجات، وأن الشخصية محددة بطبيعتها بما يصدر عنها من عمليات نفسية مركزها المخ.

ويعرف (*Murray, H.*) الحاجة بأنها: " تكوين فرضي ذات قوة ثابتة نسبياً مصدرها المخ، تنظم إدراكاتنا وتفكيرنا وتصرفاتنا، وبواسطتها يتم تشكيل مراكز الإثارة والمواقف غير المشبعة في اتجاه هدف معين "[1]. وهو لا ينظر إلى عماية الإبداع والابتكار والتخيل على أنها نتيجة لعملية تسامي، ولكن كحاجة إنسانية هامة.... وهكذا يرى أن الحاجة هي نقطة البداية في أي سلوك إنساني، فالإنسان يسعى دائما لإشباع حاجاته الأساسية في الحياة اليومية.

- **الضغوط (*Press*)**: غالبا ما تستثار الحاجات بواسطة عوامل داخلية أو

١- وعلى خلاف فرويد قام موراي بتوسيع نطاق الحاجات البيولوجية، كما وضع قائمة بالحاجات النفسية، ويتفق مع يونج في اعتقاده باننا نمتلك كل من الغرائز المحرمة والجهود الايجابية الفطرية على حد سواء. وقد حدد موراي الحاجات الظاهرة، ووصف أنماط السلوك والانفعالات المصاحبة لها. ومن هذه الحاجات: الحاجة للسيطرة – الحاجة للاذعان (التبعية) الحاجة للاستقلال – الحاجة للعدوان – الحاجة للانصياع والاستسلام– الحاجة للإنجاز – الحاجة للجنس – الحاجة إلى الاستمتاع الحسي– الحاجة للاستعراض– الحاجة إلي اللعب– الحاجة للانتماء – الحاجة للمعاضدة (المساعدة) – الحاجة للعطف – الحاجة إلى الدفاعية (الدفاع عن النفس)– الحاجة إلى التعويض أو التعادلية (الفعل المضاد)– الحاجة للفهم.

خارجية أو كلاهما معاً، فلا يمكن دراسة الشخصية بمعزل عن البيئة التي توجد فيها، ونحن لا ندرك ما حولنا من متغيرات البيئة بشكل دقيق ومحكم دائماً، حيث يميز موراى بين التفسير الفردي للأحداث الخارجية وهو ما يعرف بالضغط بيتا (*Beta Press*)، وبين الواقع الحقيقي كما يعرف بواسطة الاستعلام الموضوعي وهو ما يعرف (*Alpha Press*) بالضغط ألفا، بالإضافة لذلك فإن تفاعل ضغط الحاجة الفردية، يرجع إلى ما يسمى بالثيما (*Thema*). التي هى تفاعل فردي بين الحاجة والضغط.

ب ـ تركيب الشخصية:

يعبر موراي عن بعض شكوكه حول استخدام التكوينات التركيبية للشخصية وخوفه من أن ذلك سوف يؤدى إلى ضعف فهمنا للطبيعة الدينامية للشخصية، ولذلك فقد احتفظ بنسخة معدلة من التركيب الثلاثي الذي اقترحه فرويد[1]:

- **الهي (*ID*):** نولد مزودين بها وهى لا شعورية تماماً. وهى لا تتضمن فقط مجرد التقسيمات الغريزية والفطرية، لكن كذلك القوى الفطرية كالإبداع والتعاطف. ويجادل موراى حول نسبة الجزء الخير والشرير في الهي، ويرى أنها تختلف باختلاف الأفراد، فالبعض لديه بعض الصعاب في ضبط النزعات المحرمة للهي عن غيرهم.
- **الآنا (*EGO*):** كما في نظرية فرويد. الآنا هي المكون العقلاني والتنظيمي للشخصية، فهو يبقى بين الهي والآنا الأعلى كوسيط وربما ينحاز إلى احدهما عن الآخر. فإما أن يخضع لاندفاعات الهو، أو يدافع عنها من خلال الكبت والإسقاط، كما أن لديه درجة ما من الاستقلال أو بعض العمليات المستقلة، والآنا في رأي موراي أقل اشتراكا في الصراعات داخل النفس كما يعتقد فرويد (لأن الهي في رأي فرويد لا عقلانية كلية)، كما أن الآنا القوية ضرورية للشخصية السوية، وأن ضعفها يعطي فرصة للإضطراب.
- **الآنا الأعلى (*Superego*):** يتفق موراى مع فرويد على أن الآنا الأعلى،

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق- ص ٣٥٠.

هي المكون الأخلاقي للشخصية، وهى لا شعورية إلى حد كبيـر، وتتكـون من المعايير التي تم تشربها من الوالدين ومصادر السلطة، وتسهم في تخليد الثقافة، ويعتقد موراي أن الآنا الأعلى يستمر في تطوير خبـرات الطفولـة تحت تأثير خبرات جماعات الرفاق، كما أن يستخدم مصطلح الذات المثالية (*ego Ideal*) التي ترجع إلى الذات المرغوبة، أو مثالية الـذات، أو إلـى جهاز من البرامج المسلسلة الذي يحولها من الإجرامية لإلى الحكمة الهادئة.

ت ــ تطور الشخصية:

كما ذكر ألبورت، يؤكد موراي على أنه يجب على الطفل النامي أن يـتعلم إشباع حاجاته بطرق مقبولة اجتماعياً، حيث يصبح من السهل بشكل طبيعـي أن يُبدل {يغير} شخصيته، بدلاً من إحداث تغيرات عنيفة مفاجئة في المجتمع، مثـل هذه العملية (التنشئة الاجتماعية) يتم انجازها عن طريق الالتزام القهري بالقيود والتوقعات الاجتماعية (على سبيل المثال: كبح الاندفاعات المحرمة، أو إتاحـة الفرصة لاستبدال الأهداف بأخرى مقبولة اجتماعيا)، وبالإضافة إلى تأكيده على السببية والغائية فإن موراي يختلف عن ألبورت بتركيزه على دراسـة تطـور الشخصية من خلال مفاهيم:

- **العُقَـد:** يعتقد موراي– مثل فرويد– أن مرحلة الطفولة مليئـة بـالخبرات السارة والمحزنة، وأن عدم الإحساس بالأمان قد يحدث منذ الميلاد كنتيجـة لعدم إحساس الأم أو المربية بالمسئولية، وإهمالها للطفل وعدم توفير الراحة اللازمة للجسم وأخطاء التدريب على الإخراج، والإثارة الجنسية والعقـاب الوالدي، وتحوي شخصية أي راشد على خبرات لا شعورية عـن مرحلـة الطفولة، تؤثر في سلوكه وخاصة الخبرات الحرجة والمعروفة بأسم العُقد.
- **حاجات وضغوط مرحلة الطفولة: على عكس** مما هو شائع أو مُعتقد، فـإن ***Murray*** يرى أن ضغوط الطفولة الهامة غالبا ما تحدث بعد استخدام اللغة ويصبح من السهل على الطفل إعادة تسمية الأشياء بسـهولة اكبـر، فمـن الضغوط الهامـة تجنب ضغوط خفض المساندة الأسريـة، والحفاظ علـى

الترابط العائلي والأمان الأبوي، ومن المظاهر المرضية لخفض المساندة الأسرية تغير أو عدم ثبات النظام، الخلافات أو النزعات الأسرية، عدم القدرة على تحقيق مطالب ورغبات الطفل، الانتقال إلى بيئة جديدة، الإهمال أو الرفض وفقد المكانة في الأسرة نتيجة ولادة أخوة جدد[1].

كما يري ***Murray*** أن ظهور الحاجات يعتمد على الضغوط التي يتعرض لها الفرد، فالعقاب القاسي من قبل الوالدين، ربما يؤدى إلى ظهور الحاجة للتحقير أو للانصياع والاستسلام، كما يؤدي العدوان أو الإيذاء اللفظي من الرفاق، إلى ظهور الحاجة لتجنب المذلة........ وهكذا.

*** لقد كان مواري بشكل عام مُغرم باستخدام التعبيرات والألفاظ الجديدة[2].**

وقد اتسمت العديد من المصطلحات الجديدة التي استخدمها بأنها جافة، كما اتصفت مناقشاته الفنية بالصعوبة مثلها في ذلك مثل أعمال يونج. أضف لذلك أن علم الشخصية في نظريته كأحد الفرويديين الجدد كان يفتقد إلى الإثارة، ويبدو أن التركيبات الجديدة في نظريته هي التي أدت إلى مثل هذه الإعاقة.

كما انتقدت تصنيفات موراى للحاجات حيث أن بعض التفاصيل الهامة في النظرية بقيت غير واضحة مثال: كيف تتبثق الحاجات النفسية من الحاجات الحشوية، ورغم أن ***Murray*** من علماء نفس الأعماق [اللاشعور] إلا أنه لم يكرس سوى قليل من الاهتمام للتطبيقات الهامة على ذلك مثل تفسير الأحلام، وتفسير الاضطرابات النفسية، كما يعاب عليه أنه قام بتبديد كتاباته وبعثرها في فصول من بعض الكتب أو المجلات العلمية، بدلا من جمعها في كُتب من تأليفه مما أهدر جهده وجعل نظريته في الشخصية تفشل في جذب الكثير من طلابه، أو يكون لها تأثير قوي في علم النفس الحديث كما لبعض النظريات الأخرى. ورغم ما وجه ***Murray*** من انتقادات إلا أن أعماله في جامعة هارفارد تمثل الخطوة الأساسية الأولى في التحقيق العملي لرؤى فرويد بما يتصف به من دقة وصرامة في مجال البحث التجريبي، ويعد مؤسس علم النفس الاكلينيكي الحديث

١- المرجع نفسه- ص ٣٥٢.

٢- المرجع نفسه- ص ٣٦٠.

ت] نظرية السمات (جليفورد ـ Guilford, J.P)

أن السمة هي الاستجابة إلى ميل أو نزعة[1]، وفى بعض الحالات يصبح كل فرد صاحب نظرية فى السمات خاصة به، وفي هذا يصبح سلوك الأفراد ثابت السمات، ومن ثم يمكننا تصنيفه إلى عدة سمات مثل عدواني- كسول- خجول أو أي سمة من السمات الموجودة في اللغة الإنجليزية ويبلغ عددها (١٨,٠٠٠) ثمان عشر ألف نسمة لتصنيف السلوك الإنساني.

وكما قدم جوردن ألبورت نظريته في الشخصية معتمداً على السمات، وبقى مفهوم السمة واحداً من أهم المفاهيم التي جذبت المدافعين عن النظرية ومنتقديها فقد قدم جليفورد (Guilford,J.P) نظريته في تفسير الشخصية معتمداً على سمات الشخصية. ونقطة البداية في نظريات السمات هي سلوك الفرد وسماته، ولكن اختلفت النظرة إلى هذه السمات، وظهر بالتالي اتجاهان[2]:

- **الأول:** يقرر أن الشخصية هي المجموع الكلى لسمات الفرد التي تميزه عن غيره.
- **الثاني:** يركز على تكامل هذه السمات في تنظيم كلي وفي علاقات وظيفية بين السمات المختلفة، ويهتم بديناميكية الشخصية.

- **ويصنف جليفورد Guilford سمات الشخصية في سبع فئات هي[3]:**

١- سمات تتصل ببناء الجسم أو ملامحه (الطول- الوزن- اللون).

٢- سمات تتعلق بأداء الوظائف العضوية.

٣- سمات تتعلق بالحاجات.

٤- سمات تتصل بالميول.

٥- سمات تتعلق بالاتجاهات.

٦- سمات تتصل بالقدرات المتنوعة العقلية وغيرها.

1-Hall,C.S and lindzey,G: Theories of personality. New York. Wiley.1957.P,14

٢- دكتورة/ انتصار يونس – مرجع سابق- ص٢٩٩.

٣- دكتور/ عباس محمود عوض – مرجع سابق – ص ٣٥٦. وللمزيد بشأن تصنيف السمات يراجع: دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – مرجع سابق – ص ٢٩٥. وما بعدها.

٧- السمات المزاجية....الثقة بالنفس، الاندفاع، القلق.

ويرى جليفورد أن السمات قد تكون ذات عمومية عريضة كالعصبية وضبط النفس، أو قد تكون ذات عمومية محدودة نسبياً كالمودة والتحمل، كذلك قد تكون ذات عمومية أضيق كالخجل في موقف معين أو شيء بالذات...على أنه يلاحظ أن هناك فروقاً فردية في عمومية السمة[١].

بينما ذهب بعض الباحثين مذاهب أخرى مختلفة في تصنيف السمة، فمنهم من يتحدث عن سمة كبرى غالبة على الشخصية أو سمة مركزية تنتظم حولها سمات أخرى أقل أهمية تعرف بالسمات الثانوية. ومنهم من ينظر للشخصية على أنها انتظام دينامي بين مختلف سمات الفرد، ولكن هذا يوقعنا في عدم التفريق بين مفهوم السمة ومفهوم الدافع، فالأول مفهوم (***Static***)، أما الثاني فهو (***Dynamic***) يفترض بالضرورة تفاعل الشخص مع المواقف.

• **وهناك نقطة أخرى جديرة بالإشارة وهى مسالة غموض السمة وعدم تحديدها تبعاً لنظرية السمات:** فالشجاعة قد تكون شجاعة حربية وقد تكون شجاعة أدبية، ومن مظاهر الغموض وعدم التحديد في اختلاف معيار السمة هو الاختلاف بين اسمين احدهما محبب والآخر منفر، فالحزم قد يبدو تصميماً وقد يبدو عناداً، كذلك عدم تحديد معنى السمة أو معيارها تحديداً مطلقاً مثل الكرم[٢].

وبالرغم من أن لنظرية السمات بعض المزايا، إلا أن النقد يوجه إليها أيضا[٣]:

- بالنسبة للمزايا: فهي تعتبر أن كل سمة من سمات الشخصية ما هي إلا بُعد

1- Guilford, J.P: Personality, New York. M C Graw- Hill, 1959, P.65.

وأيضا راجع: دكتور/ احمد محمد عبد الخالق – مرجع سابق – ص٥٣.

٢- دكتور/ عبد الرحمن عيسوى – المرجع السابق – ص ٢٩٥ وما بعدها.

٣- المرجع نفسه – ص٢٩٤. **مثال لذلك:** نحن لا نرى الأمانة داخل الفرد ولكن نلاحظ السلوك الأمين فقط، وقياساً على ذلك إذا أردنا الدقة لا نقول أن شخصاً ما عدوانيا أو يمتلك سمة العدوان، ولكن نقول انه يسلك سلوكاً عدوانياً في مواقف كذا وكذا، وكذلك الشخص العنيف في عمله فهو ليس عنيفاً في جميع المواقف، وعلى ذلك فلابد من اخذ العوامل الاجتماعية والظروف الفيزيقية المحيطة به والتي تؤثر في سلوكه، فليست السمات وحدها المسئولة عن السلوك، ولكن الظروف الاجتماعية والمادية أيضا تحدد هذا السلوك.

واحــد من أبعاد الشخصية، كذلك فإنها تعطي مفاهيم لسمات يمكن قياسها قياساً دقيقاً، كذلك يمكن دراستها وأجراء التجارب عليها.

وبالنسبة للنقد: رغم ما سبق فإن الدرجات التي نحصل عليها، من تطبيــق عدد كبير من الاختبارات لا تساعدنا في وصف شخصية الفرد ومعرفتها، ذلــك لأن مجرد معرفة مقدار ما يملك الفرد من كل سمة من السمات، لا يوضح لنــا كيف تتفاعل هذه السمات مع بعضها، ولا كيف تنتظم في كل موحــد، فنظريــة السمات أذن لا توضح لنا ديناميكية الشخصية وتكاملها، واستجماع عناصــرها وأداءها لوظائفها المختلفة. كذلك يؤخذ على النظرية أنها تنظر إلــى الســمات كموجودات داخل الفرد نفسه، ولكن الحقيقة أنها ليست إلا طرقاً للسـلوك فــي المواقف المختلفة. فنحن نُكون مفهوم السمة من عملية تجريد لعدد كبيــر مــن الأنماط السلوكية المتشابهة، وعلى ذلك فالسمة لا توجد وجوداً مستقلاً في الفرد، أنما كل ما يوجد لديه هو سلوك معين، وهذا السلوك هــو الــذي نســتطيع أن نلاحظه وأن نقيسه.

[ث] نظريــات الأنماط

قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، أن هذه النظريات تركــت فكــرة الســمات جانباً، وفسرت الشخصية من خلال شي آخر وهذا ليس بصحيح، فبينما اهتمت نظريات السمات بتحديد مجموعة من السمات للفرد، كما يحدث فــي مــوازين التقدير، اهتمت نظريات الأنماط بالبحث عن إطار عام يمكن تميز الأفراد مــن خلاله، وبينما اهتمت نظرية السمات بالتفرد كأساس لدراسة الشخصية، جمعــت نظريات الأنماط بين التفرد والتشابه بين مجموعات من الأفراد[1].

وحسبما ذهب العلماء نتيجة لذلك فإن نظرية السمات وثيقة الصلة بنظريات الأنماط، بل أنه يمكن القول بأن النمط هو سمة عامة أو سمة غالبة أو ائــتلاف معين من عدة سمات، وإذا كان النمط يفترض وحدة في جميع ســلوك الفــرد، فالسمة تفترض وحدة في قطاع بأسره من السلوك.

١- دكتورة/ انتصار يونس- مرجع سابق- ص ٣٠٣.

أ ـ أساس نظرية الأنماط:

حين يتعرض الفرد لمواقف مختلفة فإنه يلجأ إلى خبراته السابقة للتصرف في هذه المواقف، وحتى يتمكن الحكم على الأفراد وعلى سلوكهم، فمثلاً ضابط الشرطة أو الطبيب أو الموظف (في مصلحة عامة) الذي يواجه الكثير من الجمهور، عليه أن يتعامل مع كل فرد معاملة خاصة تناسبه، وتتحدد هذه المعاملة بنوع من الحكم الذي يصدره على هذا الفرد من أول وهلة، أي معرفة نمط شخصيته، ومن ثم تحديد نوع معاملته لهذا الفرد.

ب ـ تصنيف أنماط الناس:

صنف الباحثون الناس إلى أربعة أنماط هي مزاجية وجسمانية ونفسية واجتماعية بيانها كالأتي[1]:

- ❖ **الأنماط المزاجية:** لقد صنف هيبوقراط الناس إلى أربعة أنماط مزاجية[2]: هي الدموي والصفراوي والسوداوي واللمفاوي (ألبلغمي)، وهذا التصنيف تم على أساس ما يوجد في الدم من هذه العناصر. ومؤدى هذه النظرية أن كل نمط من هذه الأنماط يتميز بسلوك معين ولكن بالبحث العلمي ثبت خطأ هذه النظرية، وهي إن اعتبرت فكرة مبتكرة في عهد هيبوقراط، إلا أنها لا تتمشى مع حقائق العلم الحديث.
- ❖ **الأنماط الجسمانية:** هناك آراء عديدة في هذه النظرية فمن العلماء من يقسم الأشخاص حسب شكل الوجه، ومنهم من يقسمهم حسب جغرافية جمجمة الرأس، والسمات الجسمية أو المميزات الجسمانية من ضخامة وسمنة وقصر.... إلى آخر هذه السمات الجسمية.

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى- المرجع السابق- ص ٢٨٣ وما بعده.

٢- في تاريخ علم النفس ظهرت فكرة الأنماط وذلك لمحاولة فهم الناس وتصنيفهم إلى عدد محدد من الأنماط، وكل نمط يتخذ أسما له سمة من السمات البارزة المفروض وجودها في أصحاب هذا النمط، وأول هذه الأنماط هي الأنماط التي قال عنها هيبوقراط الطبيب اليوناني، فقبل عام ٤٠٠ قبل الميلاد، حاول هيبوقراط *Hippocrates* أن يصنف خلق الناس أو مزاجهم *Humors*، وكانت فكرته أن الجسم مكون أساسا من أربعة عناصر هي الدم والسوداء والصفراء والبلغم وفي كل فرد تكون الغلبة لأحد هذه العناصر، وعلى ذلك يمكن إيجاد العلاقة بين العناصر الجسمية والصفات المزاجية.

❖ **الأنماط النفسـية:** من اشهر هذه الأنماط التصنيف الذي وضعه كارل يونج، والذي قسم الناس فيه إلى انطوائيين وانبساطيين، وإلى جانب هذا الأســاس رأى أن هناك وظائف عقلية هي التفكير والإحساس والإلهـام والوجـدان، وعلى ذلك يصبح هناك ثمانية أنماط من الشخصية، فالشخص قـد يكـون انطوائي ومفكراً أو انطوائي وحساس، وذلك بحسب تغلب وظائفه العقلية.

❖ **الأنماط الاجتماعية:** ترجع محاولة التقسيم إلى أنماط اجتماعية إلى تومـاس وزنانيكى، عندما درسا الأنماط الاجتماعية في محاولة لتفريق بين السـمات المزاجية والسمات الخلقية، حيث أنهما ذهب إلى أن المـزاج يرجـع إلــى عوامل وراثية بينما الخُلق يرجع إلى عوامل اجتماعية، والنـاس ينقسـمون إلى أنماط اجتماعية معينة نتيجة التفاعلات الاجتماعية بينهم.

ت ـ عرض لبعض نظريات الأنماط:

١ـ أنماط كريتشمير:

ونظراً لما وجه لنظرية الأنماط من انتقادات، ظهرت محـاولات تضـمنت تصنيفاً آخر أكثر حداثة يهدف إلي التغلب على هذه الصعوبات ومواجهة النقـد الموجه إليها، ومن هذه التصنيفات تصنيف أنمـاط كريتشـمير، ويرجـع هـذا التصنيف إلى العالم الألماني ***Kretschamer*** الذي وضع تصنيفاً للناس علـى أساس بناء أجسـامهم (***Body build***)، فمـن خـلال ملاحظاتـه لمرضـى المستشفيات العقلية، وصل إلى اعتقاد بأن بعض الأعراض العقلية تنحو نحـو، الارتباط ببعض أنواع من الأجسام فالسمات التي تميز الفرد الفصامي (أعراض الجنون المبكر) توجد في الشخص النحيل الضـعيف، وذلـك مثـل الانطـواء والانسحاب والمثالية والرسميات، أما أصحاب الأبدان السمينة والقصـيرة فـإن أعراضا مثل تقلب المزاج، والانبساط والواقعية والموضوعية تظهـر عنـدهم، وتظهر هذه السمات بصورة مبالغ فيها لدى مرضى الجنون الدوري[1].

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى- المرجع نفسه ـ ص ٢٨٧، دكتور/ أحمد محمد عبد الخالق- مرجع سابق- ص١٨٤.

٢- نظرية الأنماط شيلدون (*William Sheldon*):

ومن هذه المحاولات الحديثة أيضا، محاولة قام بها وليم شيلدون ***Sheldon*** (١٩٤٠) لتعريف السمات المزاجية (***Temperamental Triats***) وحاول على غرار كريتشيمر الربط بين هذه السمات المزاجية والصفات الجسمية. ولقد تحرر شيلدون من فكرة الأنماط وحاول أن يصف أبعاد تكوين الجسم (***Dimensions of body***)، ولكنه تصور أن هذه الأبعاد متصلة ومستمرة وليست قوالب مستقلة كما فعل كريتشيمر، ووضع ثلاثة أبعاد بحيث يمكن أعطاء درجة بكل جسم على هذه الأبعاد الثلاثة. وصنف الناس إلى ثلاثة فئات مزاجية هي:

- Viscerotonia النمط الرخو الذي يمتاز بحب الراحة والإقبال على الناس والنهم في الأكل.
- Somatotonia النمط العضلي ويمتاز بقوة العضلات.
- Cerebration النمط المكبوت ويمتاز بالقمع واليقظة وسيطرة النواحي العقلية.

(*) ويعاب على نظريات الأنماط أنها اعتمدت على الوصف والتصنيف وأهملت الجانب الديناميكي للشخصية وتأثير العوامل المختلفة في سلوك الفرد، كما وضعت حدوداً فاصلة بين الأنماط المختلفة لا وجود لها. كما أن فكرة الأنماط تنظر إلى ناحية واحدة من نواحي الشخصية وتهمل باقي عناصرها[١].

١- دكتورة/ انتصار يونس – مرجع سابق – ص ٣٠٥.

* تصب هذه النظرية الأفراد في قوالب جامدة، وتتجاهل ما يوجد بينهم من فروق فردية في كم ما يملكون من سمة معينة. وتفسير ذلك أنه عند ما يوضع الفرد في نمط معين فأنه يفترض أن جميع الصفات المكونة لهذا النمط تنطبق عليه، على حين أن بعضها هو الذي يتوفر عنده، كما أن فكرة الأنماط فكرة مسرفة في التعميم، حيث أنها لا تنطبق إلا على قلة متطرفة من الناس، ولكن العلماء أطلقوها على الجميع، فهناك قلة بسيطة هي المنطوية وقلة أخرى منبسطة على حين هناك أغلبية معتدلة أو متوسطة. وأخيرا فانه فكرة الأنماط تنظر إلى ناحية واحدة من نواحي الشخصية وتهمل ما عداها من عناصر فهي تنظر للانطواء أو الانبساط فقط. (دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – مرجع سابق – ٢٨٦).

الفصل الثاني

النظريات الحديثة في مجال دراسة الشخصية

أولا- نظرية علم النفس المعرفي:

*(سيكولوجية التركيبات الشخصية * جورج كيلي ١٩٠٥- ١٩٦٦م)*

على الرغم من تصنيف نظرية ***Kelly, G.*** ضمن أكثر من فئة من نظريات الشخصية، إلا أن اهتمامه المبالغ فيه بإبراز دور العقل في التعامل مع البيئة وضغوطها، والتغير الذي يحدث في تكوينات الشخصية نتيجة لتأثير العامل المعرفي، وأثر ذلك على السلوك ووصفه للناس بأنهم كالعلماء في تناولهم وتعاملهم مع أحداث الحياة. فقد دفع ذلك رأى في علم النفس إلى تصنيف نظرية كيلي بأنها نظرية معرفية من الطراز الأول، رغم أنها تهتم بما تهتم به النظريات الإنسانية والوجودية والظاهراتية[1].

إن الافتراض الفلسفي الأساسي في نظرية كيلي، أن كل الأحداث خاضعة لتكوينات بديلة، ولا توجد حقيقة مطلقة أو موضوعية تماماً، لكن هناك فقط طرق لتفسير الأحداث التي تفيد في زيادة فهمنا وقدرتنا على التنبؤ بأحداث المستقبل[2]. وهكذا فإن أهمية نظرية كيلي تتركز في افتراض أساسي هو أن الترابط النفسي بين العمليات الشخصية، يتم بواسطة الطرق التي من خلالها نتوقع الأحداث[3]،كما تتميز ببعض الاستثناءات التطبيقية عن النظريات الأخرى

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص٣٦٣.

٢- دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح – مرجع سابق – ص ٦٧.

٣- يقول كيلي: "في نظريتي يظهر مصطلح مثل التعلم بصعوبة على العموم، وهذا أمر معتمد بشكل كامل، حيث وضعناه جانباً، فلا توجد ذات ولا انفعالات ولا دوافع ولا تعزيز ولا شعور ولا حاجة، والقارئ هنا سينتابه أحساس بأن ذلك أمر محفوف بالمخاطر وينطوي على بعض المجازفة حتى لدى من لا تخيفهم الأفكار غير التقليدية عن الناس". وهو يؤكد على أن علم النفس مازال ناشئا صغيرا.

-Kelly, G.A: The Psychology of Personal constructs .New York. Norton. 1955. P. 47.

* يراجع بشأن المزيد من دراسات جورج كيلي:

-Kelly,G.A: The psychology of personal constructs (2Vols.) NewYork, Norton, 1963.
=

وقد صُممت نظرية كيلي[1] في علم نفس تركيبات الشخصية، للاهتمام بجانب محدد هو علم النفس الإكلينيكي، مع التأكد على مساعدة الأشخاص الذين يعانون مشاكل في علاقتهم مع الآخرين ليعيدوا بناء حياتهم من جديد. ومع اكتساب كيلي لمجموعة من الخبرات التي أثارت لديه عدداً من الأفكار الجديدة ساعدته هذه الأفكار على صياغة نظريته. كما أسهمت هذه الخبرات في تطور أسلوبه في مجال العلاج النفسي، وخلال هذه الفترة تحرر كيلي كلية من أفكار فرويد ومدخله في فهم الشخصية الإنسانية، وقد علمته خبرته الإكلينيكية أن الناس في الغرب ضحايا للجفاف والقحط والعواصف الرعدية والترابية والانهيار الاقتصادي أكثر من كونهم ضحايا للقوى الليبيدية[2].

أ ـ الطبيعة الأساسية للشخصية:

- **النشاط والتوقع (*Activity and Anticipation*)**: في حين غرق فرويد في تحليل واختزال المظاهر النفسية للشخصية إلى عمليات فسيولوجية، فإن كيلي يرى أن كلا النظامين (النفسي والفسيولوجي) إنما هم طريقين لفهم

= -*Clinical psychology and personality. Selected papers (Bmaher, Ed.) New York Wiley, 1969.*

-*A brief introduction to personal construct theory. In D.Bannister (Ed.) Perspectives in personal construct theory New York .Academic Press, 1972, a.*

-*Behavior is an pediment. Im D.Bannister (ED.) Perspectives in personal construct Theory. New York, Academic Press, 1970, b.*

١- ولد جورج ألكسندر كيلي في الثامن والعشرين من ابريل عام ١٩٠٥م في مزرعة بالقرب من بيرث *Perth* في كنساس، وكان الطفل الوليد الوحيد لأبوين شديدي التدين، ولم يفقد كيلي روحه القيادية التي اكتسبها خلال طفولته وأصبح شخص علمي جداً، كما تأثر باعتقادات والديه وعدد كبير من أعضاء الكنيسة فكان عازفاً عن الأعمال الشيطانية التي يقوم بها رفاق سنة، وقد التحق ببرنامج الماجستير في جامعة كانسس في مجال علم الاجتماع التربوي كتخصص عام، وفي العلاقات العمالية كتخصص دقيق وحصل على الماجستير عام ١٩٢٨م، وعلى الدكتوراه من جامعة ولاية أويا *U.S.A*

١- تُصنف نظرية كيلي في كتب علم نفس الشخصية تحت أنواع كثيرة من مجالات الشخصية البعض يصنفها ضمن النظريات الظواهرية *Phenomenologist*، البعض الآخر يصنفها كنظرية معرفية *Cognitive*، فئة ثالثة تصنف نظرية كيلي كنظرية وجودية لأنها تركز على المستقبل بدلاً من الماضي، الفئة الأخيرة تصنفها ضمن نظريات علم النفس الإنساني *Humanistic* لأنها تركز على الطاقة الإبداعية للناس. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ٣٦٨).

النفس الظاهرة، لذلك شعر كيلي بأن له الحق في استنباط نظرية نفسية خالصة للشخصية، وله ما يبرره في ذلك لأنه يجنبنا البحث في موضوعات شائكة كالدافعية، والتركيبات الثابتة كالغريزة والطاقة النفسية عن طريق تعريف الطبيعة البشرية بأنها (**نشطة بشكل طبيعي**). وبشأن طريقة تفكيره فقد اعتقد أن الحركة هي جوهر وأساس حياة الكائن البشرى، والشخص نفسه هو صورة من صور الحركة. لذلك فإن الجدل الدائر حول ما يجعل الجسم يميل لأن يظل ساكنا ثم يتحول إلى الحركة أصبح قضية منتهية[1].

- **الناس كالعلماء:** اتخذ كيلي العَالِم (***Scientist***) كنموذج لوصف البشر جميعاً، فقد لاحظ أن العلماء دائما يبحثون عن الوضوح وفهم حياتهم، بتطوير النظريات التي تساعدهم على التنبؤ بالأحداث المستقبلية، أو بمعنى آخر فإن الهدف الأساسي للعلماء، هو اختزال عدم الثقة أو عدم التأكد (***Uncertainty***)، ويعتقد كيلي أن كل البشر مثل العلماء يحاولون استجلاء وتوضيح حياتهم بنفس الطريقة، ولذلك فلا يوجد فرق حقيقي بين العالم واللا عالم، والحقيقة أن كل البشر مثل عالم النفس في الاهتمام بالمستقبل، واستغلال الحاضر لاختبار قدراتهم النظرية على توقع الأحداث للمستقبل.

ب ـ تركيب (بناء الشخصية):

التكوينات أو التصورات الشخصية (***Personal Constructs***) لتحقيق طموحاتنا الغائية (الهادفة) فنحن نتصرف مثل العَالِم في مجال البحث العلمي نضع نظريات مختلفة لفهم وربط متغيرات البيئة ونختبر افتراضاتنا في مقابل الواقع، ونبقى على أو نراجع هذه الفروض تبعاً لدقتها التنبؤيه. فكل منا يحاول استنباط وقياس تركيبات الشخصية بغرض التفسير والتنبؤ ومن ثم التحكم في البيئة، ونحن لا نستجيب فقط للعالم الخارجي ولكننا نفسره (ونركب مكوناته)، وسواء فعلنا ذلك بدقة أو بغير دقة فأن هذا التفسير المبتكر للواقع يضفي على الأحداث معنى ويحدد سلوكنا الناتج بعد ذلك[2].

١- دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح – مرجع سابق – ص ٦٨.

٢- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ٣٧٢.

ت ــ نمو الشخصية:

يرى ***Kelly*** أن التوجيه الزمني أمر جوهري وأساسي في دراسة الشخصية - مثله في ذلك مثل ***Murray***- وأنه يجب النظر إلى الحياة من منظور زمني إذا أردنا أن يكون لها معنى، ومع ذلك فأن مناقشته لنمو الشخصية سطحي نسبياً، فهو يرى أن كل طفل ينظر إلى والديه كضرورة لبقائه من خلال البناء ألاعتمادي (***Dependency Constructs***) الذي يربطه بهذه الظروف، وبسبب أهميته يستطيع الوالدين أن يفسدا أو يُضعفا قدرة الطفل على توقع المستقبل عن طريق جعله يتصرف بطريقه مرضية، فالتدليل الزائد يعلم الطفل توقع إشباع كل حاجاته بشكل دائم، كما أن الضغط الزائد الناتج عن العقاب يجعل الطفل يتصرف تصرفات متصلبة في مواجهة التركيبات القليلة المتشابهة بدلاً من تبنى طرقاً جديدة في التعامل مع البيئة(١).

* ***وتعد نظرية Kelly دعوة للمجازفة أو المغامرة كأنها تمرين كئيب*** وممل بتعبير جديد، كما أن الخواء العلمي الواضح في النظرية قد ألغى معظم الخصائص التي تبدو حيوية ومرتبطة بالكائن الحي مثل الحب والكراهية، العاطفة واليأس، النجاح والفشل، الوضاعة والطغيان.....وهكذا(٢).

وتشكل نظرية كيلي محاولة شجاعة لابتكار نظرية عقلانية للشخصية، رغم أنها تجاهلت أو قللت من شأن جوانب هامة في السلوك الإنساني، كما فشلت النظرية في التعامل بدقة مع المشاعر(٣). وقد أكد ***Mischel*** أنه منذ افترض كيلي أنه لا توجد حقيقة موضوعية ولكن يوجد فقط تفسير شخصي للحقيقة ومن المستحيل أن تكون التكوينات موضوعية، وقد افترض أن التكوينات استخدمت للتصنيف وليس للتنبؤ لذلك فإن السلوك الإنساني وفقاً لما سبق يعد أساسا تنبؤياً.

١- المرجع نفسه – ص ٣٨٩.

٢- لقد طابق كيلي بين الخبرة وصداها، كما أن رفضه لقبول مكون التعلم جعلته يبدو في الحقيقة متعسف وغير مقنع، فبعض النقاد اعتبروا أن تأكد كيلي على الجانب المعرفي كان متجاوز للحد ووجدوا أن من الصعب أن نربط أفكاره بالسلوك الإنساني الواقعي. (المرجع نفسه – ص ٣٩٨).

٣- دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح – المرجع السابق – ص ٧٥.

ثانيا- نظريات علم النفس الإنساني [القوة الثالثة]

[نظريات تحقيق الذات]

يعد كل من كارل روجرز، وأبراهام ماسلو من أكثر العلماء انتقاداً للنظــرة التشاؤمية لفرويد، فكلاهما يرى أن النفس البشــرية بنــاءه وخيــرة بطبيعتهــا الفطرية، وقد وصلت كلا النظريتين إلى هذه النظرة التفاؤلية عن الشخصية من اتجاهين مختلفين، ففي الوقت الذي كان من المتوقع فيه أن يهتم ماسلو بالســلوك غير العادي أو المرضى، فقد تحول إلى دراسة الأشخاص الأسوياء الأكثر قدرة على تحقيق التوافق، أما روجرز فيعد واحداً من اشهر المعالجين النفسيين، وتعد نظريته نتاج لجهده المتواصل في مجال علم النفس الإكلينيكي.

وسوف نقصر دراستنا في هذا النوع من نظريات الشخصية علــى نظريــة كارل روجرز التي تعد جزءاً من الإبداع الإكلينيكي والعلاجي في علم الــنفس المعاصر، حيث كان لنظرية روجرز ومدخله للإرشاد تأثير هام على الأطبــاء والمدرسيين ورجال الدين، ولعل أهم إنجازات روجرز هو اجتــذاب ممارســة العلاج النفسي لتدخل في دائرة الدراسات العلمية، والحث علــى البحــث فــي جوانب أكثر تعقيداً للسلوك الإنساني، وذلك من خلال نظرية الذات[١].

وقد اهتم روجرز في صياغته لنظريته بالشخصية الإنسانية ككل، دونما تركيــز على الوظائف الخاصة بالجهاز العصبي، كمؤشر في سلوك الإنسان فحسب.

١- نظرية تحقيق الذات (أبراهام ماسلو ١٩٠٨- ١٩٧٠م): فقد اتفق ماسلو مع روجرز حول الطبيعة الخيرة والبناءه للنفس البشرية، واعترض على تأكيد الكثيرين من أصحاب نظريات الشخصية علــى دراسة السلوك الشاذ مثلما فعل فرويد، واهتم أساسا بدراسة الأفراد المتوافقين والمحققــين لــذاتهم، ولذلك فقد توصل ماسلو إلى نظرية جديدة للشخصية لا يمكن اشتقاقها من دراسة المرضى فقط، ولكي يبرهن على أهمية السلام اهتم بدراسة الأفراد الأصحاء نفسياً. للمزيد بشأن نظرية تحقيــق الــذات (ماسلو) يراجع: دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- المرجع السابق- ص٤٣١ وما بعدها. دكتــور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح- المرجع السابق- ص ٦٠، وبالإنجليزية:

Maslow,A.H: Toward a psychology of being (2 nd ed) New York. Van Nostrand Reinhold,1968.

- Religion , Values, and Peak – expe riences – New York.Viking, 1970,a.
- Motivation and personality (2nd ed.) New York – Harper, Row 1970, b.
- The farther reaches of human mature .New York. Viking, 1971.

[أ] نظرية الذات *Rogres self Theory*

(كارل روجرز ١٩٠٢ - ١٩٨٧م)

يتشابه **Rogres** مع **Adler** وبعض الفرويديين الجدد، في اهتمامه بقضية التحقيق العلمي، وفي سنة ١٩٣٩ بعد حصوله على الدكتوراه في علم النفس أصبح روجرز معالج نفسي في المقام الأول[١]. إلا أنه قد تعرض لتحديات من جانب الأطباء النفسيين (السيكاتريين)، لأنهم كانوا يرون أنه لا يستحق أن يرأس عمل يتعلق بالصحة النفسية ما دام لا يحمل مؤهل طبي يؤهله لممارسة الإرشاد والطبي النفسي، ولكنه في النهاية انتصر عليهم وأسس مركز للإرشاد النفسي في جامعة شيكاغو، وحاز على تقدير كبير واُعترف بعلمه وجهده في مجال علم النفس الإكلينيكي. كما اشترك **Rogres** مع **Kelly** فيما قدماه من تصور أكثر وعيا وموضوعية للسلوك الإنساني، مقارنة مع غيرهما من النظريات الأخرى، واهتما في صياغتهما لنظريتهما بالشخصية الإنسانية ككل، دونما تركيز على الوظائف الخاصة بالجهاز العصبي كمؤشر في سلوك الإنسان فحسب[٢].

ويرتبط اسم روجرز بالاتجاه الإنساني في علم النفس، أو ما يعرف بعلم النفس الإنساني (***Humanistic Psychology***) مع ماسلو. وهو أيضا ما يعرف بالقوة الثالثة في علم النفس حيث يعارض مدرسة التحليل النفسي بنظرتها التشاؤمية، وتفسيرها كل سلوك البشر بالجنس والعدوان.

١- تكرر حياة روجرز الكثير من الأفكار التي رأيناها في حياة العلماء الآخرين من أصحاب النظريات مثل حب الكتاب، وتكريس الجهد العميق والمتأصل للعمل الشاق والتمرد ضد الممارسات الدينية المتحفظة التي تترك فيه أثر واضح، بالإضافة إلى التغير لمدة أو لأكثر من الأهداف المستقبلية. وقد ولد كارل روجرز في الثامن من يناير ١٩٠٢م في ضاحية أوراك بارك orak Park بالينويز أحدى مقاطعة ولاية شيكاغو، وكانت أسرته متدينة، وكانت عائلته هي المحيط الاجتماعي الوحيد له، وقد تعلم الكثير من والده، كما تعلم كيفية تصمم التجارب وربط الفروض بالاختبارات الإحصائية لها. وفى عام ١٩٢٩م اعد مقياساً للتوافق الشخصي عند الأطفال – كأحد مستلزمات رسالة الدكتوراه– مبنيا على استبصاره بالشخصية الذي اكتسبه من عمله في المجال الإكلينيكي. ومن مؤلفاته: الإرشاد والعلاج النفسي (١٩٤٢م)، العلاج المتمركز حول العميل (سنة ١٩٥١م)، الصيرورة إلى شخص (سنة ١٩٦١م)، حرية التعلم (سنة ١٩٦٩م).

٢- دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح– المرجع السابق– ص ٥٨.

أ - طبيعة الشخصية:

اتفق روجرز مع كيلي في ازدراءه ونفوره من مصطلح الاستعلاء لأدلـــر، وفى تصوره للمعالج النفسي ذو البصيرة النافذة أو العالم بالغيب الـــذي يعتمـــد عليه المريض بصورة سلبية في التفسيرات الهامة، وبدلاً من ذلك فقد أكد بأنـــه بإمكاننا- وبأنفسنا فقط- أن نتعرف ونختار اتجاهاتنا الصحيحة في الحياة[1].

- **التحقيق:** على حد تعبير روجرز فالإنسان يُستحث أو يندفع من خلال قـــوة إيجابية واحدة، وهي الميل الفطري أو الطبيعة لتنمية قدراتنا البنائية، والنمو بطرق أو أساليب تحافظ على أو تعزز النظام الكلي له. **ويقول روجرز فـــي ذلك:** (لدي القليل من التعاطف مع المفهوم السائد والقائل بـــأن الإنســـان لا عقلاني بصورة أساسيه، وأن اندفاعاته سوف تـــؤدى إلـــى تـــدمير ذاتـــه والآخرين إذ لم يتم التحكم فيها، وفي الحقيقة أن السلوك الإنساني عقلانـــي ومتقن ويتحرك بمهارة وتعقيد تجاه أهداف يسعى إليهـــا الكـــائن العضـــوي ويحاول تحقيقها فالأشخاص لديهم توجه ايجابي أصلا). مثل هذه الاتجاهات والميول المتأصلة لدى الكائن العضـــوي لتحقيـــق (Actualize) امكاناتـــه الكامنة الداخلية، تتضمن كل من خفض دوافع محددة كـــالجوع والعطـــش والجنس ونقص الأكسجين، والرغبة في زيادة المتعة والسيطرة أو الـــتحكم في البيئة. ويتضمن ذلك توجيه مظاهر النمو في سبيل تحقيق الذات.

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- مرجع سابق- ص ٤٠٧. ويراجع نظرية روجرز بالإنجليزية:

Rogers, C.R: Client – Centered Therapy: Its Current practice, implications, and Theory. Boston. Houghton Mifflin, 1951.

- A theory of Therapy , personality and interper sonal relation ships, as developed in the client- contered frame work, Ins. Koch (Ed.) psychology. A study of a science (Vol.3). New York Mc Graw – Hill, 1959.

-On becoming a person A Therapist 's view of psychotherapy , Boston .Houghton Mifflin 1961.

-Freedom to learn– A view of what education might become. Columbus, Ohio.Charles E.merril, 1969.

-In retrospect. Forty – six years. American psychologist .1974.

-Carl Rogers in personal power – New York delacort ,1977.

-Nuclear War. A personal response. American psychological Association Monitor, 1982.

ورغم ذلك لم يمنع التفاؤل النظري لروجرز من الاعتراف بوجــود قــدرة كبيرة لدينا لممارسة سلوك مدمر ووحشي وقاسي، ولكنه يرجع ذلك إلــى قــوة خارجية، أكثر مما يرجعها إلى قوة داخلية فطرية.

- **الحاجة للتقدير الايجابي:** يوجد لدى كل البشر عامة حاجة للشعور بالدفء، والحب والاحترام والتعاطف والتقبل من الآخرين، وتبقى هذه الحاجة للتقدير الايجابي (***Positive regard***) نشطه طوال حياة الفــرد، ولكنهــا تســتقل جزئيا عن اتصالات نوعية (أو محددة) بالآخرين. مؤديه إلى حاجة ثانويــة متعلمة هى التقدير الايجابي للذات (***Positive salf regard***).
- **الغائية (الفرضية):** في رأى روجرز أن السلوك لا يحدث بسبب شيء ما تم في الماضي، ولكن التوترات الحالية والحاجات الراهنة هى الوحيــدة التــي يحاول الكائن الحي خفضها أو إشباعها...... وهكذا فنظرية روجرز نظرية غائية أساسا، تؤكد على حاجتنا النشطة وكفاحنا الهادف نحو الإنجاز.

ب – تركيب الشخصية:

طالما أن التحقيق (جعل الشيء أمراً واقعياً ومحققاً) يشمل الكــائن الحــي بأكمله، فيرى روجرز عدم وجود ضرورة ملحة، في وضــع تركيبــات بنائيــة محددة للشخصية، ومع ذلك فإن نظريته غير مقدسة ولم يلتزم بها. فهو يشــارك هورني الاعتقاد بأننا غالباً ما نتعرض لصراعات نفسية داخلية مؤلمة.

- **الخبرة وعمليات التقييم العضوية:** يتفــق روجرز مع ألبورت وكيلي فــي أن الشخصية عملية منفردة نسبياً داخــل الفرد، فكلاً منا يوجد داخل مركز عالمه الخاص متغير دائماً من الخبرة الداخلية، والتي تتضــمن كــل مــن المجال التجريــي (***Experiential field***)، **والمجــال الظــاهري** (***phenomental field***)، ولا يستطيع أي شخص آخر أن يفهمه تماماً، والخبــرة ليست ذاتية فقط ولكنها أيضا غير معرفية إلى حد كبيــر، ولــذلك يصــعب فهمها من خلال الكلمات فقط. وهى تشمل كل شيء من المحتمــل تــوفره للوعي عند لحظة معينة، مثل الأفكار والإدراكات والحاجات والمشاعــر أو

العواطف، ومع ذلك فإن جزءاً صغيراً نسبياً من الخبرة فقط، هو الذي يعبر عنه في الواقع برموز يمكن تحديدها شعورياً، أما الأغلبية الباقية من الخبرة فتتكون من الظواهر التي ندركها على أنها تحت مستوى الوعي، ونسمح لها أن تبقى غير ممثلة برموز.

- **مفهوم الذات وتحقيق الذات:** في تطابق مع الدافع الفطري لتحقيق الـذات، يوسع الطفل من مجاله التجريبي بشكل نشط أثناء النمو ويتعلم إدراك ذاتـه، كوحـدة مستقلة ومنفصلة بشكل متميز. فمفهوم الـذات (***Self Concept***) بهذا الشكل شعوري تماماً. وهكذا تمثل الخبرة الذاتية جزءاً من قمة النافورة المتدفقة باستمرار، وتصبح بعض الميول لتحقيق الذات الآن موجهـة نحـو محاولة إدراك أهداف وقدرات يمكن تمثيلها من خلال مفهوم الذات، وهـذا الميل الهام يعرف بتحقيق الذات (***Self Actualization***)[1].

وطالما بقى المفهوم الشعوري المكتسب الذي نكونه عن أنفسنا، متطابق (منسجم ***Congruent***) مع خبراتنا العضوية الكلية فإن ميولنا لتحقيق الذات، تعمل فـي تناغم لإشباع قدراتنا الفطرية البناءة، ولسوء الحظ فالأمور نادراً ما تحدث بتلك البساطة، فمع نمو الذات وتطوره فإنه يتطلب دعماً في شكل تقدير إيجابي.

إن الذات في نظرية روجرز هى نموذج مـنظم للادراكـات والمشـاعر، والاتجاهات والقيم التي يؤمن بها الفرد على أنها ملكيتـه الخاصـة، وباعتبـار الذات تمثل الخصائص التي تميزني [انا] وما يخصني. وعليه فإن الـذات هـى المكون الأساسي للخبرة الكلية للفرد. وهناك مفهوم أضافي هام لنظرية روجرز وهو الذات المثالية وهى الصورة التي يحب الإنسان أن يـرى نفسه عليها[2]،

١- يعد كيرت جولد شتاين أول من أشار إلى مصطلح تحقيق الذات عام ١٩٣٩م. (دكتور/ محمـد السيد عبد الرحمن- مرجع سابق- ص٤١١). وقد وضـع ستيف ينسون Stephenson طريقة ليتـم استخدامها لوصف مفهوم الذات تعرف باسم (الانحراف الربيعي)، ويتم اسـتخدامها عـن طريـق الأستخبار، وهذا ما يتم استخدامه عادة في عملية البحث وتحديد الآثار الناجمة عن العلاج النفسي في نظرية روجرز للشخصية. (دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح - المرجـع السابق - ص ٦٣).

٢- المرجع السابق - ص ٦٠.

والشخص السوي هو الذي يصل إلى درجة متقاربة بين الذات والذات المثالية.

- **الدفاع (Defense):** أي خبرة مهددة للفرد تذكره بعدم الانسجام بين مفهوم الذات والخبرة من المحتمل أن تقاوم (defended) عن طريق التشـويه أو في أحيان أقل بأخفاءها كلية عن الوعي.

ومثل أدلر انتُقد روجرز لمبالغته في التفاؤل. ووجهة نظره التـي تتصـف بالاختصار والتبسيط حول الطبيعة البشرية. كما أنه يرى أن مساعدة الطاقـات الداخلية للوصول إلى درجة تحقيق الذات تعد مرغوبة فقط إذا كانت المستويات العميقة في الشخصية في الواقع سوية وبناءه، مما يجعل مـن المشـكوك فيهـا وجود سلام وتعاون متأصل أو فطرى[1]. وأن اشتراك الإنسان فـي الحـروب والجرائم والسلوكيات التدميرية يرجع إلى تشرب المعايير اللاسوية، والشـروط المرضية للأهمية. بالإضافة لذلك أن الميل للتحقيق أصبح أكثر غموضا إذا مـا قورن ببعض التركيبات الدافعية مثل الغرائز عند فرويد، والسمات عند البورت والحاجات عند موراي، كما أن العديد من المعالجين النفسيين، لا يتفقون حـول الأهمية المطلقة للأصالة والتعاطف والاعتبار الايجابي غير المشروط[1].

لقد اعتمدت نظرية روجرز اعتمادا مطلقا على العمليات المعرفية الشعورية مع إهمال الجوانب اللاشعورية، رغم ما يؤخذ على العمليات الشعورية، نظـرا لأن الشخص يكون تحت تأثير توقعات الباحث، أو المؤثرات الاجتماعية وهـو يُجري تقارير الذات، إضافة إلى أن الشخص نادرا ما يكون ملم بكـل الحقيقـة عن نفسه[2]. وبالرغم من تأكيد روجرز على أن نظريته قابلـة للتطـوير فـي ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، إلا أنه لم يغير كثيـرا فيهـا، وعلـى مـدار العشرين سنة التي سبقت وفاته (عام ١٩٨٧م). **وفي النهاية** فقد كـان لنظريـة روجرز ومدخله للإرشاد تأثير هام على الأطباء والمحليين ولعل أهم إنجازاتـه الحث على البحث في جوانب أكثر تعقيدا في السلوك الإنساني.

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ٤٢٨.

٢- دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح – المرجع السابق – ص ٦٦.

ثالثاً- نظرية علم النفس الوجودي [رولو ماي]:

مع تقدم القرن العشرين إلى نهايته أصبح يواجه علماء النفس والمعالجين النفسيين ظاهرة محيرة، حيث أصبح التمسك بالعادات والأعراف الاجتماعية أقل مما كانت عليه في عصر فرويد ــ وخاصة ما يتعلق منها بالناحية الجنسية ــ ونظرياً فإن إطلاق الحريات بهذا الشكل يجب أن يساعد على تخفيف الاضطرابات الناتجة عن الصراع بين الهو والآنا الأعلى، ومن ثم خفض احتمالية حدوث المرض النفسي. إلا أنه من الملاحظ ــ فعلياً ــ تزايد أعداد الأشخاص الذين يسعون في طلب العلاج النفسي. وهم يحاولون أن يجدوا إجابة على سؤال يتردد في أذهانهم هم: كيف يمكن التخفيف من مشكلة عدم وجود معنى واضح لحياتهم ؟

وقد حاول بعض المنظرين حل هذه القضية كما سبق وعرضنا في النظريات السابقة التي تفسر تكوين الشخصية، ومن ضمن النظريات ما جاء به المعالجين النفسيين من البحث عن فلسفة غائية وشاملة للطبيعة الإنسانية وهي ما تعرف بالوجودية (***Existentialism***)(*).

وتهتم الوجودية بعلم الكينونة أو علم الوجود (***Ontology***)(**)، فالوجوديون يعتبرون الشخصية ككل موحد ولا يمكن فصلها عن البيئة الطبيعية والاجتماعية لها، وهم يشاركون أدلر في وجهة نظره التي تؤكد على ضرورة اختيارنا لمسارنا الخاص في الحياة. كما يشاركون ماسلو وروجرز التأكيد على ضرورة

(*) حاول بعض العلماء حل قضية الإجابة على سؤال فلسفي هام هو: كيف يمكن التخفف من مشكلة عدم وجود معنى واضح لحياتهم ؟ هذا السؤال يتردد لدى من يعانون من مشاكل نفسية جديدة وغير مألوفة مثل العجز عن التمتع بحرية التعبير عن الذات، والشعور بالفراغ الروحي، والاغتراب عن الذات... فضلا عن أعراض أخرى واضحة. وقد حاول علماء النفس حل ذلك في أطار علمي تحليلي مثل مفهوم أزمة الهوية عند إريكسون، ومفهوم أريك فروم عن الهرب من الحرية

(**) علم الوجود: هو علم يبحث في ما الذي يعنيه وجودك ككائن بشرى غريزي في فترة عشوائية سريعة بالنسبة للخلود الأبدي، وفي ركن عشوائي صغير في عالم شاسع بلا نهاية، فالوجوديون يعتبرون الشخصية ككل موحد، ولا يمكن فصلها عن البيئة الطبيعية والاجتماعية لها. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق – ص ٤٦٢).

اكتشاف قدراتنا الفطرية وإنجازها، ويشاركون ألبورت وجهة نظره من أن الشخصية دينامية ومتغيره باستمرار، ويؤكدون مثل فورم على تفردنا في تحمل الألم، ولكي نبصر بوضوح حتمية الموت فنحن مضطرين لجمع شجاعتنا، وتأكيد وجودنا بالرغم من الفناء الحتمي الذي ينتظرنا، وربما حتى في الدقيقة التالية مباشرة.

ومن علماء علم نفس الوجودية[1] فرانكل وألينبرجر، رولو ماي الذي كان تعارض فكره مع التحليل النفسي نقطة تحول هامة في حياته، وخاصة في نهاية الثلاثينات من عمره، ونتيجة لمرضه في ذلك الوقت بدرن رئوي قضى ماى الكثير من الوقت المقلق (الحرج) في القراءة وحقق اكتشافاً مدهشاً، حيث كان لقاه العميق الكثير ليفعله مع الفزع من العدم كما وصفه بعض الوجوديين كير كجارد ***Kier Kegaard*** أكثر من التعامل مع تركيبات ميكانيكية ومتيافزيقية مثل مفهوم الليبدو، وشفى ماى من مرضه ولكن توجهه للتحليل النفسي انتهى، وكرس حياته المهينة التالية للبحث عن الأسس الوجودية للشخصية[2].

أ ــ طبيعة الشخصية:

وجودك في العالم (*Being in The World (Dasein: لكل منا حاجته

١- لقد بدأ المدخل الوجودي للعلاج النفسي على يد اثنين من الأطباء النفسيين السويسريين، هما بينسوينجر، وبوس *Binswanger, L , Boss , M.* اللذان أوقفت كتاباتهما عن صعوبات في الفكر للقارئ الأمريكي المتأمل.

٢- ولد رولو ماى في٢١ ابريل عام ١٩٠٩م في آدا *Ada* لولاية أوهايو الأمريكية، وقضى معظم طفولته في مدينة مارين *Marine* بولاية ميتشجان، وقد حذا حذو إريكسون حيث جاب العديد من المدن الأوربية كمعلم وفنان متجول، وخلال هذه الفترة التحق بالمدرسة الصيفية لألفرد أدلر، وأعجب بعمله ولكنه اعتبره مبسط إلى حد ما. وفى عام ١٩٣٨ بدأ في معرفة الفكر اللاهوتي لأول مرة. وتصل مؤلفاته المنشورة لحوالي اثنتا عشر كتاباً كان أكثرهم رواجاً كتابه الحب والإرادة *Love and Will* الذي نشره لأول مرة عام ١٩٦٩م، بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات، ولكن يعد الفصل الذي كتبه في كتاب بعنوان الوجود *Existence* والذي حرره هو وانجل والينبرجر ١٩٥٨ م، وكتابه علم النفس الوجودي *Existential* الذي صدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٦٩م المصدران الأساسين عن علم النفس الوجودي في نظرية ماى. (د/ محمد السيد عبد الرحمن- المرجع نفسه – ص ٤٦٣).

(*) تتكون *Dasein* من مقطعين Da –There، sein وتترجم إلى الوجود أو الحضور الوجودي.

الفطرية التي تدفعنا جميعاً للعيش في العالم الذي ولدنا فيه، ولتحقيق إحساسنا الواعي أو غير الواعي (اللاشعورى) بأنفسنا كوحدة غريزية مستقلة، وكلما قوى وجودنا في هذا العالم كلما أصبحت شخصيتنا أكثر سوية، على أية حال فإن إثبات الشخص لوجوده وإنجازه لجهوده الداخلية يتطلب جهدا مستمرا وشجاعة، كما أن اختيارتنا وتمتعنا بحياة لها معنى إنما يتحقق من خلال إثبات وتأكيد وجودنا في هذا العالم، حتى في مواجهة الأعراف الاجتماعية والتكيف مع الضغوط، والمعايير الوالديه غير الرشيدة، وتهديد الموت نفسه.

- **صور (نماذج) وجودنا في الكون *Modes of Being in The World*:**

  يشمل وجودنا الدينامى في الحياة ثلاثة نماذج متداخلة العلاقة في نفس الوقت أو مناطق نشاط ***Vegions*** :

١- العالم الخاص *Umwelt*: عالم الموضوعات الداخلية والخارجية الذي يشكل بيئتنا النفسية والعضوية، وتعني في الأدب الوجودي (العالم من حولنا ـ ***World around***).

٢- عالم المجتمع *Eigenwelt*: العالم الاجتماعي للآخرين، وتعنى في الأدب الوجودي (مع العالم ***With – world***).

٣- علاقة الإنسان بنفسه *Eigenwelt*: العالم السيكولوجي لعلاقة الفرد مع ذاته وجهوده وقيمه الخاصة، وتعنى في الأدب الوجودي العالم الخاص.

وفي حين يفضل بعد أصحاب نظريات الشخصية التركيز على أحد هذه النماذج، يرى علم النفس الوجودي ضرورة التركيز على النماذج الثلاثة بنفس الدرجة، حتى يتحقق لدينا فهم حقيقي للشخصية الإنسانية[١]. **فالعالم الخاص** هو النموذج الذي أهتم به فرويد بالإضافة إلى البيئة الطبيعية المحيطة بنا، أنه يُضمن

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع نفسه – ص ٤٦٥. ويراجع بشأن الفكر الوجودي:

May, R.:The origins and ignificance of the existential movement in psychology in R.May, E.Angel,

- H.F. Ellenberger (EDS) Existence: Anew dimension in psychiatry and psychology, New York. Basic Book, 1958.

- The emergence of Existential psychology. in R.May (Ed.) Existential psychology (2 nd ed. New York .Random House, 1969 a. =

نظريته حالة الحاجة التي يوضع فيها كل شخص بمجرد مولده كالجوع والعطش والنوم وغيرها. **أما عالم المجتمع** فتندرج تحته حاجتنا الفطرية لتكوين علاقات شخصية، بغرض تحقيق المصلحة الخاصة وليس بغرض التسامي ببعض دوافعنا، ولا يستطيع أي فرد فرد تحقيق وجود ذات معنى وهو في عُزلة. **أما علاقة الإنسان بنفسه** فهي العالم المتفرد للانسان المتضمن الوعي بالنفس ***self awareness*** . كما في نظرية روجرز، أو معرفتنا بأننا مركز وجودنا وادراكنا لجهودنا الخاصة، وهذا النموذج يتضح عندما نحكم بدقة على ما نفعله أو ما لا نحبه، أو ما نحتاجه أو نقيم خبرة شخصيه.

- **اللاوجود والقلق (*Nonbeing and Anxiety*)**:على الرغم من تداخل المظاهر الشخصية الذاتية والموضوعية بشكل معقد، إلا أن هناك حقيقة مطلقة عن وجودنا في هذا العالم، وهي الموت (***death***) الذي لا يستطيع أحد منا أن يهرب منه أطلاقا، إن وجودنا القصير في هذا العالم ربما ينتهي في أي لحظة، بسبب الأقدار التي يصعب التنبؤ بها (كحادث سيارة أو رصاصة مجرم أو زلزال أو حريق أو فيضان أو أزمة قلبية)، وإن وعينا بالنهاية الحتمية لكينونتنا، والتحطم السيكولوجي الوشيك القائم على الرفض والإهانة يثير شعوراً مؤلماً بالقلق.
- **فالقلق هو إدراك** تهديد لبعض القيم التي يعتبرها الشخص جوهرية لوجوده، أنها حالة ذاتية يدرك الفرد فيها أن وجوده يمكن أن يتحطم، وأنه يمكن أن يفقد نفسه وعالمه، وانه سوف يصبح عدم ***Nothing***.

ولا يرجع ***May*** القلق لبعض الصراعات النفسية الداخلية أو لخطر خارجي، ولكنه يُرجعه إلى التصادم الأساسي أو الجوهري، بين الوجود والتهديد بعدم

- *Love and Will .New York - Norton, 1969 b.*
- *Power and innocence Aseach for the sources of violence. New York .Norton, 1972.*
- *The courage to create . New York .Norton .1975.*
- *Reflections and commentary. in C.Reeves, The psychology of Rollo May. San Francisco –Jossey – Bass.1977 b.*
- *Freedom and destiny. New York . Norton, 1981.*

الوجود (الفناء)، ومن الطبيعي أن يكون هناك درجة محدودة من القلــق، فهــذا شيء عادي لأن ذلك من طبيعة البشر. **ولكي نفهم ما نعنيه بالوجود،** فإننا فــي حاجة لأن نفهم حقيقة أنه من المحتمل أن نختفي مــن الوجــود، ولا يمكــن أن نهرب من حقيقة أن الموت قادم مستقبلا في لحظة غير معروفة لنا، وبدون هذا الوعي باللاوجود (العدم)، فإن الوجود سيكون عديم القيمة غير حقيقي (زائف).

- **اللامعصومية والشعور بالذنب (*Fallibility and Guilt*):** لا يوجد منــا أحــد لم يتعامل بعناية مــع النماذج الثلاثة للوجود في هــذه الحياة، نحاول وربما تفشل اختياراتنا بشكل محتوم يتعذر اجتنابه، على الأقل فــي بعــض جهودنا الفطرية (إنكار علاقة الإنسان بنفسه) والتعاطف الكامل مع الآخرين أمر مستحيل، حتى أصحاب النوايا الحسنة أحيانــاً يرتبطــون بــالآخرين بطرق متميزة وغير مُرضية أو غير مشبعة (إنكار عالم المجتمع).

كما أنه من السهل أن نبالغ في مشاركتنا للطبيعة والبيئة من حولنا، ونســئ إدراك ذاتنا كشيء بارز ومنفصل عن العالم الخاص بنا عموماً. مثل هذا الفشل الحتمي الذي لا مفر منه يثير عندنا الشعور الوجودي بالــذنب وهــو المظهــر الطبيعي والضروري الآخر (بعد القلق) للطبيعة البشرية.

- **القصد والدلالــة (*Intentionality and Significance*):** على العكــس من ***Freud*** فإن ***May*** ينسب أهمية كبيرة لكل من الوجود والجبرية(*)، أو الحتمية السيكولوجية (***Psychic determinism***)، فنحن مدفوعين إلى حد ما ببعض القوى التي لا سيطرة لنا عليها منذ المهد أو الطفولة، ولكــن الآن لدينا أيضا الحرية والمسئولية لكي نكافح من اجل الأهداف التــي نختارهــا لأنفسنا. لقد كان فرويد على حق في اعتبار أن هناك أسباب حتميــة ثابتــة تؤدى إلى العصاب والمرض العقلي، ولكنه كان مخطئا في محاولته تعمــيم هــذا المفهوم علــى كل الخبرات الإنسانية، فهناك أيضا الإحساس بوجود

(*) الجبرية أو الحتمية تعدل الإيمان بالقضاء والقدر، وهى الاعتقاد بان أفعال الفــرد والتغيــرات الاجتماعية هي ثمرة عوامل لا سلطة للمرء عليها.

هدف، وهو ما يجعل الفرد ينفتح على احتمالات مستقبلة عديـدة ويضـيف عناصر المسئولية والحرية في حياته(*).

هكذا فالفرد السليم نفسياً يستطيع أن يتخيل بعض ما هو مرغـوب فيهـا مستقبلاً، ثم ينظم للتحرك في هذا الاتجاه، وهذه المقدرة يعرفها ماى بالإرادة أو القصد، في الحقيقة أن الإحساس الواعي واللاواعي بالغرض، يتخلل كل نواحي وجودنا مثل الإدراك والتذكر وغيرها، وكما في نظرية أدلر أن مـا نحـاول أن نكون عليه بشكل ما نتذكره من طفولتنا، فالذاكرة دالة القصد وبهذا الإحسـاس فالمستقبل يحدد الماضي. ويعتبر ***May*** أن فقدان القصد أو الغاية من السـلوك يمثل أهم مظاهر السيكوباثولوجي في عصرنا الحالي. أو كما يقول ***May*** :

" إن جذور العصاب في الإنسان المعاصر هو عدم إحساسه بالمسئولية، وعـدم قدرته على تشكيل إرادته واتخاذ قرار يخصه "(٢).

- **الحب والرعاية (*Love and care*)**: يعد الحب أحد الطرق البناءه نسـبياً لإثبات أو تأكيد الحضور الوجودي، كما توجد خصائص وجودية أخـرى، فالحب هو الإحساس بالسعادة في وجود الشخص الآخر، والتأكيد على قيمته ونموه بنفس الدرجة التي يرغبها الإنسان لنفسه. ويتضمن الحب دائما أربعة مكونات قد تختلف نسبة كل منها، لكن لابد من وجودهم مجتمعين في الفرد:

ــ **الجنس (*Sex*)**: كما في نظرية فرويد فإن حاجتنا للجنس يتم إشـباعها مـن خلال الالتقاء الجنسي، وخفض الدافع.

ــ **الايروس (*Eros*)**: هو المكون الثاني الذي يعد أقرب ما يكون للحب العذري حيث يتميز بالرغبة والالتحام بالمحبوب، والايروس على العكس من الجـنس، حيث يتضمن زيادة الإحساس بالسعادة بمجرد التفكير والشوق إلى الحبيب.

ــ **الانجذاب والقرب من الآخرين (*PhiliA*)**: المكون الثالث للحب الـذي لـم يوليه ***May*** سوى القليل من الاهتمام، ويتضمن الصداقة والجاذبية للغير.

(*) في الواقع اننا نستطيع أن نفهم الطبيعة البشرية لشخص نعرفه فقط، عندما نرى ونتعرف علـى أهدافه (ما الذي يتحرك نحوه)، وما الذي أصبح عليه (ما حققه بالفعل).

- *May, R: OP, Cit., 1969 a.*

1- May, R: OP, Cit., 1972.

ـ الإخلاص تجاه الشخص الآخر (*Agape*): ويشبه مفهوم فروم عن الحب.

- صراع الخير والشر (*The Daimonic*)[1]: في حين يرجع الميل إلى التخريب والتحطيم في جزء كبير منه إلى الإحساس بالعجز، الذي ينتج من فقد الحضور الوجودي، فإن ماى شأنه في ذلك شأن يونج وموراى يستنتج أن الإنسان تدفعه دوافع فطرية قد تكون خيرة أو شريرة، ومن مظاهر الدوافع الخيرة (الجنس والعاطفة والايروس والتكاثر)، في حين تتضمن الدوافع الشريرة (العدائية والحدة، والغضب والقسوة، وسوء استخدام القوة والنفوذ)، وأي من هذه الصفات قد يكون لها الغلبة، وتسيطر على نوازع الشخصية فتحيلها إما إلى شخصية خيرة أو إلى شخصية شريرة.

ب ـ تركيب الشخصية:

تتبنى السيكولوجية الوجودية النظرة التكاملية للشخصية، بحيث تعتبر أن الشخصية هي مجموع ما تحتويه من حضور وجودي، وقلق وشعور بالذنب، وحب... وغير ذلك. فهي غير متوجهة أو مهتمة بإبراز إسهامات الخصائص الوجودية في تلخيص التركيب البنائي للشخصية لأنها تهتم بالمدخل التكاملي. ويوافق ماي على أهمية العمليات اللاشعورية وحيل الدفاع النفسي (كالكبت والتبرير والإسقاط والعزل- فصل المشاعر عن الإحداث- ورد الفعل العكسي)، ولذلك فهو يرى- ***May*** - أن أفضل نتاج فكرى لفرويد هو نقله فلسفة سقراط (اعرف نفسك ***Know Thysalf***) إلى أعماق وآفاق جديدة شملت مجال اللاشعور، ولكنه لم يغطى بتفسيره هذه المساحة الواسعة من الدوافع والسلوك، ولذلك اضطر إلى تفسير سلوكيات مثل أنجاب الأطفال وممارسة الجنس، وعقد الصفقات والتخطيط للحروب، كلها كنتيجة للرغبات اللاشعورية والقلق.

ت ـ نمو الشخصية:

يرى ***May*** أن النمو السوي لشخصية الطفل يمكن أن يُعاق نتيجة التصرفات

١- وقد أطلق ماي على هذا الأمر مصطلح (الديمونك) أو صراع الخير والشر (*Dainamic*) وهى كلمة يونانية قديمة تشير إلى الصراع بين الكاهن *Divine* والشيطان *Diabolical*. وصراع الخير والشر يبقى دائما لا شعوريا. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – مرجع سابق – ص ٤٧١).

الخاطئة من الوالدين، فإحساس الطفل برفض والديه له يجعلـــه يتجاهــل عـــالم المجتمع وينسحب خجلاً من الآخرين، وخاصة إذا كانت مشاعر الآباء بالرفض مغلفة بالحب والاهتمام، كما أن منع الطفل من التعبير التلقائي عـــن مشـــاعره وإرادته تؤدى إلى رغبة عصابية للبحث عـــن الأمـــان، ويضـــحى بحضـــوره الوجودي في سبيل الظهور بشخصية مطيعة وملائكية السـلوك والمظهـــر. إن سيطرت الأب على الابن وعدم إعطائه إلا القليل من الحب الحقيقي، ثم محاولة تخفيف الإحساس بالذنب إزاء الابن عن طريق الإغراق بالهدايا، يؤدي بـــالابن إلى تكوين رغبة للثأر من العلم بأكمله، أما الأب الذي يستجيب لجميع طلبـــات الابن فإنه يمنعه من تكوين شخصية سوية، لافتقاده التفاعل الطبيعي مع سلطانه.

ولم تسلم نظرية *May* (علم النفس الوجودي) من الانتقادات التي وجهت إليها ونالت من أفكارها، مثل تفسيراته الغامضة لأسباب وديناميات العصاب[1]:

- **التدخل والتنـــاقض:** لقد فشل ماى في التعريف ببعض مفـــاهيم نظريتـــه أو توضيح الارتباط بينها بشكل فعال، كما كانت تفسيراته لأسباب وديناميـــات العصاب غامضة كثيراً إذا قورنت بالنظريات الأخرى.
- **الافتقار إلى الاصالة:** انتُقد ماى لاعتقاده أن مصطلح القصدية هـــو إضـــافة راديكالية جديدة للفكر السيكولوجي رغم أنه قدمه عام ١٩٦٩م بعد ما يزيـــد على عشرات السنوات من التوجه الوجود لأصحاب نظريات أخـــرى مثـــل أدلر ويونج وألبورت، كما عالج ماى مفهومه عن القوة والسذاجة بطريقـــة مماثلة لمفهومي أدلر عن التعالي وعقدة النقص.
- **الافتقار إلى الدقة العلمية:** على خلاف ماى، فان العديد من علماء الـــنفس المحدثين ينظرون إلى الاندماج العميق لأي شخص في مجال البحث العلمي لذاته يعد مصدر خطير لانحراف الجهد أو الطاقة، كمـــا يميـــل مـــاى لأن يعطى تعميمات قد تكون غير مقبولة، كما تتميز كتاباته بالميل إلى الـــوعظ كطابع مميز له وهى نفس نغمة فروم.

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- المرجع نفسه- ٤٨١، ٤٨٢.

رابعاً ـ نظرية عوامل الشخصية [ريموند كاتل]:

تعد طريقة كاتل في دراسة الشخصية طريقة متعمقة ولكن يشوبها شيء من الغموض، فمؤلفاته العديدة يصعب فهمها حتى لو درست من اغلب علماء النفس، ويؤكد كاتل على أنه لا ينبغي لعلم النفس أن يبتعد عن الموضوعية الإحصائية، إن أراد أن يكون علماً ناضجاً، ولذلك فقد أسس أبحاثه العديدة عن أبعاد وسمات الشخصية على التقنية الإحصائية المعقدة، والمعروفة بالتحليل العاملي والتي حملت نظريته ومسماها [نظرية عوامل الشخصية].

ومثل كل أصحاب النظريات الأخرى الذين يؤكدون على طريقة التحليل العاملي فإن كاتل(*) مدين للأعمال الرائدة لكل من سبيرمان وسارثون، كما أن صياغته النظرية ترتبط بوليم ماك دوجال، الذي كان له اهتمام أكيد باستكشاف الأبعاد الأساسية للسلوك، وتأكيده على عاطفة تقدير أو احترام الذات. كما أن الكثير من تفاصيل نظريته وخاصة التي ترتبط بنمو الشخصية، ترتبط بصياغة فرويد والتحليليين التابعين. وخلال أربعون سنة ألف كاتل عدد كبيراً من الكتب حوالي (٣٠) كتاب و (٣٥٠) مقالة علمية لا تقتصر على بحوث ودراسات الشخصية، ولكن أيضا تتطرق إلى مجال علم النفس الاجتماعي والتجريبي(١).

أ ـ المنطق العام للتحليل العاملي:

يذهب كاتل إلى أن دراسة الشخصية مرت بمراحل انتقالية هامة، بدأت بالأفكار الفلسفية والأدبية التي وردت في كتابات الفلاسفة، قبل أن يتبلور علم

(*) ريموند بارنارد كاتل (Cattell.R.B): ولد في ستا فورد شاير بانجلترا عام ١٩٠٥م، وكانت طفولته سعيدة ومليئة بالأنشطة، وقد حصل علي درجة الدكتوراه الفلسفة في علم النفس من جامعة لندن عام ١٩٢٩ تحت إشراف سبيرمان عالم النفس الشهير، وقد انتقل إلى جامعة هارفارد كأستاذ مساعد بها عام ١٩٤١، وتقاعد عام ١٩٧٣، ومنذ ذلك التاريخ عمل كأستاذ زائر بجامعة هاواي.

١- راجع من مؤلفات ريموند كاتل:

- Cattell, R.B: Personality and social psychology. san Diego: Knapp, 1964.
  the Scientific and Lysis of personality, London. Penguin, 1965
  Personality and mood by question naire. San Francisco. Jossey Bass, 1973.
  Cattell,R.B.,Kline,P:The Scientific and Lysis of Personality and motivation, New York. Academic Press.1976.

النفس بصورته الراهنة(*). ويقوم المنطق العام للتحليل العاملي على قانون الإيجاز العلمي في البحث عن الوحدات الأساسية في الشخصية التي يجمعها عوامل مشتركة بحيث تعطى هذه العوامل تفسيراً أفضل للسلوك(**).

ـ **الجدل المنهجي:** يعطى التحليل العاملى قيمة كمية في دراسة الشخصية، وليس مجرد قيمة وصفية فقط نظراً لأن الوصف الظاهري مضلل ومثير للجدل وأقل موضوعية. ورغم ذلك يثير التحليل العاملي بعض مظاهر الجدل المنهجي والذي منه: المتغيرات أو القضايا المُدخلة (***Imput Problems***)، والقضايا الرياضية، وتسمية العوامل، والأخطاء الإجرائية(***).

(*) من المراحل الانتقالية لدراسة الشخصية بعد مرحلة الأفكار الفلسفية والأدبية **المرحلة التجريبية** على يد فونت في القرن التاسع عشر الميلادي، ثم **المرحلة الإكلينيكية** التي اعتمدت على الطرق الأسقاطية، وافتقدت إلى التجريب والقياس الأحصائي ومن روادها فرويد وأدلر ويونج، ثم تأتي المرحلة الأخيرة التي يُعد من روادها كاتل وإيزنك وألبورت، والتي يلجأ الباحثين فيها إلى الاتجاه العلمي القائم على **القياس والتحليل الأحصائي للشخصية**، حيث يعتمد كاتل على التحليل العاملى لفئة كثيرة من سمات الشخصية بعد القياس الموضوعي والمتعمق لهذه السمات. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن - المرجع السابق- ص ٤٨٨).

(**) من بين الدراسات التي اتبعت منهج التحليل العاملى دراسة لكاتل ١٩٥٧ حيث طبق عدداً كبيراً من الاختبارات، ولاحظ سلوك الناس في مواقف عملية وانتهى إلى تحديد (١٥) سمه ثنائية ***Bipolar*** حيث وجد أن كل سمة عامة يندرج تحتها طائفة من السمات الجزئية الفرعية التي تترابط وأيها. ويقصد بالسمة الثنائية تلك السمات التي لها طرفان كالانطواء والانبساط. ويعتبر كاتل **Cattell** أن هناك أربعة عشرة سمة متميزة في الشخصية من الممكن قياسها بدقة تشابه الدقة الموجودة في قياس الذكاء، ومن هذه السمات السيطرة يقابلها الخضوع، ثاقب الفكر يقابلها الشخص الساذج، ولقد حاولت نظرية التحليل العاملي أن تتلافى أوجه النقص البارزة في نظرية السمات وذلك برد كثرة المتغيرات إلى قلة من الوحدات تضم كل واحدة منها مجموعة من السمات التي ترتبط فيما بينها ارتباطاً عالياً. وقد نقد العلماء هذه النظرية وذهبوا إلى أن التحليل العاملى قد انتهى. (راجع: دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى - مرجع سابق - ص ٣٠٢ وما بعدها، وأيضا: دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح - مرجع سابق- ص ٨٥).

(***) **المتغيرات المتداخلة:** هي متغيرات التي يختارها الباحث ويدخلها في مصفوفة الارتباطات. **والقضايا الرياضية:** مثل تجانس العوامل المستخلصة مع العينة حتى تكون منظمة وواضحة. **تسمية العوامل:** عند التداخل بين المتغيرات في العامل الواحد تكون الصعوبة في تسمية هذه العوامل. **الأخطاء الإجرائية:** هي التي تظهر في الدراسات التي تعتمد على الرياضيات.

ب ــ الطبيعة الأساسية للنفس البشرية:

يعرف كاتل الشخصية بأنها: " هي تلك التي تتيح لنا التنبؤ بما سوف يفعلــه الشخص في موقف ما ". ويشارك كاتل ألبورت الرأي في وصف الخصــائص، التي لها القدرة على التنبؤ، وتتميز بالثبات النسبي في مصطلح السمات ***Traits*** **ولكن يختلف كاتل عن ألبورت في أربعة اعتبارات هامة هي:**

- أن العناصر الأساسية في الشخصية وهى سمات المصدر ***Source Traits*** يمكن استنتاجها فقط من خلال التحليل العاملى.
- اعتبار أن بعض السمات الفريدة، مع كثير من السمات الأصــلية العامــة، يشتركان في تحديد الاختلافات بين الأفراد.
- أنه أكثر ايجابية في ميله تجاه نظرية التحليل النفسي.
- كان أكثر تمييزاً بوضوح بين الدوافع والاعتبارات التركيبية للشخصية.

ــ السمات الدينامية (*Dynamic Traits*):

- **الدفعات الفطرية (*Ergs*) والعواطف والاتجاهات:** مثل كل مــن ألبــورت وموراي ينظر كاتل إلى الدوافع على أنها ضرورية لدراســة الشخصــية، فالسلوك الإنساني ينشط ويوجه نحو أهداف معينة نحو الســمات الديناميــة، وبعض هذه السمات فطرية والبعض الآخر مكتسب نتيجة التفاعل مع البيئة، ولكنها تسهم في تحديد لماذا نفعل ما نفعله ؟ ***Why we do what we do***
- **ويرجع كاتل دوافعنا الفطرية إلى الدفَعات الفطرية (*Ergs*)[1]:** وتتضــمن السمات الدينامية المكتسبة من البيئة أنماط عامة من السلوك مثل العواطــف وسلوكيات وميول أكثر تحديداً مثل الاتجاهات، والهدف الأساسي لهــا هــو اختزال حدة التوتر الناتج من الدفَعات الفطرية، وقــد أرجع كاتــل العلاقــة بين الاتجاه والعاطفة والدفَعات الفطرية إلــى ما يسمــى بسلاسل التبعية[*]،

١- الدفعات الفطرية *Ergs*: مشتقة من الكلمة اليونانية *Ergon* وتعنى العمل أو الطاقة.

(*) على سبيل المثال: فإن الاتجاه نحو رغبة كامنة أو علنية لنظام قوى من الدفاع عن الوطن، ربما تكون ثانوية لعاطفة الوطنية وحب الوطن، والتي تكون هي الأخرى ثانوية للامان كــدافع فطــرى. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- المرجع السابق- ص٤٩٤).

حيث أستعار هذا المصطلح من نظرية موراي. ويذكر هول وليندزي أن الطريق الذي يتبعه الفرد في محاولات للوصول إلى هدف فطري ***Ergic*** لا يكون دائما مباشرة، ويطلق كاتل على العملية التي يتم بها هجر طريق مباشر يوصل إلى الهدف، إلى طريق آخر اقل مباشرة اسم الدوران الطويل(١).

ت ــ تطور الشخصية:

على العكس من بعض أصحاب نظريات الشخصية، الذين توصلوا إلى استنتاجاتهم عن الطفولة، من خلال استعراض الخبرات الماضية للراشدين المرضى، فإن ***Cattel*** قام بتحليل كميات كبيرة من النتائج التي تم الحصول عليها مباشرة من الأطفال والمراهقين، وقام بقياس نفس السمات لفئات عمرية مختلفة، رغم ما واجهة في ذلك من صعوبات منهجية، حيث أن السلوك الظاهر ربما يكون مختلف تماما، ولكنه قام بتصميم أساليب إحصائية مختلفة لحل مثل هذه المشكلات، ووصل إلى استنتاجات متنوعة تتعلق بنمو الشخصية.

ث ــ العوامل المؤثرة على نمو الشخصية:

- **الوراثة مقابل البيئة**: لقد حاول كاتل قياس إلى أي مدى تتحدد السمات مصدرية التركيب المختلفة بعامل الوراثة مقابل العامل البيئي.
- **التعليم (*Learning*)**: وفى حين يؤكد كاتل على أن بعض السمات تتأثر بعامل الوراثة أكثر من غيرها، فإنه كذلك لم يغفل أهمية التأثيرات البيئية والتعلم على نمو الشخصية، ويستنتج أن الاستجابات الانفعالية ترتبط بمثيراتها البيئية، عن طريق عمليات معروفة من الإشراط الكلاسيكي.
- **أنماط السلوك الوالدي (*Parental Behaviors*)**: يوافق كاتل على قيام الوالدين بتأثير فعال على شخصية الأبناء، ولكنه يفضل مناقشة ذلك من خلال مصطلح السمات مصدرية التركيب (***Source Traits***).
- **الترتيب الميلادي (*Birth Order*)**: في دراسة كاتل على تأثير الترتيب الميلادي للطفل بين رفاقه، وجد أن الطفل الأكبر (الأول) يغلب أن يكون

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- المرجع السابق- ص ٤٩٥.

لديه درجة مرتفعة من قوة الأنا والسيطرة وسمة المحافظة كما توقعها أدلر، في حين يتصف الطفل الوحيد بدرجة مرتفعة من سمة المحافظة وقوة اعتبار الذات.

- الجنس (*Sex*): حيث توجد فروق عديدة في سمات الشخصية بين الجنسين، فقد حققت الأنات درجة أعلى بدلالة إحصائية في كل من التعاطف والامتثال والحساسية والتخيل والدهاء والتوتر، في حين حقق الذكور درجة أعلى في الثبات الانفعالي والسيطرة والاندفاعية، ولم توجد فروق بينهما في الذكاء والارتياب والراديكالية وكفاية الذات[1].

وقد خصص ***Cattel*** بعضا من أبحاثه لمجال علم النفس الاجتماعي، والذي ناقشه من جانب السمات المصدرية:

* القيادة (***Leadership***): الأشخاص الذين يتم اختيارهم وظيفيا لقيادة مجموعة يغلب عليهم سمات مثل التعاطف، الاندفاعية، الجرأة، درجة مرتفعة من قوة الأنا الأعلى، ودرجة مرتفعة من اعتبار الذات، والدافعية، ودرجة منخفضة من التوتر. وعلى العكس فإن الأشخاص المسيطرين والذين يتسمون بمشاعر الذنب لا يفضل اختيارهم كقادة، أولئك الذين يؤدون أعمالا غير رسمية

* الزواج (***Marriage***): الأشخاص الذين يتصفون بالعاطفية، الاندفاع، الحساسية، يميلون للزواج مبكرا، في حين أن من لديهم درجة مرتفعة من التوتر فنادرا ما يفعلون ذلك. ومن يعاني من درجة مرتفعة من الشعور بالذنب، يكون أقل استمتاعا وقدرة على تحقيق الرضا الجنسي في العلاقة الزوجية.

* سلوك الجماعة (***Group behavior***): الأشخاص الذين يتصفون بالتعاطف، والسيطرة، والاندفاعية، والجرأة غالبا ما ينجحون في تكوين علاقات اجتماعية بشكل أسرع. عكس من لديهم درجة اكبر من التوتر والشك، محتمل أن يكونوا غير مرغوبين اجتماعيا وأقل فاعلية في تأثيرهم على الجماعة.

١- راجع بشأن العوامل المؤثرة على نمو الشخصية: دكتور/ احمد محمد عبد الخالق- مرجع سابق - ص ١٤١ وما بعدها، دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح- مرجع سابق- ص٨٦ وما بعدها، دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- مرجع سابق - ص ٥٠٨ وما بعدها.

ويعترض البعض على اعتقاد كاتل بأنه اكتشف العناصر الأساسية للشخصية، فإن مجرد النظرة السطحية إلى هذه العوامل (عوامل كاتل الستة عشر) بعد استبعاد الذكاء الذي قد يدخل في المجال المعرفي أكثر، تؤدى إلى القول بأن هذه العوامل متداخلة (ومكررة) إلى حد كبير، وبمصطلحات التحليل العاملى فهي عوامل مائلة مرتبطة وليست متعامدة مستقلة، مما يسمح بإجراء تحليل عاملي لها من الرتبة الثانية[١]. ولسوء الحظ أن من يقرأ مؤلفات كاتل سيجد صعوبة في البداية في فهمها، بسبب طبيعتها الرياضية واستخدام ألفاظ جديدة، كما أن نموذج كاتل عن الدافعة يتماثل مع نموذج خفض الدافع أو الغريزة الفرويدي، ويمكن أن توجه إليه نفس الانتقادات.

ويذكر فريمان كنقد لعوامل (كاتل) العديدة، أن واحداً من الأهداف الأساسية للتحليل العاملى، هو خفض عدد المفاهيم بهدف تنظيم وتبسيط القياس، ويبدو أن من غير المحتمل أن زيادة عدد الوحدات سوف يجعل قياس الشخصية أمراً ميسوراً. ويضيف ويجنز أن عوامل (كاتل) مائلة وأن الخواص التي تميز هذه العوامل وكذلك ثباتها، يتغير إلى حد ما من عينة إلى أخرى[٢].

ويرى أيزنك أن التحليل العاملي من المرتبة الثانية لعوامل (كاتل) الأولية، يمكن أن يكشف عن عاملي الانبساط العصابية، في كل من بيانات سجل الحياة والاستخبارات[٣]. على إن اخطر نقد يوجه إلى دراسات (كاتل) للشخصية بواسطة الاستخبارات، ما تذكره (آنا ستازي) من أن العوامل التي تم التوصل إليها عن طريق حساب الارتباط بين التقديرات (***Rating***)، يمكن أن يعكس جزئياً النماذج الاجتماعية النمطية (***Social Stereotypes***)، وغير ذلك من الأخطاء الثابتة للأحكام، أكثر من كونها تعكس تنظم السمات لدى المفحوص[٤].

1-Freeman, F.S: Theory and Practice of Psychological Testing, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1962. P.574 fTm.

2-Wiggins,J.S.:Personality and Prediction Principles of Personality assessment, Massachusetts Addison - Wesley, 1973, P.339.

3-Eysenck, H.j: OP.Cit .1960, a, P. 203

4-Ana stasi, A: Psychological Testing, New York Macmillan, 4 Th.ed, 1976, P 508 F.

خامسا- نظريات المدرسة السلوكية:

[أ] نظرية السلوكية الراديكالية (بوريس فريدريك سكنر)

يسعى العديد من أصحاب نظريات الشخصية على تفسير السلوك البشري في ضوء أسباب داخلية مفترضة، مثل الغرائز، الأنماط الأولية، مشاعر النقص، السمات، الحاجات، شروط القيمة، الصراع بين المكونات المختلفة للشخصية، ولاقت هذه التكوينات الداخلية نوعا من القبول والصدق، ولكن منذ قدمَ **Freud** غريزة الموت والنموذج التكويني لنظريته (الهو- الأنا- الأنا الأعلى) سعى عالم النفس الأمريكي الشهير ***Watson*** إلى انتقاد هذه النظرية، وبرهن على أن الفوبيا يمكن أحداثها من خلال قوة خارجية، والذي تأثر هو الآخر بأعمال النابغة الروسي ***Efan ba flof*** الذي يعد أول من أشار إلى الأشراط الكلاسيكي، والتي توصل إليها من خلال تجاربه الشهيرة عل الكلاب.

وقد توصل ***Watson*** إلى أن علم النفس ينبغي أن يصب اهتمامه على دراسة السلوك فحسب، وقد كان ***Skinner*** مؤمن بفكر ***ba flof* & *Watson*** إلا أنه كان يتميز بوجهة نظر مختلفة بعض الشيء، حيث أنه يؤمن بأن ما يحدد درجة حدوث السلوك هو الأحداث التي تعقب هذا السلوك (اقتران إجرائي)[1].

أ ــ التاريخ الإشراطي:

يتحدد سلوك الإنسان من وجهة نظر سكنر من خلال تاريخه الإشراطي[2]، حيث ينتج سلوك الفرد بداية نتيجة تدعيم مُسبق، فالإنسان يفعل ما يعزز عليه

١- ولد سكنر في ٢٠مارس عام ١٩٠٤م في مدينة صغيرة سوسكوهانا بولاية بنسلفانيا، وكانت عائلته تعيش حياة هادئة مستقرة، ويصف طفولته بأنه عاش في بيئة عظيمة، وعندما كان طالبا بالمدرسة اعتنى بالفنون المدرسية الحرة، وكان متفوقا في اللغة الإنجليزية، وحصل على ليسانس الآداب عام ١٩٢٦ في الأدب الإنجليزي، وحصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٣١ من جامعة هارفرد، وفي عام ١٩٣٦ كانت أول مكانة أكاديمية له في جامعة مينسوتا، حيث حقق شهرة واسعة كأحد أشهر علماء النفس التجريبيين في هذا الوقت، ويعد كتابه سلوك الكائنات العضوية الذي صدر عام ١٩٣٨ أهم عمل علمي له، لكونه يتضمن المصادر الأساسية للتأثيرات العقلية.

٢- الإشراط (*Conditioning*): عملية ربط منبه باستجابة (سلوك) لم يكن بينه وبين المنبه صله في الأصل عن طريق التداعي. (دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- مرجع سابق- ص ٥٢٨).

من سلوك، ويختلف الناس باختلاف تاريخهم التدعيمي على ما يصدر عنهم من سلوك أيضا، ونظراً لأن الحرية غير معروفة في التحليل التجريبي للسلوك لذلك فإن سكنر يعد من أنصار مبدأ الحتمية المطلقة. وفي رأيه أنه لدى الطفل عـــدد غير محدود من الاحتمالات السلوكية، والوالدين هما الـــذين يدعمانـــه أساســـا ويشكلان تطوره ونموه في اتجاه محدد، وتدريجيا فإن شخصية الطفل تبزغ.

ويضيف سكنر إذا استخدمنا الطرق العلمية في دراسة الإنسان، فإنه يجـــب أن نفترض أن السلوك محدد بقوانين وحتميات ثابتة، كما يجب أن نتوقع أن مـــا سنكتشفه يدل على أن سلوك الإنسان، هو نتيجة تعكس ما تعرض له من تشريط إجرائي، ومن ثم يمكن أن نتوقع لحد ما ما يحدد تصرفاته.

ب ــ أفكار سكنر[1]:

ينظر سكنر للكائن العضوي على أنه صندوق مغلق (***Unopened Box***)، وهذا الصندوق ربما يحتوى كل من العمليات العقلانية والعمليات اللاعقلانيـــة، ولكن لا توجد احتمالية لأن يكون لها تأثير علـــى السلوك البشرى، حيث يـــرى سكنر أن السلوك دلالة فقط لقانون العلاقة بين المثير والاستجابة، أو هو محكوم بهذه العلاقة، ما هو في الصندوق وما يخرج منه وما يتبع ذلك هـــي متغيـــرات مترابطة نحتاجها في تحليل السلوك فقط، وليس في تحديد مـــا يحـــدث ومـــا لا يحدث بداخله، وقواعد السلوك غير معينة بهذا المدخل الوظيفي ويطبـــق ذلـــك بالتساوي على الفئران والحمام والإنسان، على الرغم مـــن أن الأخـــير أكـــثر

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن- مرجـــع سابق- ص ٥٢٩، دكتور/ العـــارف بـــالله محمـــد.

دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح- مرجع سابق- ص ١٨٠. ويراجع بشأن مذهب السلوكية لسكنر:

Skinner, B.F: Science and human behavior. New York: Macmillan, 1953.

- Autobiography. In EG-Boring , G.Lind Zey (Eds.)

- A history of psychology in autobiography (VoL.5) New York. Appleton – century crofts 1967.

- Beyond freedom and dignity, New York. Knopf, 1972.

- About behaviorism. New York: vintage Books ,1976.

- Particulars of my life. New York. Mc Graw-Hill, 1977.

-Reflections an behaviorism and society Englewood cliffs. N.J.: per entice Hall, 1978.

تطويراً لعمليات عقلانية إلا أنها لا تعني أنصار السلوكية كثيراً، لأن أبعاد كـل من العقلانية واللاعقلانية ترجع إلى عمليات افتراضية داخلية، تقع خارج أطار السلوك الملاحظ، ولا تلعب هذه الافتراضات دوراً أساسيا في أفكار سكنر.

* **ولقد أثارت كتابات سكنر العديد من الانتقادات من قبل المحللين النفسين** من أنصار فرويد، وبعض هذه الانتقادات يعكس التجاهل الواضح لنقاط معينـة، مثل إنكاره للصفات المميزة للبشر، حيث اقتنع معارضوه أنه أنكر تماماً وجـود المعارف والعواطف والمعرفة بالذات، أو أي نوع من السلوكيات اللاشعورية[1]

[ب] نظرية السلوكية البديلة

(المدخل الانتقائي للسلوكية المعرفية – جون دولارد، ونيل ميلر)

إن معظم الاهتمامات السلوكية المستقبلية تتضمن نوعاً من التقريـب، بـين النظرية السلوكية وغيرها من نظريات الشخصية، ولعل أهم الجهود الراهنة في هذا الإطار ما قام به كل من دولارد وميلر، حيث تعد جهودهما بمثابة تقريـب بين السلوكية من ناحية ونظريتي التحليل النفسي والمجال من ناحيـة أخـرى. فهما يريا أن الإطار الإكلينيكي يعد مصدراً خصباً للنتائج بطريقة غير عاديـة، كما أنهما يوافقان على المعتقد الشائع بأن الفروق بين الأمراض النفسية فـروق في الدرجة أكثر من كونها فروق في النوع. كما أن السلوكيات الأكثر وضـوحاً لدى العصابين ستساعد على استنتاج القواعد العامة التي يصعب ملاحظتها فـي الأشخاص العاديين نسبياً[2].

١- كما يرى بعض النقاد أن السلوكية هي المثير الحقيقي لفكرة الفاشية (سياسة تمجيد الدولة والعرق، وتدعو لأقامة حكم أوتوقراطي)، وتقبلها المجتمع لأنها قدمت لهم في شكل مساعي علمية.

٢- إن كلا من جون دولارد *Johu Dollard*، ونيل ميلر *Neal E, Miller* عالميين تجريبيين من النوع الذي يقدر قيمة البحث العلمي المعملي، فهم يتشابهان مع سكنر في دراساته التي أجراها على الحيوانات لاكتشاف أسس العمليات السلوكية، وأيضا في استخدامهما للمصطلحات السلوكية في إزالة غموض بعض التركيبات النفسية. ويختلفان عن سكنر في أن توليفهما لنظريات متناقضة يعد إسهاما عظيما في مجال علم النفس. ويرجع اتفاقهما في كثير من النواحي إلى تزاملها معاً في معهد العلاقات الإنسانية، كما أنهما يدينون لكل من فرويد وهل بالكثير من افكارهما. ويراجع بشأن نظريتهما:
-Dollard, J, Miller .N.E: Personality and psychotherapy: an analysis in Terms of learning. Thinking, and culture, New York: MC Graw Hill, 1950.

أ ــ الدوافع الأساسية: يشارك دولارد وميلر فرويد في اعتقـاده بأن دوافعنـا الأساسية يمكن أن تختزل إلى عدد محدد من الدوافع هي:

- **الدوافع الأولية أو الفطريـة (*Primary innata drives*):** وهـي التـي يرجع إليها جزء كبير من سلوكنا وتتضمن دوافع الجوع والعطش والجـنس وتجنب الألم، وهذه الدوافع يمكن أن تشبع ولكنها لا يمكـن أن تسـتبعد أو تستأصل، فمن السهل أن تعود مرة أخرى للظهور بعد فترة من إشـباعها. (من الممكن أن يبقى الإنسان جائعاً لكن من المستحيل إلغاء حاجته للطعام).
- **الدوافع الثانوية أو المتعلمـة (*Secondary or Learned drives*):** كما أعطى دولارد وميلر اهتماماً خاصاً بالدوافع المتعلمة مثل الغضب، الـذنب، التفضيل الجنسي لصفات جسمية معينة، الحاجة للمال أو القـوة، الامتثـال وعدم الامتثال.... وغيرها، إلا أنهما يعتبران أن أكثر هذه الـدوافع أهميـة هي الخوف أو القلق الذي سبق وأثارته مثيرات طبيعية. وهما يتفقان علـى أن الخوف يرجع إلى مثيرات معروفة، أما القلق فيرجع إلى مثيرات مكبوتة

ب ــ تكوين ونمو الشخصية: اتساقا مع اهتمامهمـا باسـتخدام المصـطلحات السلوكية، يرفض دولارد وميلر اسـتخدام المكونـات التركيبيـة المختصـرة للشخصية، فهما لا ينسبان الانزعاج والشعور بالذنب إلى الآنا الأعلى ولكن إلى استجابات الخوف غير المصنفة التي ترتبط بالمثيرات أثناء مرحلة الطفولة، كما أنهما مثل كارن هورني يصيغان مناقشتهما عـن تطـور الشخصـية، مبـدئيا بمصطلحات توضح أسباب وديناميات الأمراض النفسية[1].

ومن الانتقادات التي وجهت لنظرية دولارد وميلر: ما إذا كان الاقتران البسـيط بين المثير والاستجابة، كافيا لتفسير السلوكيات المعقدة، وتأكيدهما المبـالغ فيـه على مسألة تخفيف الدافع، وما إذا كانت دراساتهم القطعية على الحيوان تكـون دقيقة إذا عممنا نتائجها وطبقناها على الإنسان. كما أنهمـا فشـلا فـي تتبـع تطبيقاتهما العلاجية القائمة على نظرية التعلم، بما يوصلهما إلى نتائج منطقية.

١- دكتور/ محمد السيد عبد الرحمن – المرجع السابق- ص ٥٩١، ٥٩٢.

الفصل الثالث
النظرة الإسلامية للشخصية

تمهيـد:

نستنتج مما سبق أن جميع نظريات الشخصية (باستثناء نظريـات الأنمـاط التي تقوم على أسس جسمية كنظريتي كرتشمر وشلدون) لـم تهمـل الجانـب الاجتماعي، أو التأثيرات الاجتماعية على الشخصية، فالفرق بينها إنما هو فرق في الدرجة فقط وليس في النوع، وأمثلة ذلك كثيرة ومتعددة.

- فما أنماط [يونج] التي قسمها إلى قسمين منطوي ومنبسط إلا أنمـاط مبنيـة على اتجاه الفرد نحو المجتمع. أما [ألبـورت] فنجـده قـد أكـد علـى أن الشخصية كل متحد من النزعات النفسية والجسمية التي توجد فـي مجـال معين، وهذا المجال ليس مجالا فيزيائياً طبيعياً، بل هو مجال حيوي إنساني اجتماعي. وقد ذهب مذهبه كل من [بيرت] و [جليفورد] من علماء النفس.
- أما [فرويد] رائد مدرسة التحليل النفسي، فقد أعطى وزناً كبيـراً للتـأثيرات الاجتماعية في تكوين شخصية الفرد، ودورها البالغ في سني حيـاة الفـرد الأولى، ثم في طفولته المتأخرة وشبابه. وكـان الأعظـم لهـذه المدرسـة والإضافة الكبرى لها، هي أنها رسمت صورة ديناميكية للشخصية الإنسانية من حيث هي ميدان لصراع كثير من الدوافع والقوى، وهو ميدان يصطرع بدوره مع ميدان البيئة الاجتماعية والثقافية، بما تحوي من نظم وتشـريعات ومبادئ وأحكام وقيم وأوامر ونواهي، ومعايير مثاليـة للسـلوك وعـادات وتقاليد وقيم أخلاقية للجماعة.
- أما النظريات النفسية الاجتماعية التـي يمثلها علماء كثيرون أبرزهم [أدلر] و [هورني] و [فروم] و [سوليفان]، فقد تبلورت عن اتجاه يمثل حركة اكبـر تقلل من الدور البيولوجي للتحليل النفسي، وذلك بالتقليل من دور الوراثـة، وزيادة الدور الذي يقوم به المجتمع في تشكيل الشخصية أو نقص تكوينهـا. ويرجع الفضل إلى هذه المدرسة في تأكيدها الواضح والصريح للأثر البارز

للمتغيرات الاجتماعية في تشكيل الشخصية، وبذلك قل الحديث عن دور الغرائز وتقلباتها أو نظرية الليبدو، وازداد الحديث عن اكتساب سمات الشخصية عن طريق الخبرة، ونتيجة الظروف الاجتماعية.

وبذلك يتضح أن العديد من أصحاب نظريات الشخصية، قد سعى إلى تفسير السلوك البشرى في ضوء أسباب داخلية مفترضة مثل الغرائز، أو الأنماط الأولية، أو مشاعر النقص، أو السمات والحاجات، أو شروط القيمة، أو الصراع بين المكونات المختلفة للشخصية، وكل هذه النظريات تعرضت للنقد والتقييم، ولم تصل أي منها إلى مرحلة متكاملة في عناصرها ومقوماتها.

أولا – ملامح النظرية الإسلامية في دراسة الشخصية:

وأمام هذا العجز الإنساني بشأن صياغة نظرية جامعة مانعة تفسر الشخصية الإنسانية تفسيراً مقبولاً، من العاملين في مجال الدراسات الإنسانية، فأننا نجد أنه من المتعين علينا أن نشير إلي بعض ملامح النظرية الإسلامية في دراسة الشخصية الإنسانية، علنا نجد فيها ضالتنا العلمية.

لقد وهب الله سبحانه وتعالى للإنسان طاقات وقدرات عقلية، وهى أهم ما يميز شخصيته خاصة تلك العناصر المكونة للقدرات العقلية العليا والقدرة على توظيفها، بما تحتويه من تساؤل ورموز ومجادلة وحكمة وإرشاد..... وهكذا. ولأن الإسلام هو دين الحق فأنه نظر إلى الأبعاد المختلفة للطبيعة الإنسانية، ونظر إليها على أنها تتكون من جسم وعقل وروح، وأوضح الإسلام ضرورة التفاعل بين هذه العناصر جميعها[1].

وإذا كان [فرويد] قد جعل من اللاشعور مستودع المكبوتات من انفعالات، وحاجات وجمع فيه ما يعرف وما لا يعرف، فإنه بذلك يكون قد خلط بين جبلات النفس، وبين ما أودعه الله تعالى في الإنسان، من مواهب ولطائف شريفة كالعقل والقلب والروح، فهبط بالإنسانية إلى أسفل السافلين، وقد خلقها الله جل وعلا في أحسن تقويم.

١- راجع في نظرة الإسلام للشخصية: دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى- الإسلام والصحة النفسية - بيروت- دار الراتب الجامعية- سنة ٢٠٠١، دكتور/ سيد صبحي- مرجع سابق- ص ٧٩، ١٤٩.

- وفى الدين الإسلامي الحنيف يقول الله عز وجل: **(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)**[1]، وقوله تعالى: **(وهديناه النجدين)**[2] أي طريق الخير وطريق الشر....فالإنسان قادر على أن يميز بين الخير والشر ويختار بينهما. كما أنه قادر على الصبر وكظم الغيظ، وذلك بالعزم ومخالفة النفس ورياضتها وسياستها، فالصابر حابس لنفسه عما تنزع إليه من الشهوات، والصبر يأمر به العقل، ولقد قال الحق تعالى في محكم آيته الكريمة: **(وبشر الصابرين)**[3].

إن الصبر موقف علم ومال وعمل وجهاد مع النفس ومخالفة لأهوائها، وهو أيضا موقف يدل على الصحة النفسية والقدرة على تحمل الابتلاءات والمكبوت غير الصابر، لأن المكبوت كما يتصوره [فرويد] مريضا يحيا في عالم من الأوهام لا تتحمل أعصابه شيئاً، وأنه كآلة مشدودة تكاد تتقطع أوتارها، أما الصابر فهو قوى مؤمن بالله عز وجل[4].

الصبر خوف من وعيد الله ورجاء في وعد الله يقول تعالى: **(يأيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلوة إن الله مع الصبرين)**[5]. والصبر ليس موقفاً سلبياً والصابر ليس مغلوباً على أمره، وإنما يقف موقفاً ايجابياً فيه سمو عن الأحداث وارتفاع عن الغرائز ورضا بالقضاء. والتوبة ندم والندم موقف ايجابي لأن فيه مخالفة لأهواء النفس واختيار الوسط العدل بهدف رجوع النفس إلى الاعتدال والتوازن، بذلك يتضح أنه ليس كما يدعى [فرويد] أن الإنسان مغلوب على أمره بالحتمية النفسية، أنما حقيقة الأمر أن الطريق واضح والإنسان عليه أن يختار، إما طريق الحق وإما طريق الباطل [6].

١- سورة الشمس – آية: ٧، ٨.

٢- سورة البلد – آية: ١٠.

٣- سورة البقرة – اية: ١٥٥.

٤- دكتور/ حسن الشرقاوى – مرجع سابق– ص ٢١١.

٥- سورة البقرة – آية: ١٥٣.

٦- من هذه الأسس غير الصحيحة نجد أن المحور الرئيسي الذي يدور حوله علم النفس عند فرويد=

ثانيا ــ المنهج الإسلامي في دراسة الشخصية:

إن المنهج الإسلامي في دراسة الشخصية لهو منهج وقائي في المقام الأول ثم هو منهج علاجي، وذلك عكس المناهج الأخرى التي نادى كلا منها بنظرية مختلفة لدراسة الشخصية فهي مناهج علاجية وليست وقائية، حيث رأى أصحاب علم النفس الحديث، أنه يمكن إخضاع الشخصية – النفس البشرية – للتجارب المعملية، ووضعها تحت الملاحظة والتجربة.

وكيف يمكن تحقيق ذلك على الرغم من أن علماء النفس الغربيين المحدثين والقدامى سواء، لم يتواصلوا حتى الآن إلى معرفة النفس البشرية وطبائعها، وكل ما اهتدوا إليه هو بعض ملامح وأوجه السلوك الإنساني، وذلك لأنهم استخدموا منهج خاطئ، وهو منهج وضعي نابع من العقل حيث أن العقل قاصر على إدراك الحقائق، وأيضا أسسوا علمهم على مسلمات وأسس غير صحيحة. لقد انبهر الإنسان الغربي باكتشافاته واغتر بما حصله من العلوم المسخرة فأراد بمنهجه الذاتي وفكره العقلي، أن يطبق المنهج العلمي على العلوم الحياتية.

إن المنهج الإسلامي يقيم نظريته في فهم النفس البشرية (الشخصية) على الوسطية وهى الوسط العدل، وسطاً ليس حسابياً أو تقريراً أو تجريبياً، وإنما هو وسط رباني لا يعتمد على إرهاصات فكرية ولا تخيلات بشرية ولا ظنون حسية أو عقلية، أنه ذلك الوسط الذي يهديه الله تعالى إلى عباده فهو صراط مستقيم، وهو الاستقامة والقوامة والقصد والقسط والإقصاء إنه ذلك الينبوع الذي لا ينضب من العدل الإلهي يشرب منه عباده باستمرار ويروى منه العلماء على الدوام. ولا يمكن أن يتم العدل في النفس الإنسانية إلا بالاعتدال، والوسط العدل موازنة وقوامة وإقامة للعدل. والاعتدال يشتمل على تطبيق الوسط العدل في الفكر والسلوك والتطبيق العملي، والمنهج الإسلامي يهتم بالتركيز على التوازن، والاعتدال بين أشباعات النفس ومطالبها وبين عفتها وقناعتها[1].

= هو الغريزة وأن الإنسان صراعات، وهذه الصراعات هي التي تحدد شخصية الإنسان، حيث يدور الصراع بين الرغبة الغريزية وبين العقاب الذي يحول بينها وبين إشباعها.

١- دكتور/ حسن الشرقاوى – المرجع السابق – ص ٥٥٨.

ثالثا ــ سمات الشخصية الإنسانية السوية:

- **إطار الشخصية المأمولة:**

الشخصية الإنسانية المأمولة (السوية)، هي تلك الشخصية التي تصلح لـدفع مجتمعنا بأدائها المتميز نحو التقدم والرقى، والنهوض في شتى المجالات التـي تعمل بها إلى المستوى المنشود، هي تلـك الشخصـية التـي تعطـى ولاءهـا وإخلاصها لوطنها، هي شخصية ذات أبعاد وخصائص متميزة ومرنة وخصـال جميلة متعارف عليها. والخصائص التي من الضـروري توافرهـا للشخصـية المأمولة، هي تلك التي تكمل جوانبها وتجعلها سوية معتدلة.

وكما أن الشخصية الإنسانية المأمولة هي هدفنا الذي نسعى للوصول إليهـا في مجتمعنا، فهى هدف للآباء يسعون إلى تحقيقها في أبنائهم، وللأساتذة يبغـون تنميتها في تلاميذهم، وللمجتمع ككل يستهدف إشاعتها في جميع مواطنيه، ويبذل الجميع في سبيل تحقيق هذا الهدف كل الجهد، وتسخر له كل الأمكانات.

وبالنظر إلى مجتمعنا حاليا ــ نظرة واقعية متأملة متأنية ــ نجد أنـه يمـر بظروف ومستجدات مستحدثة، منها ما هو داخلي مرتبط بطبيعة هذا المجتمـع والظروف المحيطة به سواء اقتصادية أو اجتماعية أو دينية أو علمية، ومنها ما هو خارجي يلقى بظلاله الكثيفة على مجتمعنا، ويتمثل في الظروف الاقتصـادية العالمية المحيطة والعلاقات الدولية المتوترة والمتغيرات السياسية على الخريطة العالمية، كل هذا يدفع المجتمع نحو إكساب بنيه بخصائص معينة في الشخصية، تمثل النموذج المأمول المرجو في الظروف الحالية والمستقبلية.

- **أهم المظاهر الدالة على الشخصية المأمولة:**

ثمة العديد من المظاهر ــ سواء في الجانب النفسي أو الجانب الأخلاقي ــــ التي يمكن من خلالها الاستدلال على سواء الشخصية المأمولة، وسوف نتنـاول هذه المظاهر من خلال الدراسة التالية:

[أ] مظاهر السواء في الجانب النفسي.

[ب] مظاهر السواء في الجانب الأخلاقي.

[أ] مظاهر السواء في الجانب النفسي :

يشمل إطار الشخصية الإنسانية السوية في جانبها النفسي، على الأبعاد الأساسية التالية[1]:

- **القدرة على الفهم الصائب لذاتها وللآخرين (تقبل الذات):**

يساعد فهم الإنسان ــ الشخصية ــ لنفسه ولنفوس الآخرين، على التقدير الصائب لقدراته وإمكانياته، والمعرفة الدقيقة لرغباته ودوافعه، وبالتالي يحسن استغلال قدراته والتخطيط الجيد لإشباع رغباته، فالشخص الذي يعرف أن مستوى ذكائه متوسط، لا يقحم نفسه في عمل يعلم أنه يحتاج إلى مستوى ذكاء مرتفع، فيفشل فيه ولا يجنى منه إلا الخيبة والندم، والشخص الذي يعلم أن إمكانياته وقدراته مرتفعة، يضع لنفسه أهدافاً عالية يسعى للوصل إليها، حيث تساعده إمكانياته على النجاح في تحقيقه، إيماناً بحكمة (رحم الله امرئً عرف قدر نفسه). وبالمثل فإن معرفة نفوس الآخرين تمذن المرء من معرفة غريمه من صديقه، فيتعامل مع كلا منهما المعاملة اللائقة به، وبذلك يتقى شر غريمه، ويستفيد من إخلاص ومحبة صديقه، كما أن معرفة إمكانيات الآخرين وقدراتهم، تمكننا من حسن الاستفادة منهم، وعدم مطالبتهم إلا بما يستطيعون القيام به، الأمر الذي يساعد في تحقيق توافق أكبر معهم، وتوفيق أكثر في العلاقات بهم.

- **الإدراك السليم للواقع ومعرفة عناصره:**

من الأشياء الحسنة أن [حب المعرفة] يكاد يكون غريزة فطرية في الإنسان، نظراً لأهميته الشديدة في نجاحه في حياته وتوفيقه فيها، من أجل ذلك كان السباق في العلم والمعرفة والتحصيل، والحصول على الشهادات العلمية، والقيام بالبحوث في مختلف مجالات المعرفة، وعن مختلف ظواهر العالم الطبيعي

١- دكتور/ فرج عبد القادر طه- بحث عن الإطار المعياري للشخصية السوية- القاهرة – مجلة الدراسات النفسية – العدد الرابع- أكتوبر ١٩٩٥م – ص ٦٧٧ وما بعده. وللمزيد بشأن أبعاد الشخصية السوية الإطار المعياري لتحديدها يراجع: دكتور/ فرج عبد القادر طه- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي- القاهرة – دار سعاد الصباح – سنة ١٩٩٣م، دكتور/ محمود حمودة- النفس وأسرارها وأمراضها – القاهرة – مكتبة الفجالة – سنة ١٩٩٠م.

والإنساني وموضوعاته وعناصره. من هنا كان التقدم المعرفي مصحوباً بالتقدم التقني، وبازدهار المجتمع وتقدمه في كافة المجالات.

وفي هذا الإطار يعتبر الإدراك السليم للواقع الذي تتحرك فيه الشخصية وتتفاعل معه عنصراً هاماً، وبعداً أساسياً من أبعاد سوائها فإذا اضطراب هذا الإدراك واختل، اضطربت تبعاً لذلك علاقة الفرد ــ الشخصية ــ بعناصر هذا الواقع، وفشلت في التعامل معه. فالذي لا يعرف أن هذا الشيء سام، ويدركه على أنه شيء مفيد وربما تناوله يؤدى بحياته، والذي لا يعرف أن هذا غريمه فيأتمنه ويصاحبه يمكنه من نفسه ويتعرض لشروره، والذي لا يدرك أن هذا صديق ويعامله معاملة سيئة يخسر صداقته وما كان يناله على يديه من خيرات.

إن المعرفة والإدراك السليم للشيء يسهل للفرد السيطرة عليه وتوجيهه لصالحه من جانب، واتقاء شره من جانب أخر، ومن الأقوال المأثورة (إذا عرفت استطعت) بما يعنى أن المعرفة والإدراك السليم للشيء، يسهل للشخص السيطرة عليه وتوجيهه لصالحه من جانب، واتقاء شره من جانب آخر[1].

- **البعد عن التخلف العقلي وقصور الإمكانيات والقدرات:**

إن نجاح المرء فيما يقوم به من أعمال، وتوفيقه فيما يمارسه من سلوك أو نشاط أو مهام، يحتاج إلى حد أدنى من الذكاء، يساعده على فهم الظروف والمواقف، لتكيف سلوكه ونشاطه وفقاً لها. ومن ثم فإن تصرف الفرد بصورة عشوائية في موقف معين غير مستغل لذكائه، قد يؤدى إلى أن يكون هذا التصرف غير ناجح وقد يكون ضاراً به وبمن حوله، كذلك فإن ضعف القدرات والإمكانيات الذهنية المطلوبة في موقف ما، يؤدى بالشخص إلى الفشل في هذا الموقف وقد يؤثر ذلك عليه نفسياً. كما أن نقص الطاقة الحيوية لدى الفرد، وما يصيب أجهزته الجسمية من ضعف وأمراض وقصور وعجز في الأداء، يؤدى أيضا إلى نقص السواء في الشخصية، ويعوق توفيقها في حياتها.

١- وقد يضطرب الإدراك إلى حد أن يدرك الشخص المحيطين به على أنهم ينسجون له المكائد والمصائب، على نحو ما نجد في مرضى جنون الاضطهاد.

- **القدرة على التعليم من الخبرة:**

بُعد الشخصية عن أفعال تتصف بالتخلف العقلي، يتطلب اكتساب خبرات معينة منها القدرة على التعلم من الخبرة. ويظل **العقل** هو المميز الأساسي للإنسان عن غيره من الكائنات، فالعقل هو وسيلة الإنسان في التفكير والإدراك والإستبصار بالموقف وعناصره المختلفة، كما أنه وسيلته في تحليل الخبرة الشخصية وخبرات الآخرين، واكتساب فن التعامل مع المواقف الجديدة التي تواجهه، وذلك بالأخذ بالجوانب الإيجابية والتخلي عن السلبيات ومواطن الضعف في هذه الخبرات، والفرد الناجح هو الذي يبدأ من حيث أنتهي غيره، وهذا هو أساس النمو والتطور كما أنه حجر الزاوية في التوافق النفسي والاجتماعي[1]، بينما يكون من التخلف العقلي والقصور الذهني أن يبدأ الفرد غير مستفيداً من خبرات الآخرين ونجاحاتهم التي انتهوا إليها.

- **القدرة على ضبط النفس والتحكم في انفعالاتها وأهوائها:**

من أهم خصائص الشخص السوي أن يكون قادراً على التحكم في نفسه، وضبط أعصابه وانفعالاته وأهوائه، وذلك حتى يحكم تصرفاته قبل أن يقع في تصرف طائش يضر به أو بغيره، ويصعب علاجه، فالحلم في اللغة يعنى صفه حسنة محمودة، وهى التأني وضبط النفس عند الغضب علي الرغم من قدرة الفرد وقوته، وليس عن ضعف أو هوان. وفى هذا الشأن يخاطب ربنا جل وعلا رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: **(ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)**[2]، وبقوله تعالى: **(الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم وإذا ما غضبوا هم يغفرون)**[3].

والفرد في ثورة غضبه كثيراً ما يتفوه بألفاظ لا تليق، ويقوم بأفعال وتصرفات تتسم بالرعونة تسيء إلى شخصه، وتصدم من حوله الذين ما كانوا يتوقعون منه ذلك، نظراً لقدره ومكانته عندهم، ومن هنا يصبح ضبط النفس

١- دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح – مرجع سابق – ص ٢٣٧.

٢- سورة آل عمران– الآية: ١٥٩.

٣- سورة النجم – الآية: ٣٢.

والتحكم فيها وفى انفعالاتها وفى أهوائها شيئا شديد الأهمية للفرد، حتى يتحقق له السواء النفسي والمتوافق الاجتماعي، والانفعال الشديد الذي يتجاوز حدود المعقول يهز أركان الشخصية بحيث يكاد يمزقها، ويذهب بعقلانيتها ومنطقيتها، فيصبح تصرفها مضطرباً، وسلوكها شاذاً وضاراً بها وبغيرها.

- **القدرة على الحب والتعاون والإيثار:**

يقال أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ويقصد بذلك أن الإنسان ينزع إلى العيش وسط جماعة من البشر – أي مع الآخرين – ويكره العزلة عن الناس، ومن أهم ما يوثق العلاقات المتبادلة داخل الجماعة ويقويها وجود الحب المتبادل بين أعضائها، والذي يؤدى بدوره إلى تزايد الثقة والتعاون بين أفراد الجماعة، وهكذا تنمو الجماعة وتزدهر وتنجح في تحقيق أهدافها ويكمل هذا صفة الإيثار.

* **والإيثار لغة: يعنى تفضيل المرء غيره على نفسه.** بمعنى أن يؤثر غيره بالخيرات والأمور المفضلة، حتى لو كان ذلك على حساب نفسه وينتقص من نصيبه منها. فالمرء عندما يقضى حوائج غيره من أبناء المجتمع، مضحيا بماله ووقته وجهده فإنه يؤثر غيره على نفسه.

يقول الله تعالى في محكم آيته: (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**)[1]. وتكمل هذه القدرة على التعاون والإيثار بولاء الفرد لوطنه، حيث يفضله على أي شيء أخر في حياته، ويستعد لبذل التضحيات من أجل رفع شأنه ودفع الضرر عنه، والدفاع عنه ضد أي معتدى. إن الشخصية السوية لا تسيرها المصالح الأنانية الضيقة، بحيث تكون أسيرة أنانيتها المفرطة، متمركزة كليه حول الذات بل يكون تمركزها واضحاً حول المجتمع ولصالح الوطن، إن المجتمع لا يقوم ولا يزدهر ولا يتقدم ولا ينهض إلا إذا توافر لأبنائه قدر كاف من الحب والتعاون والإيثار.

- **الطموح المناسب للشخصية والأهداف الواقعية في الحياة[2]:**

لكل شخص أهداف معينة يحاول أن يبلُغها، ومستوى طموح معين يسعى إلى

١- سورة الحشر- الآية: ٩.

تحقيقه، وتلك الأمور تختلف من شخص إلى أخر بل أنها تتغير عند الشخص ذاته من حين لأخر وفق مستوى وعيه، وواقع ظروفه التي يعيشها، والأحداث التي يمر بها، وقد ينجح الشخص أو يفشل في تحقيق أهدافه وطموحاته. ولا شك أن هذا يعتمد على كفاءته وقدراته ومدى ملاءمة ظروفه وبيئته، كما أن لكل شخصية مستوى طموح معين يتناسب ومجال حياتها.

إن مستوى طموح الشخصية يعتبر دافعاً يدفع المرء للكد والسعي حتى ينجح في تحقيق هدفه المنشود، ويدعم مستوى طموحه ما يصادفه في حياته من نجاح، بينما قد يحمل ما يصيبه من فشل إلى هبوط مستوى طموحه، أو ربما التخلي كلية عنه، وعلاوة على ذلك تأثيره في مقدار ثقته بنفسه. لذلك فإن الطموح المناسب لدى الشخصية، وأهدافها الواقعية المعقولة التي تبغي تحقيقها في الحياة، أمر ضروري لحُسن توافقها وإضفاء مظاهر السواء عليها.

وكلما كانت الأهداف ومستويات الطموح واقعية، متناسبة مع القدرات والإمكانيات والظروف، كان ذلك أقرب للنجاح في تحقيقه، وبالتالي أزيد قرباً من مستوى الشخصية السوية، وبعداً عن سوء التوافق والاضطراب، ولاشك أن الأهداف المغالى فيها، والطموح البالغ الارتفاع فوق مستوى الإمكانيات والقدرات، يسبب إحباطا مستمرة للشخصية، وإحساسا مستمراً بالانهزام والفشل، وبالتالي بعداً عن السواء المنشود، كما أن بساطة المطالب وتواضعها أمر ضروري للتوافق السوي في الحياة.

- **القدرة على العمل المنتج البناء:**

تعتبر هذه القدرة من أهم خصائص الشخصية السوية، وربما أهم معيار لتقدير مدى سوائها، ذلك أن العمل هو الذي يقوم عليه عمار الكون وازدهاره، كما يقوم عليه بنيان أي مجتمع وتقدمه، وكما أن العمل هام للمجتمع فإنه في ذات الأهمية لأفراده، فالفرد لا يتقدم إلا بعمله وحده واجتهاده. ومثال لذلك أن الطالب لا يبنى نفسه ومستقبله إلا إذا جد في تحصيله، وأجتهد في دراسته حتى

١- يرلجع بشأن تحديد أهداف واقعية في الحياة، وأثره في الشخصية السوية: (دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح - المرجع السابق - ص ٢٣٦).

يحصل على أعلى ما تؤهله له إمكانياتـه، واسـتعداداته الشخصـية وظروفـه المحيطة به. والموظف أو العامل أو المهني لا يخـدم نفسـه ومجتمعـه إلا إذا أحسن القيام بأداء مهام عمله أو وظيفته، وأدى واجباته على الوجه الأكمل مـا استطاع لذلك سبيلاً، أما إذا تراخى أو أهمل أداء واجبات وظيفته، فسوف يضر هذا بنفسه ومستقبله وبمجتمعه أيضاً، لأن كل فرد في مهنته أو عمله أو وظيفته هو جزء من كل، إذا إصابه العطب أثر ذلك على مجتمعه الذي ينعم بخيره.

- **جدية الشخصية وقدرتها على تحمل المسئولية:**

من أهم علامات الشخصية السوية جديتها وقدرتها على تحمـل المسـئولية، التي تلقى على عاتقها أو تلتزم بها، فالفرد لكي يحقق التوافـق مـع مجتمعـه، والتوفيق في سلوكه وأقواله وأفعاله، إذا حدث صدق وإذا وعد أوفى وإذا اسـند إليه عمل أداه بكل ما استطاع من جد واجتهاد وتفان، وإذا تحمل مسئولية عمـل ما أو أمر ما وفاه حقه من الرعاية والاهتمام، وبذل من أجل تنفيذه ما يسـتطيع من طاقه وما يسعه من جهد، حيث أن استهتار الشخصية واستهانتها بالمسئولية يعتبر من أخطر سمات الشخصية المريضة[1].

وتعبر المسئولية هنا عن الدور الخاص بكل فرد، والواجبـات المنـوط بـه القيام بها، وكل إنسان مسئول طالما كان هذا الإنسان عاقلاً عارفا بدوره تجـاه نفسه ونحو الآخرين. ويلاحظ أن تخلى المرء عن مسئولياته بداية لسلسلة مـن المشكلات النفسية والاجتماعية تواجهه، يكون ضحية لها أولاً ويخسر المجتمـع جهوده ثانياً. وإنجاز الفرد لمسئولياته يعد مظهرا لتوافقه النفسي والاجتمـاعي، وأحد الدلائل الهامة على سواء الشخصية[2].

- **القدرة على تحمل الإحباط والصدمات:**

الحياة مليئة بالمسرات والمبهجات وليدة النجاحات، وهى أيضا مليئة بمصادر

١- التلميذ في مدرسته مسئول عن أداء واجباته والمعلم مسئول عن تعليم طلابه، والأسرة مسـئولة عن متابعة الأبناء وتحقيق متطلباتهم اللازمة، والموظف مسئول عـن إنجاز مصـالح المـواطنين. وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) متفق عليه.

٢- دكتور/ العارف بالله محمد، دكتور/ محمد سمير عبد الفتاح - المرجع نفسه - ص ٢٣٨.

الإحباط والصدمات وما يخلفه ذلك من هموم وأحزان، فلا تكاد تخلو حياة المرء من الهموم والمشكلات والصعاب، كما أنه يجد فيها مصادر لذة وسعادة والهناء. لكن الإنسان يسعى دائماً ويرحب بما يبعث على السعادة والبهجة والفرح، ويضيق دائماً ويشقى بما تسببه له الهموم والصدمات من ضيق وآلم فيحاول أن يتجنبها. ويعرف علم النفس ذلك بمبدأ اللذة والألم، وهو المبدأ السيكولوجي القائل بأن الإنسان ينزع في سلوكه، إلى الحصول على أكبر قدر من اللذة وتفادى أكبر قدر من الألم. ولذا يكون من أهم علامات السواء النفسي ومعاييره قدرة الشخصية على تحمل موجات الإحباط وقوى الصدمات، والصبر على المكاره، والحرمان من إشباع الرغبات لفترات طويلة.

ولكي يحقق المرء هذه المقدرة على تحمل درجات الإحباط، من الضروري أن يتمتع بقدر مناسب من الشعور بالأمن والطمأنينة الداخلية، وهى ما يعبر عنه بالرضا عن النفس، ليتحقق التوافق النفسي الذي يوفر قدرة التحمل المبتغاه.

❖ **أبعاد أخرى لشخصية السوية:**

هذه بعض المظاهر الدالة على الشخصية السوية عرضنا لها في إطار معياري. ونضيف إليها أبعاد أخرى للشخصية السوية المأمولة، هذه الأبعاد تزيد من الرضاء عن النفس وتحقق التوافق النفسي، لمجابة صعوبات الحياة.

ـ الهدوء والأطمئنان والإحساس بالراحة النفسية:

هي مجموعة من الأحاسيس والمشاعر الإيجابية المترابطة والمحببة إلى النفس، بحيث تتذوق فيها طعم السعادة وهدوء البال، ويشعر بها الفرد عندما يتحقق له التوافق الناجح مع نفسه ومع مجتمعه، ويحرم منها أو تنقص عنده في حالات تكاثر المشكلات التي تتهدده، والمخاطر التي تخيفه والظروف التي تحول بينه وبين إشباع مطالبه الضرورية أو تنقص من كرامته كإنسان، أو تحط من قدره أمام نفسه أو ذويه أو مجتمعه، وما من شك أننا نعيش في عصر يتسم بانتشار القلق والخوف من كل شيء وعلى كل شيء، حتى أن بعض المفكرين يطلقون على عصرنا هذا **[عصر القلق النفسي]**.

فنسبة كبيرة من أبناء المجتمع تعصف بهم حالة من القلق والخوف، تشتد أحيانا بالبعض فيستعصى عليهم النوم الهادئ، ويحرمون طعم الراحة والأمان، ولا يحسون متعة السعادة، وتشقى نفوسهم بالحياة التي يجد فيها المطمئنون من الناس لذة واستمتاعاً، وما لا يعد ولا يحصى من الطيبات. وفى هذه الحالة من القلق المنتشر والمخاوف الشديدة التي تعصف بكثير من الأشخاص، إنما تدل على سوء التوافق النفسي وتناقض مع حالة الهدوء والاطمئنان والراحة النفسية التي يتصف بها المتوافقون.

ولاشك أن أتصاف المرء بالإدراك السليم للحياة والواقع الذي يعيش فيه وعناصره، وتمتعه بميزة ضبط النفس والتحكم في انفعالاها وأهوائها، وتبنيه القيم والأخلاقيات الحميدة وتحقيقها في مظهره وطريقة معيشته، وأن يكون لديه طموحاً مناسباً وأهداف واقعية في الحياة، كل هذا يساعد شخصيته على هدوئها واطمئنانها وراحتها النفسية، وينأى بها عن القلق والاضطراب.

ـ تبنى الشخصية للقيم الخيرة والبنائه:

لا تزدهر الحياة ولا تتقدم المجتمعات إلا بانتشار القيم الإنسانية النبيلة، كقيم الحق والعدالة والرحمة والأمانة والصدق والوفاء والبساطة والتواضع والتعاون، واحترام حرية الآخرين ومصلحتهم والبعد عن الأنانية المفرطة، وكذلك حفظ كرامة الآخرين من أبناء المجتمع ومعاملتهم المعاملة الإنسانية التي يستحقونها، وتحقيق روح الديمقراطية في العلاقات المتبادلة مع الغير، والسعي الجاد لتحقيق الصالح للمجتمع. إن القيم النبيلة تدعو إلى كل ما هو مفيد للحياة وللمجتمع، ولذا فإن من يلتزم بها في سلوكه وفى طريقته في الحياة يتصف بالتوافق والسواء النفسي، وكل من يخالف ذلك يتصف بسوء التوافق والاضطراب النفسي.

فالقاضي الذي لا يعدل في حكمه بين المتقاضين لا يوصف بالسواء، والمدرس الذي لا يحسن تعليم تلاميذه ويبتغى التربح من ورائهم لا يتصف بالسواء، والأب الذي لا يجيد تربية أبناءه سوى بالضرب والعنف بلا رحمة، يُنشأ للمجتمع عضواً مضطرباً لا يتصف بالسواء، وكذلك فإن المسئول الذي

يسلك في عمله سلوك مهين لواجبات وظيفته، سواء بالعنف في تعامله مع أبناء المجتمع، أو الانحياز لأحد أطراف الخصومة التي تعرض عليه ابتغاء مصلحة شخصية له مضيعا حقوق الأفراد بذلك، أو بإهماله في أداء عمله الذي هو رسالة قبل أن يكون عمل، إنه بذلك لا يمكن أن يتصف بأنه سوى الشخصية، وعلى هذا النحو فإن ناكر الأمانة وشاهد الزور لا يوصف أيهم بالسواء.

إن ازدهار المجتمع رهن بمدى تبنى أفراده مختلف القيم الإنسانية النبيلة، والرقي في تعاملهم مع بعضهم البعض، وفى تعاملهم مع مجتمعهم ومختلف مؤسساته ومنظماته. ومن القيم الإنسانية الراقية أعمال الفكر، فالمجتمع في هذه الفترة العصيبة من الزمان يحتاج أكثر ما يحتاج إنسان يستطيع إعمال فكره، بمعنى أن يستخدم عقله ويسخر ذكاءه في إنتاج فكر جديد مفيد لمجتمعه. وفي هذا يؤكد الشيخ الأمام محمد عبده[1]: " لا ينبغي للإنسان أن يذل فكره لشيء سوى الحق، والذليل للحق عزيز، ويجب على كل طالب أن يسترشد بمن تقدمه سواء كانوا أحياء أم أموات، ولكن عليه أن يستعمل فكره فيما يؤثر عنهم، فإن وجده صحيحاً أخذ به، وإن وجده فاسداً تركه ".

وهذا ما نبغيه الإنسان الذي يقف على أعتاب الألفية الثالثة فهو ذو فكر مستنير، يعرف كيف ينتجه ومتى يخرجه، وهو في ذلك بعيداً عن النمطية غير المرغوبة، التي تضعه في قالب جامد تحبس بداخله أفكاره وطموحاته.

ـ استمتاع الشخصية بالصحة النفسية:

المقصود بالصحة النفسية، خلو الشخصية من الانحرافات والاضطرابات والأمراض النفسية، علاوة على قدرتها على التوافق والنجاح في علاقاتها مع الغير من الناس، والتحقيق الإيجابي البناء للذات في العمل والإنتاج، مع قدرتها على مواجهة الأزمات والشدائد والصمود في مواجهتها، وتحمل أوجه الإحباط التي تتعرض له في الحياة، دون أن يختل الاتزان فتنهار أو تضطرب وتنحرف

وعلى ذلك فنحن لا نستطيع أن نصف مهرب المخدرات أو المتاجر فيها أو

١- الشيخ / رشيد رضا – تاريخ الأستاذ الأمام – ص ٧٦٢ مشار إليه لدى: دكتور/ رفعت السعيد – الإرهاب المتأسلم – القاهرة – قطاع الثقافة – أخبار اليوم – سنة ٢٠٠٤ – ص ٢٦.

مروجها أو مدمنها بالصحة النفسية، وكذلك الأمر بالنسبة للمنحرفين، ومعتادي الإجرام، والمرتشين والنصابين والمختلسين والفاسدين، وفاقدي الولاء للوطن، هؤلاء جميعاً ومن على شاكلتهم يعانون من اضطراب في الصحة النفسية، وليس من شك في أن الصحة النفسية مسألة نسبيه، شأنها في ذلك شأن بقية جوانب الشخصية، كالصحة العقلية (الذكاء)، أو الصحة الجسمية (انتظام وظائف الجسم)، بمعنى أن الصحة النفسية التامة أمر لا يكاد يتحقق لفرد ما، وإن مقدار الصحة النفسية يختلف من فرد لأخر. إن الشخصية التي تكاد تخلو من مظاهر الانحراف، أو الاضطراب أو المرض النفسي الواضح، توصف بتمتعها بالصحة النفسية.

– الضمير الأخلاقي:

الضمير هو ذلك الوازع الداخلي الذي يراقب المرء في أعماله، ويكون رقيباً على أفعاله وبخاصة الأفعال الخاطئة، لأن الأفعال الحسنة الشرعية يؤديها المرء راضيا ويرتاح الضمير لها، بينما ما يقوم به من أفعال خارجه يؤنبه الضمير على أدائها، وعلى قدر يقظة الضمير تكون استقامة الإنسان.

ويلاحظ أن الضمير الأخلاقي في الإنسان له وظيفتان هما[1]:

١. الردع والعقاب والمحاسبة والمحاكمة، على ما يأتيه المرء من الآثام، والمعاصي والأخطاء والمخالفات والجرائم والانحرافات.
٢. دور الرقيب أو الشرطي الذي يمنع الجرائم قبل وقوعها، ومثله مثل رجل الجمارك الذي يمنع دخول الممنوعات إلى البلاد، وهو يمنع صاحبه من الإتيان بالمعاصي حتى في غيبة السلطة الخارجية، الممثلة في من يمكن أن يكتشف عمله الخاطيء أو يضبطه ويعاقبه.

فالضمير قوة داخلية ذاتية، تمنع صاحبها من ارتكاب المعاصي، والخروج عن الإطار السليم الصحيح في العمل والخلق والحياة.

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوي – سيكولوجية الشخصية – الإسكندرية – منشأة المعارف – سنة ٢٠٠١ – ص ٩٤.

ـ النقد الذاتي:

يقصد به مدى استعداد المرء للاستجابة الشعورية لأسئلة تطرح عليه- في حياته عامة أو في عمله وعلاقاته ومسئولياته خاصة - وتكون الاستجابة بصدق وصراحة وأمانة، وكذلك قدرته على النقد الذاتي أي حكم الفرد على نفسه وعلى سلوكه[1]. وحينما ينتقد المرء نفسه (ذاته) فإنه يصوب لها تصرفاتها ويقنن لها أفعالها، يقوم بالوقوف مع ذاته لاستكشاف إلي أين تأخذه لكي يصحح مسارها.

[ب] مظاهر السواء في الجانب الأخلاقي:

إن الأخلاق التي هي سلوك وسجايا وطبائع وهيئات تتعلق بالإنسان، إذا حُسنت واستقامت وصلحت في كل ما يصدر عن صاحبها، من أقوال أو أفعال كانت دليلاً واضحاً وبرهاناً ساطعاً على قوة الإيمان، وعلى سلامة الوجدان، وعلى صدق التقيد بما يرضى الخالق عز وجل، بل إن بعض السلف الصالح كان يعتبر الدين هو الأخلاق الكريمة، ويعتبر الأخلاق الكريمة هي الدين. وما أحوجنا في مجتمعنا المعاصر المتطور وفي هذا الزمن الحديث المتغير إلي أناس يتمتعون بالخلق الكريم يحقون الحق وينصرون المظلوم ويوقفون الظالم[2]

❖ **الخلق الكريم:**

قال تعالى في كتابه الكريم: (وإنك لعلى خلق عظيم)[3]. وقد فسر أبن عباس – رضي الله عنهما – معنى الآية الكريمة أنك أيها الرسول الكريم لعلى دين قويم عظيم. وقال الأمام أبن القيم: (الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين). ولقد سأل هشام بن حكيم – رضي الله عنهما – السيدة عائشة – رضي الله عنها– عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابت بقولها: كان خلقه القرآن صلى الله عليه وسلم. أي: كان صلى الله عليه وسلم متمسكا بآداب القرآن الكريم وبأوامره وبنواهيه وبأحكامه وبتوجيهاته.

١- دكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوى – المرجع نفسه – ص ٢٩١.

٢- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – مرجع سابق – ص ٢١٦.

٣- سورة القلم – الآية: ٤.

وإنه لمن الحقائق التي أتفق عليها المفكرين والعقلاء أن الأخـــلاق الكريمـــة هي ثمرة الإيمان القوي الصادق، وأن الأخلاق السيئة هي وليدة ضعف الإيمان. ولقد حضت شريعة الأسلام بنيها على التمسك بالأخلاق الفاضلة وحذرتهم مـــن الاقتراب من الرذائل والوقوع فيها، وبينت لهم أن حسن الخلق يرفع صاحبه إلى أعلى الدرجـات، بينما ســوء الخلق يهوى بصاحبه إلى أسفل الدرجات بل إلى أسفل السافلين.

- وعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وســلم: (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وأشرف المنــازل، وإنـــه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم).
- وعن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال: سئل رسول الله صلى الله عليـــة وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال: (تقوى الله وحســـن الخلـــق). وسُأل صلي الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النـــار؟ فقـــال: (الفـــم والفرج). وعنه – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لأهله)(١).
- وفى سنن الترمذي عـــن أبى الدرداء – رضي الله عنهما – أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من شيء أثقل في ميزان العبد المـــؤمن يـــوم القيامة من حُسن الخلق، وإن الله يكره الفاحش البذيء).

وماذا بعد ذلك من دروس وعظات نأخذ منها أن الأمم (مجتمعات والأفراد) التي تتمسك بمكارم الأخلاق، وتعتنق الفضائل التـــي منهـــا الصـــدق والعـــدل والعفاف والإخلاص، والوفاء والأمانة والحياء والصـــبر والرحمـــة، والأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر، لابد أن تصل إلي ما تصبو إليه من سلام ورخاء وحياة طيبة وسعادة في دنياهم وأخرتهم. وعكس ذلك أولئك الذين تنهـــار فـــيهم الأخلاق الحسنة وتشيع فيهم الفاحشة، ويتعاملون بالغش والكذب وشهادة الـــزور وأكل الأموال بالربا، فإن مصيرهم الضعف والهوان وسوء العاقبة دنيا وآخرة.

١- ورد في الصحيحين البخاري ومسلم.

❖ حُسن الخُلق وبيانه:

الخُلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الارادية الاختيارية من حسنة وسيئة وجميلة وقبيحة، وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها، فإذا ما ربيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق، وحب المعروف والرغبة في الخير، وروضت على حب الجميل وكراهية القبيح، وأصبح ذلك طبعاً لها تصدر منها الأفعال الجميلة بسهولة ودون تكلف قيل فيها خُلق حسن[٢]

وتنعت تلك الأفعال الجميلة الصادرة عن المرء بدون تكلف بالأخلاق الحسنة، وذلك كخُلق الحلم والرحمة والصبر والتحمل والكرم والشجاعة، والعدل والإحسان، وما إلى ذلك من الفضائل الخلقية، والكماليات النفسية.

كما أن النفس إذا أهُملت فلم تهذب التهذيب اللائق بها، ولم يُعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها، أوربت تربية سيئة حتى أصبح القبيح محبوباً لها والجميل مكروها عندها، وصارت الرذائل والنقائض من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلف، قيل فيها خُلق سيئ، وسميت تلك الأقوال والأفعال الذميمة التي تصدر عنها بالأخلاق السيئة.

- **هذا وقد قال السلف الصالح أراء في بيان حُسن الخُلق:**

فذكر الحسن أن حُسن الخُلق: بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى. وقال عبد الله بن المبارك: حُسن الخُلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال. وقال آخر: حُسن الخُلق أن يكون من الناس قريبا، وفيما بينهم غريبا. وقول آخر: حُسن الخُلق كف الأذى واحتمال المؤمن، أو حُسن الخُلق أن لا يكون لك هم غير الله تعالى.

- **وقال السلف في علامة ذي الخُلق الحسن:**

أن يكون كثير الحياء قليل الأذى، كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام، كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً، رضياً حليماً وفياً عفيفاً. لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً

١- الشيخ / أبو بكر الجزائري – منهاج المسلم – القاهرة – مكتبة دار التراث – ص١٥١.

ولا بخيلاً ولا حسوداً. بشاشاً هشاشاً، يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويسخط في الله.

والأخلاق عمل في الباطن وسلوك ينبع من الداخل وقوى محركة من القلب، والخُلق الباطني ينقسم إلى أقسام أربعة، يتكامل بعضها مع البعض الآخر تكاملاً متناسباً متآلفاً حتى يوصف صاحبها أنه حَسن الخُلق. وهذه الأقسام هي[1]:

ـ قــوة العلم:

إن القوة في العلم أنما تتضح فى قدرة الإنسان على التفرقة بــين الصـــدق والكذب، وعلى التمييز بين الحق والباطل في مجال الاعتقادات، وبين الجميــل والقبيح فيما يتعلق بالأفعال. فإذا تكاملت قوة العلم أثمرت ثمرة يانعة من ثمـــار المعرفة، بل هي أشرف وأعز ما يتحصله الإنسـان، الآ وهـــى الحكمـــة مصداقــاً لقوله تعالى: (ومن يؤته الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً)[2]. والحكــيم بهذا المعنى أنما هو على رأس أصحاب مكارم الأخلاق، إذ الحكمة قمة الأخلاق وينبوع الحق والفضيلة[3].

ـ قــوة الغضب:

لا يعد الغضب عند بعض الأئــمة شراً كاملاً، إنما فــي بعــض الأحيــان صالحاً وتاماً وذلك عندما تقضى الحكمة ذلك. فإذا كان الغضب من أجل الدفاع عن الوطن أو دفاعاً عن العرض أو الحق أو الدين، كان ذلك دليلاً على صلاحه وتمامه على أن يكون مرتبطاً بالحكمة ومقترنا بها، إذ هي الأساس الذي يحرك هذه القوة في الطريق المستقيم والعمل الصالح. أما إذا كان الغضب بلا حكمـــة أو سبب مما سبق ذكره، استخدمت بذلك هذه القوة في غيــر موضـــعها وكــان صاحبها آثما، وهى بذلك قوة فاسدة ذميمة ويتصف صاحبها بالخُلق السيئ.

ـ قــوة الشهوة:

وكذلك الشهوة فإنها لا تُعد في جميع الأحوال من الرذائل، إذ أنها قوة مـــن

١- دكتور/ حسن الشرقاوي – مرجع سابق – ص ١٩٩.

٢- سورة البقــرة – الآية: ٢٦٩.

٣- الأمام أبو حامد الغزالي – إحياء علوم الدين – الجزء الثامن.

قوى الإنسان الحسنة، متى كانت تتبع بما تقضي به الشريعة وما يحكم به العقل، والقوة الشهوانية أنما تكون صالحة وحسنة إذا سارت تحت أمرة الحكمة، وأتبعت الصراط المستقيم. أما إذا استخدمت الشهوة لجلب الملذات وموافقة الأهواء بلا حكم يحكمها، فإنما يكون صاحبها بذلك من الضالين الظالمين.

ـ قوة العدل:

القوة الرابعة في الإنسان أنما تكمن في قوة العدل، وهذه القوة ترجع إلى النفس ـ إذ أن النفس هي التي تحكم على قوتي الغضب والشهوة ـ وتأمرها بأتباع هذا الطريق أو ذاك. وقوة العدل تمتاز بقدرتها على التمييز بين ما هو شرعي، ومقبول عقلاً وبين ما هو محرم ومتروك شرعاً، وتتمثل قوة العدل في ضبط النفس بمعنى ضبط قوتي الغضب والشهوة، وهي دائما تحت سلطان وآمرة الحكمة. وتنمو قوة العدل في الإنسان من قوة العقل، فكلما كان العقل واعياً سليماً حكيماً، كان العدل عدلاً ومنصفاً بين قوتي الغضب والشهوة، أما إذا كان مريضاً فإنه لا انضباط بين قوتي الشهوة والغضب وهنا يفقد المرء اتزانه.

- **في مكارم الأخلاق للشخصية الإنسانية :**

إن النفس الإنسانية تحتاج إلى التذكرة المستديمة والوعظ الصادق الأمين حتى لا يعتريها الصدأ، ولتأمن من رياح الشرك العابثة، وتبتعد عن الأمواج العاتية حيث شط الأمان، ولذلك فإن الشخصية السوية المتزنة، هي تلك التي تتميز ببعض الخصائص الضرورية والهامة تثرى النفس في الجانب الأخلاقي، ونحتاج جميعا أن نثرى نفوسنا ببعض من هذه الجوانب، حتى تنشأ قوية مع الله عز وجل، وتكون نفوس شرفاء مع الحق لا تغرهم الحياة الدنيا وزينتها، ولا تبهرهم حضارتها. **ومن هذه الخصائص غايات منهجية تتمثل في:**

- **أولا ـ [الثقة بالله]:**

يقول الله تبارك وتعالى: **(وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)**[1]. حياة المؤمن تختلف عن

١- سورة البقرة – الآية: ٢١٦.

حيــاة غير المؤمن، أذلها لذاتها وحلاوتها سواء كان ذلك عند الكرب الشديد أو النعم اللطيفة، فهو يتقلب بين خوف ورجاء بين توكل وعمل بين رضا وحساب.

والإنسان من خلق الله، قد يبتليه الله عز وجل ويكون امتحانه ببعض أنــواع العسر والشدة ونقص المال والصحة، فهو في هذه التجربة مؤمن بقضــاء الله لا تنقص همته ولا يتقلص عزمه، بل تزيده المحن إيماناً يمضي في هذه التجربــة ثابت الجأش راضي النفس، مرتاح الضمير موقناً أن الله تعالى بجانبه وأنه جــل وعلا عندما ابتلاه تلطف به، وأن ما يحدث له في هذه المواقف هو أيســر مــا يمكن أن يحدث، وأنه لو اختار غير ذلك لكان قانطاً من رحمة الله وعطفه.

إن بين المؤمن وبين الله عز وجل عروة وثقى لا حد لها، وحب لا نهاية له ورضا لا رضا بعــده، أن الثقة في الله تجعل من المحال ممكناً ومن الصــعب سهلاً، ومن العوائق طريقاً للسعي والخير والجهاد في سبيل الله، إن الثقة بــالله تسير جنباً إلى جنب مع الصبر، فالواثقون بالله صابرون دائماً فإذا نفذ صــبرهم ضعفت ثقتهم وبالتالي ضعف إيمانهم، والواثقون بالله جل وعلا لا يخافون شــيئا ولا يخشون شيئا، فهم أبدا مع الله يجاهدون في سبيله[١].

- **ثانيا ــ [الصبر– خلق الصبر واحتمال الأذى]:**

من محاسن الأخلاق التي يتحلى بها المسلم، والصبر هو حبس النفس عمــا تكره، أو احتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم[٢]، والصبر هو نتاج العلــم والمعرفة وهو غاية من غايات أهل الحق والصدق، إذ أنه شجرة من أشجار الله تعالى، كما أنه لا يتم إلا بمال قائم أي بفضل من أفضال الله، وكذلك فإن الصبر لا يتم إلا بعمل ثمرة من ثمار الله[٣]، فالصبر نتاج المعرفة والمال والعمل[٤]،

١- دكتور/ حسن الشرقاوي – المرجع السابق – ص ١٣٥.

٢- الشيخ/ أبو بكر الجزائري – المرجع السابق– ص ١٥٣.

والصبر وعدم الجزع من الأخلاق التي تكتسب وتنال بنوع من الرياضة والمجاهدة، ولمــا احتمــال الأذى فهو الصبر ولكنه أشق، وهو بضاعة الصديقين وشعار الصالحين.

٣- يراجع في خلق الصبر: الأمام أبو حامد الغزالي – أحياء علوم الدين – الجزء ١٢.

٤- للمزيد في معاني جوانب الأخلاق يراجع: دكتور/ حسن الشرقاوي – ألفاظ الصوفية ومعانيها.

تصديقا لقوله تعالى: (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)[1].

وتتركز في الصبر الآداب الرفيعة والأخلاق القويمة، والصبر صفة من صفات الإنسان المؤمن، فإن الصابر يصبر عند الابتلاء ويشكر على حال النعمة، والصبر أيضا من فضائل العقل.

ويُعرف الصبر بأنه[2]: عدم الاعتراض على ضياع ما يتلذذ منه الإنسان من الألم وتحمل للمحن والفاجعات (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)[3]، والصبر غير كبت الدوافع والرغبات، فالصابر أمن لأنه ليس خائفاً على ضياع شهوة أو فقد لذة، وإنما هو يفعل الصبر وهو واع لما يفعل، عارف بثمرات صبره. وصفة الصبر هي من الصفات التي متى رسخت في قلب الإنسان، واستعملها في موضعها كانت دليلاً على قوة الإيمان وصدق اليقين. وقد عرف علماء الأخلاق الصبر بأنه: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع[4].

وضد الصبر الجزع بدليل قوله تعالى- في شأن أصحاب النار- (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص)[5]. والجزع: حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده لشدة اضطرابه وذهوله، يقال جزع فلان إذا ضعف عن حمل ما نزل به

أما الصبر فهو تحمل الألم بثبات لا ضعف معه، وباحتمال لا شكوى إلا لله -عز وجل- وهذا هو الصبر الجميل، وعقلاء الناس يوقنون بأن الحياة صراع بين الحق والباطل، ونزاع متواصل بين الخير والشر، وأن أحداثها عندما تستحكم ومصائبها عندما تتوالى وليلها عندما يطول، فلا أمل في انكشاف أثقالها إلا على طريق الصبر والمثابرة، واحتمال مكارهها بثبات وشجاعة، والعمل على تخطي العقبات بصبر جميل وحكمة بالغة، وعقل مستنير وعزيمة قوية[6].

١- سورة الرعد – الآية: ٢٤.

٢- دكتور/ حسن الشرقاوي – نحو منهج إسلامي- مرجع سابق – ص ١٣٦.

٣- سورة النحل – الآية: ١٢٦.

٤- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – مرجع سابق – ص٢٥٠.

٥- سورة إبراهيم – الآية:٢١.

٦- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – المرجع نفسه – ص ٥٢٠....... ويعقب على ذلك =

وبعض الناس يتوهمون أن الصبر معناه الخنوع والاستسلام للواقع الـذليل، والرضي بالهوان والضعف، والسكوت عن معالجة الأمور والتثاقـل عـن أداء الواجب. وهذا التوهم لا أساس له من النقل الصحيح أو من العقل السـليم، لأن الصبر الجميل الذي مدحه الله تعالى هو الذي يحمل صاحبه على بـذل أقصـى الجهد لاعتناق الفضائل واجتناب الرذائل، وعلى السعي فـي الأرض بـالطرق الشريفة لتحصيل المنافع التي أحلها الله تعالى، وللتعاون مع الغـير على البـر والتقوى لا على الإثم والعدوان، والصبر الجميل هو الذي يدفع صاحبه لتخطـى العقبات، وتحمل التبعات من أجل نشر الأمان والسلام والرخاء، والعلـم النـافع والخير الوفير بين الناس. ولذا قال الحكيم: (الصبر هو تعويـد الـنفس علـى المكاره)، وقال حكيم آخر: (تجرع الصبر أيها الإنسـان- أي أحتملـه بثبـات وقوة- فإن قتلك قتلك شهيداً، وإن أحياك أحياك عزيزاً).

وتدل فضيلة الصبر على أن صاحبها قد تحلى بضبط النفس وثبات القلـب، ورباطة الجأش وصدق الإيمان وكمال الرجولة، لان أثقـال الحيـاة وتكاليفهـا وأحداثها لا يطيقها الضعاف المهازيل، وإنما يطيقها أصحاب النفوس الكبيرة[١].

= نلجأ إلى الصبر لأن هذه الحياة التي نحياها ليست دار جزاء واستقرار، وإنما هي دار عمل وجهاد وامتحان وكدح من أجل الحصول على مطالبها، وكل ذلك يقتضى اختلاط النـاس الـذين اختلفـت أمزجتهم، وتباينت مصالحهم، وتضاربت مقاصدهم وغاياتهم.

١- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - المرجع السابق - ص ٢٥٢.

* ويزيد في المعنى: وليس معني ذلك أن الصبر يناقض الإحساس بالحزن، والشعور بالآلام، لأن هذا الشعور وذلك الإحساس أمران طبيعيان في كل نفس إنسانية سوية، وإنما الذي تأباه شريعة الإسـلام هو الخضوع الخانع لهذا الإحساس، والتصرف الذي يأباه الشعور الإنساني السليم، كأن يجزع جزعا يدل على عدم رضاه بقضاء الله وقدره، وكأن يظهر من الهلع والخوف ما تأباه الرجولـة ومكـارم الأخلاق. ومن الآيات الكريمة بشأن الصبر قوله تعالى: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليـه راجعـون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) سورة البقرة: الآيات ١٥٥ - ١٥٧.

والمعنى: ولنصيبكم - أيها المؤمنون - بشيء من الخوف، وبشيء من الجوع، وبشيء من النقص في الأنفس والأموال والثمرات، وبشر - أيها الرسول الكريم - الصابرين على هذه المصائب بـالأجر الجزيل، وهم الذين إذا نزلت بهم مصيبة قالوا إنا لله ملكا وتصرفا، وإنا إليه راجعون يوم القيامة، =

وقد قسم العلماء الصبر إلى ثلاثة أنواع، وكل نوع له مجالاته الواسعة[١]:

أ – صبر على طاعة الله تعالى: وأساسه أداء التكاليف الشرعية بإتقان وإحسان ومداومة وإخلاص، ولا شك أن هذا الأداء الجامع لكل ألوان الفضل، يحتاج إلى جهد وتعب ومشقة وصبر على أداء هذه الطاعات. وصدق الله العظيم إذ يقول: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)[٢].

ب– صبر على المعاصي: أي حرص دائم على الابتعاد عنها، ولا شك أن ذلك يكلف الإنسان ما يكلفه من صبر وتحمل ومعاناة، لا سيما في زمن كثرت فيه المغريات، وصارت فيه الشهوات المحرمة قريبة المنال سهلة القطاف. وفي الحديث الشريف: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات).

ت – وأخيرا صبر على المصائب: تلك التي تصيب الإنسان في نفسه أو ولده، أو ماله أو غير ذلك من النوازل التي تُحزن وتُؤلم. وقد أخبرنا القرآن الكريم في كثير من آياته أن هذه الحياة عرضة للآلام والمتاعب، وأن الناس فيها يجب عليهم أن يوطنوا أنفسهم على تحمل أعبائها بصبر وجلد.

ويخبرنا القرآن الكريم بأن الله تعالى يحب الصابرين وهم معهم برحمته وعونه. قال تعالى: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)[١]. وقوله تعالى: (واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)[٢]. آلا ما أجمل الصبر وما أحسن عواقبه، ورحم الله من قال: (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين).

– فيجازينا على صبرنا وعلى رضائنا بقضائه وقدره. وفضيلة الصبر والمثابرة خصال تتلاسق وتتناسب مع سنن الله تعالى في هذا الكون الذي نعيشه، وقد ضرب لنا سبحانه الأمثال التي ترشدنا إلى وجوب التحلي بصفة الصبر، منها خلقه سبحانه وتعالى العالم في ستة أيام مع قدرته على خلقه في طرفه عين أو أقل، ثم خلقه سبحانه وتعالى للبشر بتدرج في مراحل العمر المختلفة من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب إلى الكهوله ثم الشيخوخة.

١– فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوى– المرجع نفسه – ص ٢٥٣.

٢– سورة البقرة – الآية: ٤٥.

١– سورة الأنفال – الآية: ٤٦.

٢– سورة هود – الآية: ١١٥.

• ثالثاً – [القُدوة الحَسنة]:

إن حُسن الخُلق لا يتأتى عن طريق الأقوال وحدها وإنما يتأتى بصورة أكمل وأفضل عن طريق الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة والسلوك الحميد، فالصبي الذي يرى في والده كل سلوك فاضل، وكل قول جميل ينشأ (في الغالب الأعم) متمتعا بالخلق القويم، وينفر من كل اتجاه مخالف لذلك. وهل هناك أسوة حسنة خير لنا من سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه مثلاً أعلى للخُلق الذي يدعو إليه، وكان يغرس في أصحابه هذا الخُلق السامي بسيرته العطرة بما يقوله من حكم وعظات.

قال أنس بن مالك – رضي الله عنه – خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي أُف قط، ولا قال لشيء فعلتُه لما فعلتَه، ولا لشيء تركتُه لما تركتَه، كانت الخادمة تأخذ بيده الشريفة فتنطلق به إلى السوق ليعاونها في قضاء ما كلفت به. وكان صلى الله عليه وسلم إذا صافح إنساناً لا ينزع يدُه من يدِه حتى يكون الإنسان هو الذي يبدأ بنزع يده. وكان إذا جلس بين أصحابه جلس بوقار وتواضع. وكان يقول لأصحابه: لا تبلغوني عن أحد شيئاً أكرهه، فإني أحبُ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر[1].

• رابعاً – [العفاف – خُلق العفاف وعفة النفس]:

هناك ألفاظ عندما تطرق سمع الإنسان العاقل، يرتاح لها قلبه وينشرح لها وجدانه، ومن هذه الألفاظ لفظ العفة أو العفاف وهو بمعنى الصيانة والبعد عن كل ما لا يليق من الأقوال أو الأعمال.

** **يقال رجل عفيف أي**: حابس نفسه على كل ما هو حلال وجميل، ومنزها نفسه عن كل ما هو حرام أو قبيح[2]. وجاء في المجمع الوسيط[3]: (عَف عفة وعفافاً أي: كف عمالاً يَحل ولا يجمل من قول أو فعل فهو عفيف والجمع أعفة وإعفاء. والعفة ترك الشهوات من كل شيء، وغلب استعمال هذا اللفظ في

١- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوى – المرجع السابق – ص ٢٢٠.

٢- المرجع نفسه – ص ٢٢١.

٣- المعجم الوسيط – ج٢ – ص٦١١ مجمع اللغة العربية.

حفظ الفرج مما لا يحل. والعفيف المتصف بالعفة والجمع عفائف). وقد مدح القرآن الكريم الذين يتحلون بُخلق العفاف في مواطن متعددة منها قوله تعالى: (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا)[1]. ففي هذه الآية الكريمة مدح عظيم لأصحاب تلك النفوس العالية، التي تعتز بكرامتها الإنسانية وتتعفف عن سؤال الناس، حتى إنه ليظنهم من لا فراسة عنده أغنياء.

وجاء الحديث عن فضيلة العفاف مرتين في سورة (النور) الزاخرة بالآيات الكريمة، التي جاءت بالأحكام التي تصون الأعراض والحرمات وتأمر بغض البصر واستقامة الجوارح. ولقد مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المتعففون عن سؤال الناس في أحاديث متعددة منها[2]:

- ما جاء في الصحيحين عن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، ولا التمرة ولا التمرتان، إنما المسكين الذي يتعفف).
- وقوله صلى الله عليه وسلم: (ليس الغنىَ عن كثرة العروض، ولكن الغنىَ عن النفس). وفي حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال: (قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه).

ولقد بلغ من عفاف الصحابة أنه إذا لمس احدهم من النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أن التطلع إلى التكثر من المال لا يليق. يعاهد الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه لن يسأل أحداً بعده. ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في جمال خصال العفاف: (ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله).

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة دلت على أن خُلق العفاف متى أستقر في النفس، سما بصاحبها إلى أرفع الدرجات وأعلاها. ولقد أمر النبي صلى الله

١- سورة البقرة – الآية: ٢٧٣.

٢- دكتور/ محمد سيد طنطاوى – المرجع السابق – ص٢٢٤.

عليه وسلم أتباعه بغض البصر، وباجتناب كل ما يثير الشهوات المحرمة، وبالعفاف الذي يحمي المسلم من أي علاقة غير شرعية بين الرجال والنساء.

وجاء في الصحيحين عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحم يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم: الحم الموت)[1].

وروى الأمام أحمد والطبراني عن أبي أمامة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة، ثم يغض بصره إلا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه).

والخلاصة: إن الله تعالى يحب لعباده أن يتحلوا بالعفاف في كل مجالات الحياة، يحب لهم أن يتحلوا بالعفاف في مجال الشهوة وللبعد عن الحرام وعن الشبهات والسمع والبصر والقول والفعل، وفي مجال المعاملات المالية مع الغير، وفي مجال المحافظة على الكرامة الإنسانية.

- **خامسا ـ [العدل – في خلق العدل والاعتدال]:**

أ – العدل فضيلة[2]:

لفظ العدل معناه الإنصاف، وهو إعطاء المرء ماله وأخذ ما عليه. يقال فلان عادل في حكمه، إذا أعطى إنسان حقه دون محاباة أو ظلم. وقد جاء في بعض الآثار: بالعدل قامت السماوات والأرض وبالعدل والإنصاف والمساواة بين الناس، ينتظم الكون ويسعد الناس في تبادل المنافع التي أحلها الله تعالى بينهم.

العدل لغة: العدل القصد في الأمور وهو خلاف الجور. يقال: (عَدَلَ) في أمره عدلاً من باب ضربَ و(عَدَلَ) على القوم (عدلاً) أيضا و(معدلة) بكسر الدال وفتحها[3]. وبسط الوالي عدله.

١- ولفظ (الحم) يطلق على أقارب الزوجة كالأخ وأبن العم، والمقصود أن دخول غير المحارم على النساء ولختلاءهن بهن، قد يؤدى إلى لرتكاب الفواحش التي بدورها قد تؤدى إلى القتل لمن أرتكبها.

٢- فضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوى – المرجع السابق – ص ٢٢٨.

٣- المصباح المنير – كتاب العين – باب الدال – ص ٣٩٦.

وفلان من أهل (المعدلة) بفتح الدال أي من أهل العدل. ورجل (عدل) أي رضا ومقنع في الشهادة. –

وأيضا العدل وضع الشيء في موضعه، ولهذا يعدل المسلم في قوله وحكمه ويتحرى العدل في كل شأنه حتى يكون خُلقاً له. ووضعاً لا ينفك عنه فتصدر عنه أقواله وأعماله عادلة بعيدة عن الحيف والظلم والجور[1].

*** العدل من صفات الله سبحانه وتعالى وتعاظمت قدرته[2]:**

وفضيلة العدل من صفات الله تعالى لأنه جل وعلا منزه بذاته العليا عن الظلم. قال تعالى: (إن الله لا يظلمُ مثقالَ ذرة وإن تكُ حَسَنَةً يُضاعفها ويؤتِ من لدنه أجراً عظيماً)[3].

والإقساط هو العدل والمقسطون العادلون، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كرامات المقسطين عند ربهم بقوله: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا). رواه مسلم.

وقال سبحانه وتعالى: (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)[4]

وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يلتزم العدل في كل أقواله وأعماله فقال تعالى: (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل ءامنتُ بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربُكمُ ......)[5].

بل إن الله تعالى قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالتزام العدل في الأحكام حتى مع غير المسلمين، فقد قال تعالى: (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تُعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين)[6].

- قال الأخفش: (العدل) بالكسر المثلُ و(العدل) بالفتح أصله مصدر. وقال الفراء: (العدل) بالفتح ما عدل الشيء من غير جنسه. ويقال (عدله تعديلا فاعتدل) أي قومه فاستقام. مختار الصحاح – باب العين – ص ١٧٦.

١- دكتور/ مصطفى مراد- منهاج المؤمن- القاهرة- دار الفجر للتراث- ط ١- ٢٠٠١- ص ١٠٥.

٢- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوى – المرجع السابق – ص ٢٢٨ وما بعدها.

٣- سورة النساء – الآية: ٤٠.

٤- سورة يونس – الآية: ٤٤.

٥- سورة الشورى – الآية: ١٥.

٦- سورة المائدة- الآية: ٤٢.

وكما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالعدل، أمر الناس جميعا بذلك، لأن كل خطاب له صلى الله عليه وسلم هو خطاب لأمته ألا في الخصوصيات:

- العدل في القول فقال تعالى: (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى)[1].
- العدل في الحكم فقال تعالى: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)[2]
- كما أمرنا عز وجل بالعدل في الشهادة حيث قال: (وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ....)[3]. ويقول تعالى: (اعدلوا هو أقرب للتقوى)[4] تصريح بوجوب التزام العدل، بعد ما علم من النهى عن تركه في قوله: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا)[5]. للتأكد على وجوب اعتناق من آمان بالله لفضيلة العدل، ولبيان العلة في تكليفه بذلك.

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد دعا إلى التزام فضيلة العدل، في شتى الأقوال والأفعال والسلوك، فأخبرنا بأن العدل من صفات الله عز وجل وهو وظيفة الرسل– عليهم الصلاة والسلام– ثم أمرنا بالعدل في الحكم، وفى القول وفى الكتابة وفى الشهادة، وفى الإصلاح بين الناس[6].

- وللعدل مظاهر كثيرة يتجلى فيها منها[7]:

- العدل مع الله تعالى: بأن لا يُشرك معه – سبحانه وتعالي– في عبادته وصفاته غيره، وأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.
- العدل في الحكم بين الناس: بإعطاء كل ذي حق حقه وما يستحقه. وفي الحديث النبوي الشريف من السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل[8].

١– سورة الأنعام – الآية: ١٥٢.

٢– سورة النساء – الآية: ٥٨.

٣– سورة الطلاق – الآية: ٢.

٤– سورة المائدة – الآية: ٢.

٥– سورة المائدة – الآية: ٨.

٦– فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوى – المرجع السابق – ص ٢٣٠.

٧– الشيخ/ أبو بكر الجزائري– مرجع سابق– ص١٦٤، د/ مصطفى مراد– مرجع سابق– ص ١٠٥

٨– وباقي السبعة: (شاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل معلق قلبه في المساجد، ورجلان تحابا في=

- العدل بين الزوجات والأولاد: فلا يفضل أحد على آخر، ولا يؤثر بعضهم على بعض.
- العدل في القول: فلا يشهد زوراً، ولا يقال كذباً أو باطلاً.
- العدل في المعتقد: فلا يعتقد غير الحق والصدق، ولا يثنى الصدر على غير ما هو الحقيقة والواقع.

ب – العدل ثمرة طيبة:

من ثمرات العدل في الحكم إشاعة الطمأنينة في النفوس. وقد روى أن قيصراً أرسل إلى عمر بن الخطاب رسولاً لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل عن عمر وقال: أين ملككم ؟ فقالوا: ما لنا ملك بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج في طلبه. فرآه نائما فوق الرمل، وقد توسد درته (وهى عصا صغيرة كانت دائماً بيده يغير بها المنكر)، فلما رآه على هذا الحال وقع الخشوع في قلبه فقال: رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته، وتكون هذه حالته، ولكنك يا عمر **عدلت فنمت**، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهراً خائفا ![1].

ت – أنواع العدل:

أتفق العلماء في الفقه على أن العدل أنواع، كما أن الظلم كذلك أنواع، فمن ألوان العدل وأنواعه[2]:

- **نوع تحكم العقول السليمة دائماً بحسنه:** وهو المتمثل في الإحسان إلى كل من أحسن إليك، وفى كف الأذى عن من كف آذاه عنك. قال تعالى: (**هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان**)[3]. والمعنى أن الإحسان يكون جزاءه الإحسان.

– الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه).
رواه البخاري.

١- الشيخ/ أبو بكر الجزائري – المرجع السابق – ص ١٦٥.

٢- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوى – المرجع السابق – ص ٢٣٢ وما بعده.

٣- سورة الرحمن – الآيـة: ٦٠.

- **ونوع آخر أباحته شريعة الإسلام ومن أمثاله:** رد العدوان، وتأديب الظالم واحتقار المغرور، ومقابلة المسيء بالعقوبة الرادعة التي تحمي أموال الناس وأعراضهم من شروره. قال تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)[1].

ث – عن الاعتدال:

وأما الاعتدال فإنه أعم من العدل، فهو ينتظم به كل شأن من شئون المسلم في هذه الحياة، والاعتدال هو الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط وهما الخُلقين الذميمين. **فالاعتدال في العبادات** أن تخلو من الغلو والتنطع والإهمال والتفريط، **والاعتدال في النفقات الحسنة** بين السيئين فلا إسراف ولا تقتير، ولكن القوام بين الإسراف والتقتير (البخل والشح). قال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، وكان بين ذلك قواماً)[2].

والاعتدال في اللباس الحد بين الفخر والمباهاه، ولباس الخشن والمرقعات. وفى المشي الاعتدال حد وسط بين الاختيال والتكبر.

والاعتدال أخو الاستقامة وهى من أشرف الفضائل وأسمى الخلائق، إذ الاستقامة توقف صاحبها دون حدود الله تعالى فلا يتعداها، وتنهض به إلى الفرائض فلا يقصر في أدائها، أو يفرط في جزء من أجزائها، وهى التي تعلمه العفة فيكتفي بما أحل الله له عما حرم عليه[3].

ويكفى صاحب الاستقامة فخرا وشرفا قول الله تعالى: (وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)[4]، وذهب احد الفقهاء إلى القول بأن الاعتدال هو الاستقامة، ولا يمكن أن يتم العدل في النفس إلا بالاعتدال، وهو تربية النفس تربية سليمة للأخلاق، فالاعتدال استقامة وموازنة وقسط وقوامة وإقامة للعدل[5]

١- سورة البقرة – الآية: ١٩٠.

٢- سورة الفرقان – الآية: ٦٧.

٣- الشيخ / أبو بكر الجزائري – المرجع السابق – ص ١٦٥.

٤- سورة الجن – الآية: ١٦.

٥- الشيخ/أبو طالب المكي-قوت القلوب– ج٢، مشار إليه د/حسن الشرقاوي-مرجع سابق– ص١٣٧

جـ - رذيـلة الظلـــم:

إذا كانت فضيلة العدل في أسمى درجات الكمال، فإن رذيلة الظلم أحط دركات النقصان. والظلم- كما ذكر الراغب في مفرداته- هو: (وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، والظلم يقال في مجاوزة الحق، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفى الذنب الصغير)[1].

والذي يتدبر القرآن الكريم يجد أن تحريم الظلم، والعذاب الشديد عليه قد ورد في الكثير من الآيات الكريمة، فيبين لنا القرآن الكريم أن الظلم يؤدى إلى سوء المصير في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)[2]. وقال تعالى:(وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً)[3].

وينهانا القرآن الكريم عن الاقتراب من الظالمين. يقول سبحانه وتعالى: (ولا تركَنُوا إلى الذينَ ظلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصَرُونَ)[4]. ويرشدنا إلى أن الظلم سيؤدى إلى الخسران وأن عاقبته الخيبة، فيقول تعالى: (والوزنُ يومئذ الحقُّ فمن ثقُلت موازينُهُ فأولئك هم المفلحون(٨) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون)[5].

آيات كريمة فيها ألوانا من التهديد والتحذير من سوء المصير، لأولئك الذين يعتدون ويظلمون ويفسدون ولا يصلحون، وروى عن الرسول صلي الله عليه وسلم قوله: أن الظلم ظلمات يوم القيامة. ومن الأقوال الحكيمة المأثورة من ظلم يظلم ولو بعد حين.

ــ عن أقسام الظلم: وأما أقسام الظلم فهي ثلاثة بيانها[6]:

١- الشيخ العالم/ الراغبي الأصفهاني – المفردات في غريب القرآن – ص ٣١٥.

٢- سورة الأنعام – الآيـة: ٤٥.

٣- سورة الكهف – الآيـة: ٥٩.

٤- سورة هـود – الآيـة: ١١٣.

٥- سورة الأعراف – الآيتان: ٨، ٩.

٦- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – مرجع سابق – ص ٢٣٤.

- **الأول:** كما يقول الراغب في مفرداته ظلم بين الإنسان وخالقه. وأعظمه الشرك والكفر والنفاق ولذا قال سبحانه وتعالى: (**إن الشرك لظلم عظيم**)[1].
- **والثاني:** ظلم بين الإنسان وغيره بأن يسيء إليهم، أو يأخذ شيئاً من حقوقهم. قال تعالى: (**إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم**)[2].
- **والثالث:** ظلم يقع بين الإنسان ونفسه، بأن يتركها وهواها بحيث تقع في الفواحش والآثام دون أن يحاسبها أو يمنعها من ذلك. قال تعالى: (**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير**)[3].

جـ – الترغيب في العدل والترهيب من الظلم:

لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أتباعه بتحري العدل، ونهاهم في كثير من أحاديثه الشريفة عن الظلم. ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر – رضي الله عنه – قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال: (اتقوا الظلم فإن** الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فأن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم). وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – **قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(أن الله ليملي للظالم ــ أي ليمهل الظالم ــ فإذا أخذه لم يفلته)**. وفي الحديث القدسي الذي رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن رب العزة.... **يقول الله عز وجل:**

(يا عبادي أني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا).

والتزام العدل في الأقوال وفي الأفعال وفي الأمور المادية التي يسهل وزنها وضبطها، وفي الأمور العقلية والمعنوية التي يصعب أدراكها ويحتاج ضبطها إلى جهد شديد، والتزام العدل في كل ذلك يتحقق عند من أعطاهم الله تعالى الإيمان القوى والعزم الفتي، والعاقل الراجح والعلم النافع والقلب الشجاع

١- سورة لقمان – الآية: ١٣.

٢- سورة الشورى – الآية: ٤٢.

٣- سورة فاطر – الآية: ٣٢.

الثابت على الحق. وقد جاء في الآيات الكريمة بيان فضل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: (ولولا فضلُ الله عَليكَ وَرَحمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ منهم أن يُضلوكَ وَمَا يُضلونَ إلا أنفسَهُم وَمَا يَضُرُّونَكَ من شيء وَأنزَلَ الله عَلَيكَ الكِتَابَ وَالحكمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لم تَكُن تَعلَمُ وَكَان فَضلُ الله عَليكَ عَظيماً)[1].

والحق أن المتأمل في هذه الآيات الكريمة ليراها تهدى الناس إلى العدل الذي لا يميل مع الهوى، ولا مع العصبية ولا يتأرجح مع الحب أو البغض، ولو كان الذي عليه الحق ممن يظهرون الإسلام والذي له الحق من غيرهم. ترى أتوجد عدالة تقترب من هذه العدالة في سموها واستقامة منهجها ؟

ولقد سار السلف الصالح على هذا الهدى الكريم الذي يحقق العدل ويزهق الظلم، فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب- رضي الله عنه- يوصى الاشتر النخعي الذي ولاه على مصر بقوله: (أنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى على رعيتك، فإنك إن لم تفعل تكن ظالماً ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه، ومن خاصمه الله أبطل حجته، وليس شيء أدعى إلى تغير النعمة وتعجيل النقمة من الظلم. فإن الله تعالى يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد). ورحم الله القائل: (إن الله تعالى يقيم الدولة الكافرة مع العدل ولا يقيم الدولة المسلمة مع الظلم). وقال حكيم: (أن العدل أساس الملك)[2]

١- سورة النساء - الآية: ١١٣.

٢- راجع بشأن العدل في الحكم في الدولة الإسلامية: ما حدث في عصر الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - بشأن واقعة طعمة بن أبيرق الذي سرق من جار له اسمه قتاده بن النعمان درعا، وخبأها عند رجل من اليهود اسمه زيد ابن السمين. وحكم الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم في الواقعة. (فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي - المرجع السابق - ص ١٣٦).

• وأيضا واقعة رجل من أهل مصر جاء يشكو لعمر بن الخطاب ما حدث له على يد أبن عمرو بن العاص والى مصر، عندما سابقه الرجل على فرسه فضربه أبن عمرو بن العاص وقال له: أبن أبن الأكرمين. فجعله عمر يقتص ممن ضربه بان ضرب ابن عمرو بن العاص، وكان عمر رضي الله عنه- خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم - يقول له: اضرب ابن الأكرمين ثم قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص: يا عمرو متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا. (الشيخ/ أبو بكر الجزائري - مرجع سابق - ص ١٦٤).

- سادسا – [في خلق الصدق]:

كلمة الصدق من الكلمات التي تطرق السمع فيرتاح لها القلب وتنشرح بها النفس وتهفو إليها المشاعر. لأنها كلمة جميلة تدل في أصلها اللغوي على القوة والثبات. يقال: رمح صدق، أي: صلب متين. والصدق بفتح الصاد مع التشديد: الكامل من كل شيء.

وقد عرف العلماء الصدق بأنه مطابقة ما ينطق به اللسان، لما هو مستكن في القلب والوجدان، وبذلك يكون القول تام الصدق. أما إذا قال الإنسان كلاماً بلسانه يخالف ما في ضميره وما في نفسه فلا يكون صادقاً، بدليل أن المنافقين كانوا يقولون بألسنتهم للرسول صلى الله عليه وسلم نشهد إنك رسول الله، ومع هذا كذبهم الله تعالى ولعنهم لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم[1]. قال تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)[2]. وهذا كلام صادق من جهة الواقع، إلا أن الله تعالى أخبر وشهد بأنهم كاذبون، وكذبهم ليس من جهة النطق باللسان، ولكنه من جهة ما تضمره قلوبكم وما تخفيه نفوسهم الخبيثة من خداع وعداوة للرسول صلى الله عليه وسلم.

أ – الصدق لغة:

(صدقاً) خلاف كذب فهو (صادق وصدوق) مبالغة، و(صدقته) بالتثقيل نسبته إلى الصدق و(صدقته) قلت له صدقت[3]. وقد (صدق) في الحديث يصدق بالضم (صدقاً)، ويقال أيضا (صدقته) الحديث و(تصادقا) في الحديث وفي المودة و(الصديق) بوزن السكيت الدائم التصديق هو الذي يصدق قوله بالعمل[4]

ب – إن الصدق هو مطابقة الخبر للواقع[5].

١- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي- المرجع السابق – ص ٢٣٩.

٢- سورة المنافقون – الآية: ١.

٣- المصباح المنير – كتاب الصاد – ص ٣٣٥.

٤- مختار الصحاح – باب الصاد – ص ١٥١.

٥- منهاج المؤمن- مرجع سابق- ص ١٠٦، للشيخ/ أبو بكر الجزائري- المرجع السابق- ص ١٧٣

سمات الشخصية الإنسانية السوية

- ***في الجانب النفسي***

القدرة على الفهم الصائب لذاتها وللآخرين (تقبل الذات).

الإدراك السليم للواقع ومعرفة عناصره.

البعد عن التخلف العقلي وقصور الإمكانيات والقدرات.

القدرة على التعليم من الخبرة.

القدرة على ضبط النفس والتحكم في انفعالاتها وأهوائها.

القدرة على الحب والتعاون والإيثار.

الطموح المناسب للشخصية والأهداف الواقعية في الحياة.

القدرة على العمل المنتج البناء.

جدية الشخصية وقدرتها على تحمل المسئولية.

القدرة على تحمل الإحباط والصدمات.

- ***في الجانب الأخلاقي***

الثقـــة بالله عز وجل.

الصبر – خُلق الصبر واحتمال الأذى.

القُدوة الحَسنة.

العـفاف – خُلق العفاف وعفة النفس.

العدل – في خلق العدل والاعتدال.

في خُلق الصدق.

في خُلق الرحمة ــ ورحمتي وسعت كل شيء

خُلق التواضع – البعد عن الكبر والتكبر.

خُلق طلب العلم – وقل ربي زدني علما.

خُلق القوة – المؤمن القوى.

خُلق التوكل على الله تعالى.

خُلق الأدب مع النفس.

وللصدق ثمرات طيبة يجنيها الصادقون منها راحة الضمير وطمأنينة النفس والبركة في الكسب وزيادة الخير، والفوز بمنزلة الشهداء والنجاة من المكروه.

ـ ثمرات الصدق الطيبة:

- راحة الضمير وطمأنينة النفس:

ورد في سنن الترمذي عن على بن أبى طالب- رضي الله عنه- قال: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة).

- البركة في الكسب وزيادة الخير:

لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما). رواه البخاري

- الفوز بمنزلة الشهداء:

لقوله صلى الله عليه وسلم: (من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) رواه مسلم.

- النجاة من المكروه:

فقد حكى أن هارباً لجأ إلى أحد الصالحين وقال له: أخفني عن طالبي، فقال له: نم هنا، وألقى عليه حزمة من خوص، فلما جاء طالبوه وسألوا عنه قال لهم: هاهُ ذا تحت الخوص، فظنوا أنه يسخر منهم فتركوه، ونجا ببركة صدق الرجل.

والمسلم لا ينظر إلى الصدق كخُلق فاضل يجب التخلق به، بل يذهب إلى أن الصدق من متممات إيمانه ومكملات إسلامه إذ أمر الله تعالى به، وأثنى على المتصفين به، كما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم وحث عليه. وإذا قال الناس إن فلاناً صادق، فمعنى ذلك أنه يخبر بلسانه عما هو مستقر في قلبه، أما إذا قالوا بأن فلاناً صديق فمعناه أنه ملازماً للصدق في أقواله وأفعاله قال تعالى: (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كانَ صديقاً نبيا)[1]. وقال سبحانه: (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً(٥٦) ورفعناهُ مكاناً عليا)[2].

١- سورة مريم – الآية: ٤١.

٢- سورة مريم – الآية: ٥٦، ٥٧.

ت – وقد تناولت آيات القرآن الكريم فضيلة الصدق في مواضع كثيرة، ذات دلائل عظيمة بيانها:

- **أن فضيلة الصدق صفة من صفات الله تعالى:** وهذا يدل على سمو مكانتها وعلو شأنها. قال تعالى: **(ومن أصدق من الله قيلا)**[1]. **(ومن أصدق من الله حديثا)**[2]. والمعنى: لا أحد أصدق في الحديث وفي القول من الله عز وجل.
- **أن فضيلة الصدق صفة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم:** بل هي كذلك صفة من صفات الرسل جميعا. قال تعالى: **(وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الأَحزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُم إلاَّ إِيماناً وَتَسلِيماً)**[3].وقوله جل وعلا: **(ونفخ في الصور فإذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون (٥١) قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)**[4]. ولقد قرر كل ذي عقل سليم، أن على رأس الصفات الواجبة في حق الرسل جميعاً صفة الصدق.
- **وصفة الصدق دعا بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام:** فمن الدعوات التي حكاها القرآن الكريم قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: **(رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين. واجعل لي لسان صدق في الآخرين)**[5].

ث – هذا وللصدق مظاهر يتجلى فيها، من هذه المظاهر[6]:

- **في صدق الحديث:** المسلم الحق إذا حدث لا يحدث بغير الحق والصدق، وإذا أخبر فلا يخبر بغير ما هو الواقع في نفس الأمر، إذ كذب الحديث من

١- سورة النساء – الآية: ١٢٢.

٢- سورة النساء – الآية: ٨٧.

٣- سورة الأحزاب – الآية: ٢٢.

٤- سورة يس – الآيات: ٥١، ٥٢.

٥- سورة الشعراء – الآيات: ٨٣، ٨٤.

٦- الشيخ / أبو بكر الجزائري – المرجع السابق – ص ١٧٣.

النفاق وآياته. قال صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان) متفق عليه.

- **في صدق المعاملة:** المسلم إذا عامل أحداً صدقه في معاملته، فلا يغش ولا يخدع ولا يزور ولا يغرر بحال من الأحوال.
- **في صدق العزم:** المسلم إذا عزم على فعل ما ينبغي فعله لا يتردد في ذلك، بل يمضي في عمله غير ملتفت إلى شيء أو مبال بآخر حتى ينجز عمله.
- **في صدق الوعد:** المسلم إذا وعد أحدا أنجز له ما وعده به، إذ خلف الوعد من آيات النفاق.
- **في صدق الحال:** المسلم لا يظهر في غير مظهره، ولا يُظهر خلاف ما يُبطنه، فلا يلبس ثوب زور، ولا يرائي ولا يتكلف مالاً ليس له. قال صلى الله عليه وسلم: (المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور) رواه مسلم. **والمعنى:** أن المتزين والمتجمل بما لا يملك ليرى أنه غني، يكون كمن يلبس ثوبين خلقيين ليتظاهر بالزهد وهو ليس بزاهد ولا متقشف.

جـ - من أمثلة الصدق الرفيعة:

قوله تعالى: *(واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً)*[1]. وقد روى الترمذي عن عبد الله بن الحمساء قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يُبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت عد ثلاثة أيام فجئت، فإذا هو في مكانه فقال صلى الله عليه وسلم: يا فتى لقد شققت على أنا ها هنا منذ ثلاث أنظرك.

كما روى الإمام البخاري- رحمه الله تعالى- أنه خرج يطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت فرسه، وهو يشير إليها برداء كان فيه شعيراً فجاءته فأخذها، فقال البخاري: أكان معك شعير ؟ فقال الرجل: لا ولكن أوهمتها. فقال البخاري: لا أخذ الحديث ممن يكذب على البهائم. فكان هذا من البخاري مثلا عاليا في مجرى الصدق.

١- سورة مريم - الآية: ٥٤.

حـ – ما يتعلق به الصدق:

يرى الأمام الترمذي أن الصدق يتعلق بناحيتين، ناحية عقلية وناحية أخلاقية[1]:

– **فالصدق من الناحية العقلية:** يعنى العدل والعدل أساس المعرفة.

– **وأما الصدق من الناحية الأخلاقية:** فأنه يعنى الحق والحقيقة.

وبذلك يكون الصدق صورة متكاملة للعالم من الناحية العقلية والسلوكية، أو من حيث العلم والعمل، أو من حيث الذات والموضوع. فالصدق صورة متطورة للمعرفة تبدأ من الحق وتنتمي إليه.

* **وللصدق مقومات ثلاث هي[2]:**

– **[المقوم الأول] المثل العليا:** يختلف كل إنسان عن الآخر في ميوله واستعداداته وقدراته، وبالتالي حظه في المثل العليا، وأكثر الناس صدقاً أكثرهم تأملا في هذه المثل..... والتأمل يعاون الإنسان على التعرف على الفضائل، والتخلق بمكارم الأخلاق، *وقمة هذه الأخلاق التخلق بأخلاق الله تعالى والإقتداء* بأسماء الله الحسنى، وصفاته الحميدة كالرحمة والبر والصدق والحكمة والعطف والإحسان والعلم.....، وغير ذلك من الأسماء والصفات للذات الآلهيه، التي إذا جعلها *الإنسان قدوة له فإنها تعده للحياة المطمئنة*، وتزوده بالحق الاجتماعي الفاضل، وكلما رسخت هذه المثل في نفسه كلما زادت حكمته وفضله ومروءته.

– **[المقوم الثاني] علم الأسرار:** من مقومات الصدق هو علم الله جل وعلا أو علم الأسرار، الذي تنطوي تحته حكمه الله سبحانه وتعالي البالغة، وهى أصل من أصول الصدق الآلهى.... قال تعالى: **(وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)**[3]. وقال سبحانه وتعالى: **(قُلْ صَدَقَ اللهُ فاتبعُوا ملةَ إبراهيم حنيفاً وَمَا كَانَ منَ المشْركين)**[4]. والصدق هنا ينصب على

١- دكتور/ عبد المحسن الحسيني – المعرفة عند الحكيم الترمذي – القاهرة – دار الكتاب العربي – بدون سنة نشر – ص ٢٧٣.

٢- دكتور/ حسن الشرقاوي – المرجع السابق – ص ١١٦، ١١٧.

٣- سورة الأنعام – الآية: ١١٥.

٤- سورة آل عمران – الآية: ٩٥.

علم الأسرار الذي هو علم الله تعالى بالغيب، وهما أصل اليقين والإيمان الذي يربط بين الحياة والاعتقادية والسلوك الأخلاقي للإنسان، بحيث لا يتشكك الإنسان في صدق طريق الله تعالى وفى الإيمان به جل وعلا. سبحان القائل في كتابه الكريم: (ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[1].

ـ [المقوم الثالث] البصيرة: هي من مقومات الصدق، والبصيرة تعتمد اعتمادا تاما على العنصرين السابقين وهما المثل العليا وعلم الأسرار. أي تعتمد على أخلاق الفرد، وعمق تأمله في حقائق الكون من ناحية وفى الإيمان واليقين بعلم الله والغيبيات، فينتج علم الفراسة، والمتفرس يتمثل الصورتين الأخلاقية والاجتماعية من منطلق على قدر بصيرته، فيتشكك المعاني الغامضة التي تدق على غيره من أصحاب الحس والعقل. والبصيرة بهذا المعنى ملَكة يحظى بها العارف أساسها الصدق، فيدرك الموضوعات الخارجية إدراكاً حقيقياً، وبهذا المعنى تكون البصيرة كالصدق إلا أنها تختلف عن الصدق في الدرجة والقوة، كما أنها تختلف من إنسان إلى أخر بحسب صدقه إذ أنها ليست عامة، إنما هي ملَكة ذاتية يختص بها أهل الصدق أصحاب البصائر.

- سابعا ـ [في خلق الرحمة ـ ورحمتي وسعت كل شيء]:

من الكلمات الجميلة التي يرتاح لها القلب، وتحبها النفس، وتهفوا إليها المشاعر النقية، كلمة الرحمة التي تطلق في اللغة على الرأفة والرقة والعطف والإحسان ولين الجانب[2]، والرحمة هي شيء يمسك بالقلب يحمل الإنسان أن يتألم لألام الخَلق ويحزن لأحزانهم ويعطى فقيرهم ويساعد ضعيفهم ويغيث ملهوفهم[3]. قال تعالى: (فبما رحمة من الله لنتَ لهُم ولو كُنتَ فظًا غَليظَ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم ....)[4].

والمعنى: أنه بسبب رحمة عظيمة فياضة سكبها الله تعالى في قلبك أيها الرسول

١- سورة آل عمران – الآيـة: ١٩١.

٢- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – مرجع سابق – ص ٢٧٠.

٣- دكتور/ مصطفى مراد – مرجع سابق – ص ١٠٥.

٤- سورة آل عمران: الآية– ١٥٩.

الكريم، كنت لين الجانب مع أصحابك، رءوفاً بهم عطوفاً عليهم فأحبوك حباً يفوق حبهم لأنفسهم، ولو كنت جافياً خشن الجانب، قاسياً في أقوالك وأفعالك، لا *تتأثر بأحوال من أُرسلت إليهم لتفرقوا* عنك، ولنفروا منك ولكرهوا اللقاء بك.

وإن كانت الرحمة في حقيقتها رقة القلب وانعطاف النفس المقتضى للمغفرة والإحسان، فإنها لن تكون دائماً مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها في الخارج، بل إنها ذات آثار خارجية ومظاهر حقيقية تتجسم فيها العفو والمغفرة والإغاثة والمساعدة والمواساة[1].

وفضيلة الرحمة في أفقها الأعلى، وفى شمولها المطلق صفة من الصفات الحُسنى لله رب العالمين، ولفظ الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، ولفظ الرحيم الذي لا تنقطع رحمته لحظة عن خلقه، من أسماء الله الخالق عز وجل، وهذان اللفظان قد تكررا في القرآن الكريم عشرات المرات. وقد وصف سبحانه وتعالى ذاته العليا بأنه أرحم الراحمين في آيات متعددة فقال سبحانه: (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين)[2]، وقال عز وجل في محكم آياته: (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين)[3].

وفى الصحيحين عن أبى هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم **يقول**: جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخَلق، حتى ترفع الفرس حافزها عن ولدها خشية أن تصيبه.

وليست الرحمة حناناً لا عقل معه، وليست شفقة تتنكر للعدل والنظام، وإنما هي عاطفة عاقلة تضع الأمور في نصابها، فتحسن إلى من يستحق الإحسان وتحاسب وتعاقب من يستحق المحاسبة أو العقاب. **وضد الرحمة** القسوة وتبلد الحس وغلظة القلب وتحجر المشاعر، وهى صفات قبيحة تدل على تغلغل الأنانية في نفس صاحبها. وقد ذم الله تعالى من قسمت قلوبهم ذماً شديداً.

١- الشيخ/ أبو بكر الجزائري – مرجع سابق – ص ١٦٦.

٢- سورة يوسف – الآية: ٦٤.

٣- سورة الأنبياء – الآية: ٨٣.

قال تعالى: (ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)[1]. فالآية الكريمة تشير إلى أن قسوة القلب رذيلة علتها وسببها الفسوق عن طاعة الله تعالى. وفي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: (أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب)، ورد في الصحيحين البخاري ومسلم.

- **ثامنا ـ [خلق التواضع – البعد عن الكبر والتكبر]:**

من الخصائل الحسنة التي يحسن أن يتمتع بها الإنسان التواضع، فيكون متواضع في غير مذلة ولا مهانة، والتواضع يكون ليرتفع المرء ويعلو، ولا يتكبر لئلا يسقط في هاوية غروره. والتواضع من الأخلاق المثالية والصفات العالية، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله). رواه مسلم.

وعندما يصغى العاقل بأذنه وقلبه إلى مثل هذه الأخبار الصادقة من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم في الثناء على المتواضعين مرة، وفي ذم الكبر والمتكبرين مرة أخرى، وطورا في الأمر بالتواضع، وآخر في النهي عن الكبر، فكيف لا يتواضع ولا يكون التواضع خلقا له، وكيف لا يتجنب الكبر ويمقت المتكبرين ؟ قال الله تعالى: (ولا تمش في الأرض مرحا)[2]. وقال سبحانه: (يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) [3]. والله تعالى بذلك يأمرنا بالتواضع، ويثني على أوليائه بوصف التواضع فيهم. فالمتواضع يرفعه الله تعالى درجات ويجزيه بأحسن الجزاء.

- **تاسعا ـ [خلق طلب العلم – وقل ربي زدني علما]:**

نحن الآن في عصر لا تتنافس فيه الأمم بضخامة أجساد أبنائها ولا بسعة أرضها، ولا بكثرة تعدادها، وإنما نحن الآن في عصر العلم. في العصر الذي تتنافس فيه الأمم وتتباهى، بوفرة العلم بين أبنائها وبرجاحة العقول وجودة

١- سورة الحديد – الآية: ١٦.

٢- سورة الإسراء – الآية: ٣٧.

٣- سورة المائدة – الآية: ٥٤.

الأفكار، وبالتقدم والرقى في شتى ألوان الاختراع والابتكار والفكر، وفى غير ذلك من ثمرات البحث والدراسة والإطلاع والقراءة، والتأليف في مختلف العلوم الدينية والتربوية والاجتماعية والطبية والهندسية والفلكية والنفسية والاقتصادية، وهذا كله لا يتيسر لأي أمة إلا بالتبحر والرسوخ في مختلف العلوم والمعارف، التي أخرجتها روائع العقل البشري وعبقريات الفكر الإنساني

وكيف لا يكون الأمر كذلك، وكل عاقل يعلم أن عظمة الدولة الإسلامية ما قامت إلا على أركان وطيدة من العلم النافع والفكر الثاقب والثقافة التي تعددت ألوانها، وانبثقت ينابيعها من توجيهات الإسلام المستمدة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة، ومن نتاج العقول السليمة التي تبنى ولا تهدم، وتُعمر ولا تُخرب وتُصلح ولا تُفسد وتُجمع ولا تُفرق، وتعتنق الفضائل وتنبذ الرذائل[1].

ومن المتفق علية بين العقلاء أن دين الإسلام يفرض على أتباعه أن يكونوا من أهل العلم، لأن العلم هو الحياة للإنسان ويكفى أن أول ما أُنزل على الرسول صلى الله علية وسلم من قرآن كريم قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق (١)خلق الإنسان من علق (٢)اقرأ وربك الأكرم (٣)الذي علم بالقلم (٤)علم الإنسان ما لم يعلم(٥))[2]. فهل هناك صيحة سَمت وعلت بقدر القلم ورفعت من شأن القراءة، وعظمت من قيمة العلم، كهذه الصيحة القرآنية الكريمة ؟. ويخبرنا القرآن الكريم أن خير دعاء يتضرع به الإنسان إلى الخالق عز وجل أن يسأله المزيد من العلم، وأنه مهما أوتى من علم فهو قليل، قال تعالى: (فتعالى اللهُ الملكُ الحقُ ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقُل ربى زدنى علما)[3]، وقال عز وجل: (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم)[4].

وإذا اتجهنا إلى السنة النبوية الشريفة، نجد الكثير من الأحاديث التي تصرح بفضل العلم والعلماء وتدعو إلي طلب العلم، وترفع من منزلة أصحابه،

١- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – مرجع سابق – ص٢٦٠.

٢- سورة العلق – الآيات: ١ إلي ٥.

٣- سورة طـه – الآية: ١١٤.

٤- سورة يوسف – الآية: ٧٦.

وتأمر بتبليغه ونشره وتنهى نهياً شديداً عن كتمانه، وتوضح أن للعلم آدابا يجب أن يتحلى بها العالم، وأن العلم النافع تبقى بركاته ويبقى أثره الطيب لصاحبه بعد موته، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[1]، وقوله صلى الله علية وسلم: (إن العلماء ورثة الأنبياء)[2].

وتجارب الحياة علمت العقلاء إن أوسع الناس علماً هم المتواضعون، الذين يقضون معظم أوقاتهم في الاستزادة من العلم النافع دون ضجيج أو تفاخر، وأن أكثر الناس ادعاء للعلم والمعرفة، هم أنصاف المتعلمين ممن لا يعرفون من العلم إلا القشور دون اللباب[3].

وعندما نتحدث عن طلب العلم فالمقصد هنا العلم بمعناه العام، كل علم يخدم الحق وينشر الفضائل ويعود على الناس بما ينفعهم في دينهم وفى دنياهم، لا فرق في ذلك بين العلوم الشرعية واللغوية والطبية والرياضية والقانونية، وغير ذلك من شتى ألوان العلوم التي لا تتنافى مع شريعة الله تعالى، ومع مكارم الأخلاق التي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم لإتمامها وحث عليها.

- **عاشرا – [خلق القوة – المؤمن القوى]:**

فضيلة القوة هي شرف تنصر الحق وتخذل الباطل، ويدل على ذلك أن الله تبارك وتعالى وصف ذاته العليا بالقوى وجعلها أسما من أسمائه في آيات قرآنية كثيرة منها: قوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز)[4]، وقوله عز وجل: (إن ربك هو القوي العزيز)[5]، وقوله سبحانه: (إن الله قوي شديد العقاب)[6].

ولفظ (القوة) يدل على الصلابة والمتانة، ويطلق على الأشياء المادية والحسية،

١- ورد في الصحيحين عن معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما.

٢- روى عن أبو داود والترمذي عن أبى الدرداء.

٣- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – المرجع السابق – ص٢٦٧.

٤- سورة المجادلة – الآية: ٢١.

٥- سورة هود – الآية: ٦٦.

٦- سورة الأنفال – الآية: ٥٢.

كقولك: فلان قوى اليد أو قوى البدن، قال تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة يخلقُ ما يشاء، وهو العليمُ القديرُ)[1]، وهذه الآيات الكريمة جمعت مراحل خَلق الإنسان بصورها الحسية المتنوعة والمشاهدة. ويطلق لفظ (القوة) كذلك على الأشياء المعنوية كقوة العزيمة وقوة الإرادة، يقول تعالى: (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ءاتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون)[2]. والمعنى: وقلنا لكم خذوا ما أتيناكم من هوايات بقوة، وتقبلوها بحرص وجد لا بضعف ووهن.

والقوة صفة من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن صفات أصحابه رضي الله عنهم قال تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)[3]. وجاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك وأستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

في هذا الحديث الشريف ما هو المراد بالمؤمن القوى ؟.. المراد به حسبما ذهب أهل العلم والفقة[4]، هو المؤمن القوى في تمسكه بأحكام دينه، القوى في إقتدائه بكل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، القوى في دفاعه عن عقيدته القوى في نصرته للحق، القوى في تمسكه بمكارم الأخلاق، القوى في بدنه ودحره للباطل، القوى في أمر يحبه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم

وإذا كانت فضيلة القوة التي تحمى الحق من العدوان في أسمى درجات الشرف والكمال، فإن رذيلة الضعف والعجز والذل في أحط درجات النقص

١- سورة الروم – الآية: ٥٤.

٢- سورة البقرة – الآية: ٦٣.

٣- سورة الفتح – الآية: ٢٩.

٤- رأى الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – المرجع السابق – ص ٢٨٦.

والخزي والعار. قال تعالى في محكم آياته: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)[1].

وكما حاربت شريعة الإسلام الضعف والعجز والهوان، حاربت أيضا القوة الغاشمة الباغية الفاجرة، التي يستعملها أصحابها في العدوان على الغير، وفي أكل الأموال بالباطل، وفي ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وفي إذلال كرامات الناس واستلاب حقوقهم.

ولا يقول الإنسان أن قوى الشر كاسحة ويصعب الوقوف في طريقها، يقول تعالى: (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)[2]، فهؤلاء الذين استعملوا قوتهم في العدوان لا في نصرة الحق، وفي البغي والظلم لا في أقامة العدل ونشر الخير، وفي الجحود والطغيان، لا في الأيمان والإحسان، كانت عاقبتهم في كل زمان ومكان الهلاك والخسران.

إن القوة الفاضلة العاقلة الرشيدة، لا تنبع إلا من العقيدة القويمة المكينة السليمة، لأن هذه العقيدة متى استقرت في النفس ورسخت في القلب، جعلت صاحبها إذا تكلم كان قوياً في حجته وبيانه، وإذا كلف بعمل من الأعمال كان قوياً في أدائه بالطريقة التي تجعله ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وإذا أتجه إلى سلوك ما كان واضحاً في سلوكه، قوياً في أخذه وعطائه. هذه العقيدة القويمة السليمة، تجعل صاحبها يؤمن بما أستقر في عقله وفكره وقلبه، إيماناً لا مكان معه للتردد أو الارتياب، وتلك هي القوة الراسخة.

وقال سبحانه وتعالي: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)[3].

ختاماً إن القوة العاقلة الفاضلة الرشيدة التي أمر الله تعالى عباده أن يعتنقوها، هي التي تأتي بالحياة الطيبة الآمنة المطمئنة، أما الضعف فهو الموت والهوان.

١- سورة النساء – الآيات: ٩٧.

٢- سورة محمد – الآيــة: ١٣.

٣- سورة فاطر – الآيــة: ٢.

ـ في خصال كريمة يحسن أن يتحلى بها المرء :

ذكرنا فيما سبق بعض خصال مكارم الأخلاق، التي لو تحلى بها المرء لكان فيه الخير الكثير، وفى ذكرنا لهذه الخصال إيضاح لما يجب أن تكون عليه الشخصية الإنسانية السوية، من خلق يرضى عنه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وسوف نكمل ما سبق بذكر خصال أخرى ما أجمل أن يتحلى بها المرء في حياته وتعاملاته وتصرفاته، من هذه الخصال:

- **خلق التوكل على الله تعالى والاعتماد على النفس:**

التوكل هو عمل وأمل مع هدوء قلب وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً[1]، والإنسان العاقل المؤمن لا يرى التوكل على الله تعالى في جميع أعماله واجبا خلقيا فحسب بل يراه فريضة دينية، وذلك لأمر الله تعالى به، حيث قال تعالي: (**وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**)[2]، وقوله تعالى: (**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)[3]، لهذا كان التوكل المطلق على الله سبحانه وتعالى جزءا من عقيدة المؤمن بالله تعالى.

والجاهلون بدين الله وخصوم العقيدة، يفهمون أن التوكل هو مجرد كلمة تلوكها الألسن ولا تعيها القلوب، وتتحرك بها الشفاه ولا تفهمها العقول أو تتواترها الأفكار، أو التوكل هو اخذ الأسباب وترك العمل، والقنوع والرضي بالهوان والدون تحت شعار التوكل على الله، والرضا بما تجرى به الأقدار. وليس هذا مفهوم التوكل بل التوكل جزء من الإيمان وعقيدته أنه طاعة الله، بإحضار كافة الأسباب المطلوبة لأي من الأعمال المراد مزاولتها أو الدخول فيها، ثم التفويض إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ إذ هو القادر على كل شيء[4].

ولننظر ونتعلم ونستمد فلسفة التوكل على الله تعالى من روح الإسلام وتعاليم

١- دكتور/ مصطفى مراد – مرجع سابق – ص ١٠٧.

٢- سورة المائدة – الآية: ٢٣.

٣- سورة التغابن – الآية: ١٣.

٤- الشيخ/ أبو بكر الجزائري – مرجع سابق – ص ١٥٦.

النبي صلى الله عليه وسلم، فالرسول الكريم خير معلم لنا[1]. وكان هديه صلى الله عليه وسلم في الجمع بين الأسباب المادية والروحية، ثم يعلق أمر نجاحه على ربه، وينيط فلاحه وفوزه بمشيئة مولاه سبحانه.

- **أما الاعتماد على النفس:**

فإن المسلم لا يفهم منه ما يفهمه المحجوبون بمعاصيهم عن أنفسهم، من أنه عبارة عن قطع الصلة بالله تعالى، وأن العبد هو الخالق لأعماله، والمحقق لكسبه وأرباحه بنفسه، وأنه لا دخل لله في ذلك، تعالى الله عما يتصورون وعما يصفون. وإنما إذ يقول العاقل بوجوب الاعتماد على النفس في الكسب والعمل، يريد بذلك أنه لا يظهر افتقاده إلى أحد غير الله تعالى، ولا يبدى احتياجه إلى غير الخالق مولاه، فإذا أمكنه أن يقوم بنفسه على عمله فإنه لا يسنده إلى غيره، وإذا تأتى له أن يسد حاجته بنفسه فلا يطلب معونة غيره، ولا مساعدة أحد سوى الله تعالى لما في ذلك من تعلق القلب بغير الله وهو مالا يحبه العبد المؤمن ولا يرضاه. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)[2].

والمعتمد على نفسه عليه في ذلك أن يسلك درب الصالحين، ويمضى عل سنن الصادقين، ويتخلق بخلق الفرسان الذين إذا كان أحدهم يسقط سيفه من يده وهو راكب على فرسه ينزل إلى الأرض ليتناوله بنفسه، ولا يطلب من أحد أن

١- **ويتجلى ذلك في الهجرة:** أنتظر صلى الله عليه وسلم أمر ربه في الهجرة إلى المدينة، بعد أن هاجر إليها جل أصحابه، وجاء الأذن من الله تعالى بالهجرة، فقام صلى الله عليه وسلم باتخاذ تدابير وترتيبات معينة، حتى كانت الهجرة درس عظيم، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينكر الأسباب ولا يعتمد عليها، وإن أخذ الأسباب للمؤمن إطراحه بين يدي الله، وتفويضه أمره إليه في ثقة واطمئنان. • **ثم الغزوات والحروب:** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حروبه الطويلة العديدة لا يخوض معركة حتى يعد لها عدتها ويهيئ لها أسبابها، فيختار حتى مكان المعركة وزمانها، وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يشن غارة في الحر الأ بعد أن يبرد الجو، ويتطلب الهواء من أخر النهار، بعد أن يكون قد رسم خطته ونظم صفوفه، وإذا فرغ من كل الأسباب المادية المطلوبة لنجاح المعركة رفع يديه الشريفتين سائلا الله عز وجل: (اللهمّ مُنزل الكتاب ومُجري السحاب وهازم الأحزاب أهزمهم وانصرنا عليهم). متفق عليه وورد في الصحيحين البخاري ومسلم.

٢- رواه الترمذي وحسنه.

يناوله إياه، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبايع المسلم، على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن لا يسأل أحدا حاجته غير الله تعالى.

- **خُلق الأدب مع النفس:**

المرء العاقل هو الذي يؤمن بأن سعادته في كلتا حياته الأولى والآخرة، موقوفه على مدى تأديب نفسه وتطييبها وتزكيتها وتطهيرها، كما أن شقاؤه منوط بفساد نفسه وتدسيتها وخبثها وفى ذلك يقول الله تعالى: (**قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها**)[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها). رواه مسلم.

كما يؤمن الإنسان بأن ما تطهر عليه نفسه وتزكو هو قيامه بحسنة الإيمان والعمل الصالح، وأن ما تتدسى به وتخبث وتفسد هو سيئة الكفر والمعاصي. ويقول الله تعالى فى كتابه الكريم: (**وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**)[2].

وفى هذا الخُلق على الإنسان المطمئن العاقل، أن يعمل دائما على تأديب نفسه وتزكيتها وتطهيرها، إذ هي أولى من يؤدب، فيأخذها بالآداب المزكية لها والمطهرة لأدرانها، كما يجنبها كل ما يدسها ويفسدها من سيء المعتقدات وفاسد الأقوال والأفعال، يجاهدها ليلاً ونهاراً، ويحاسبها في كل ساعة، يحملها على فعل الخيرات، ويدفعها إلى الطاعة دفعاً، كما يصرفها عن الشر والفساد صرفاً ويردها عنهما ردا حاسما، ويتبع في إصلاحها وتأديبها لتطهر وتزكو ما يلي:

التوبة: التخلي عن سائر الذنوب والمعاصي والندم على ما سالف والعزم على عدم العودة إليه.

المراقبة: هي مراقبة الله تعالى وإلزام النفس بذلك في كل لحظة من الحياة.

المحاسبة:على المعاصي والحث على فعل الخيرات محاسبة النفس قبل الحاسب

المجاهدة: مجاهدة النفس لتطيب وتطهر وتزكو وتطمئن، وتكون بالعقاب في التقصير في طاعة الله والوقوف أمام شهواتها فهي أمارة بالسوء.

١- سورة الشمس – الآية: ٩، ١٠.

٢- سورة هود – الآية: ١١٤.

- **الحيـــاء:** الحياء شعبة من شعب الإيمان وكـــلاً منهمـــا داع إلـــى الخيـــر، صارف عن الشر مبعد عنه، فالأيمان يحث المؤمن على فعـــل الطاعـــات وترك المعاصي، والحياء يمنع صاحبه من التقصير في الشكر للمنعم، ومن التفريط في حق ذي الحق، كما يمنع صاحبه الحي من فعل القبيح أو قولـــه اتقاء للذم والملامة، ومن هنا كان الحياء خيرا ولا يأتي الأ بالخير.

وخُلق الحياء في صاحبه غير مانع له أن يقول حقاً أو يطلب علماً أو يـــأمر بمعروف أو ينهى عن منكر، ومن الحياء عدم كشف العورة، وألا يقصـــر فـــي حق وجب عليه، ولا ينكر معروفاً أسدى إليه ولا يخاطب الناس بسوء[1].

- **الحلـــم:** وهو عدم الغضب الأ لله جلت قدرته، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمة مـــن حرمـــات الله جل وعلا. وقد أوصى صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه بعدم الغضـــب بقوله: لا تغضب. وكان ذلك ثلاثاً. (رواه البخاري ومسلم).
- **السماحة:** السماحة في أرقى معانيها هي طيب في النفس عن كرم وســـخاء، وانشراح في الصدر عن نقاء وتقي، وذلـــة علـــى المـــؤمنين دون هـــوان، ومساهلة في التعامل دون غبن أو خسارة.
- **الرفـــق:** عدم العنف في الأمور كلها، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه).
- **الطهـــارة:** طهارة القلب من أمراضه كالكبر والحقـــد والغـــرور والطمـــع، وطهارة الثياب من الادناس، وطهارة اللسان من آفاتـــه كالغيبـــة والنميمـــة والكذب وشهادة الزور، وطهارة الجوارح من الآثام.
- **الأحســـان:** هو الرحمة والعطف وفعل ما يجمل فعله مع الناس، وترك مـــا يسيء إليهم أو يقبح قوله أو فعله وعدم المساس بالكرامة والتلطف في القول
- **الشجاعة:** وهى عكس الجبن.
- **الرأفـــة:** وهى شدة الرحمة.

١- دكتور/ مصطفى مراد – المرجع السابق – ص ١٠٣ وما بعده.

- **الخاتمة:**

خلق الله – عز وجل– الإنسان فأحسن خلقه وصوره فأحكم صورته، وفضله على كثير من خلقه فميزه بالعقل والحكمة والفكر، كما وهب الله تعالى للإنسان قدرات وملكات لاستخدامها والكشف من خلالها عن الأشياء الخفية، حيث أعياه البحث عنها والوصول إلى حقيقتها. ويقف الإنسان طويلا أمام نفسه للبحث عن ذاته والوصول قدر الاستطاعة لفهم كنتها، وقد استبان من الدراسة أن البحث في حقيقة الشخصية الإنسانية قد جذب الكثير من الفلاسفة والعلماء، منذ العصور القديمة (قبل الميلاد) مرورا بحضارات متنوعة اندثرت، ثم العصور الوسطي والحديثة، وصولا إلى عصر الألفية الثالثة.

وعلى مدار هذه السني حاول الباحثين جاهدين الوصول إلى كنة الشخصية، فوضعت النظريات التي تم من خلالها صياغة التعريفات وتحليل التركيبات التي تزخر بها الشخصية الإنسانية، ورغم كل ذلك مازال العلم والبحث قاصرا أمام هذا الخلق المعجز، فما تمت دراسته أنما هو القليل من كثير لم يكتشف بعد.

وعلى المرء أن يعرف نفسه جيدا يفهمها ويقف على حقيقتها، ويكتشف أبعاد شخصيته لأنه أقدر من غيره في هذا الشأن، ففهم النفس ضرورة للحياة السليمة وللصحة النفسية، لأنه إذا ترك الإنسان نفسه بدون فهم أعياه تهذيبها وشق عليه تربيتها وتأديبها، وهناك خصال وسمات على المرء أن يتحلى بها، هي مزيج من مظاهر السواء في التركيبة النفسية وعناصر السواء في الجوانب الأخلاقية، القصد منها تمازج الرابطة بين الروح والبدن، وبين العقل والقلب، وبين الظاهر والباطن، بين حقيقة الشخصية وذاتها.

في عصر يموج بالمشكلات ويصعب فيه استقراء الأحداث والوقوف على مستجدات الأمور، ما أحوج الإنسان أن يبحث في داخله يفهم ذاته ويعرف حقيقة امكاناته، فذلك هو السبيل للوصول إلى العقل الرشيد والنفس المستقرة.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

قائمة المصادر والمراجع

أولا ــ المراجع الشرعية:

- ١- ابن القيم الجوزية

- الروح (في الكلام عن أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء) - القاهرة - مكتبة المتنبي.

- ٢- الشيخ/ أبو بكر الجزائري.

- منهاج المسلم - القاهرة - مكتبة دار التراث- بدون سنة نشر.

- ٣- الماوردي. أبى الحسن على بن محمد حبيب البصري الماوردي (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ).

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية - القاهرة - مطبعة مصطفى البابلي الحلبي- بدون سنة نشر.

- ٤- فضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي.

- العقيدة والأخلاق- القاهرة- دار السعادة للطباعة- ط ٣- (١٤٢١ه-٢٠٠١م).

ثانيا ــ كتب اللغة العربية:

- ٥- المعجم الوجيز ــ مجمع اللغة العربية ــ ج . م . ع ــ طبعة الهيئة العامة للمطابع الأميرية سنة ١٤١٩هــ - ١٩٩٨م.

- ٦- الفيومي. العالم/ احمد بن محمد على المقري الفيومي (المتوفى سنة٧٧هــ)

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - بيروت - المكتبة العلمية - الجزء الأول - بدون سنة نشر.

- ٧- الفيروز آبادي.الشيخ/مجد الدين محمد يعقوب الفيروزي(المتوفى سنة٨١٧

- القاموس المحيط - لبنان - بيروت - سنة ١٩٧٨.

- ٨- الرازي.الشيخ/ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (المتوفى سنة٨١٧

- مختار الصحاح - بيروت - مكتبة لبنان - سنة ١٩٨٦.

(*) نشير في هذه القائمة إلى المراجع الأساسية التي تم الاعتماد عليها في الدراسة، أما بـــاقي المراجع التي تم الاستعانة بها في مواضع معينة، فقد اكتفينا بالإشارة إليها في موضعها.

ثالثا – المراجع العامة:

- ٩- الدكتور/ العارف بالله محمد الغندور، الدكتور/ محمد سمير عبد الفتاح
- مدخل الشخصية ونظريات علم النفس - القاهرة - دار آتون- الطبعة الثانية - سنة ١٩٩٨.
- ١٠- الدكتور/ احمد محمد عبد الخالق.
- الأبعاد الأساسية للشخصية - الإسكندرية - دار المعارف - الطبعة الأولى - سنة ١٩٨٩، الدار الجامعية -الطبعة الثانية - سنة ١٩٩٣.
- استخبارات الشخصية - الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية - الطبعة الثانية - سنة ١٩٩٣.
- ١١- الدكتورة/ انتصار يونس
- السلوك الإنساني - الإسكندرية - دار المعارف - سنة ١٩٩٣.
- ١٢- الدكتور/ حسن الشرقاوى.
- نحو منهج إسلامي - الإسكندرية - مطابع السفير- سنة ١٩٨٣.
- ١٣- الدكتور/ حامد عبد السلام زهران.
- الصحة النفسية والعلاج النفسي - القاهرة - عالم الكتب - الطبعة الثالثة - سنة ١٩٧٧.
- ١٤- الدكتور/ سامي الدروبي.
- علم الطباع – القاهرة – دار المعارف – سنة ١٩٦١.
- ١٥- الدكتور/ سيد صبحي.
- الإنسان وصحته النفسية – القاهرة – الدار المصرية اللبنانية – سنة ٢٠٠٣.
- المقابلات والمناقشات الجنائية – القاهرة – بدون ناشر – سنة ٢٠٠٤.
- ١٦- الدكتور/ عبد الحليم محمد السيد.
- الإبـداع والشخصية (دراسة سيكولوجية) – القاهـرة – دار المعارف – سنة ١٩٧١.

- ١٧- الدكتور/ عبد الرحمن محمد عيسوي.
- علـم النفس في الحياة المعاصرة – الإسكندرية – دار المعارف – سنة ١٩٧٨.
- الإسلام والصحة النفسية – بيروت – دار الراتب الجامعية – سنة ٢٠٠١.
- علم النفس الجنائي – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – سنة ٢٠٠٣.
- علم النفس الشرطي – الإسكندرية – منشاة المعارف – سنة ٢٠٠٥.
- ١٨- الدكتور/ محمد احمد بيومي.
- علم الاجتماع وقضايا السياسة الاجتماعية وتشريعاتها – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٠.
- ١٩- الدكتور/ محمد سمير عبد الفتاح.
- الصحة النفسية – القاهرة – دار آتون للطباعة – سنة ٢٠٠١.
- ٢٠- الدكتور/ محمد على محمد وآخرون.
- المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – سنة ١٩٨٥.
- ٢١- دكتور/ مصطفى مراد.
- منهاج المؤمن – القاهرة – دار الفجر للتراث – طبعة أولى – سنة ٢٠٠١.
- ٢٢- الدكتور/ هلالى عبد اللاه أحمد.
- الحقيقة بين الفلسفة العامة والإسلامية وفلسفة الإثبات الجنائي – دار النهضة العربية – ط١- ١٩٨٧.
- ٢٣- الدكتور/ يوسف ميخائيل اسعد.
- الشخصية القوية – القاهرة – مكتبة الغريب – سنة ١٩٨٨.

<u>رابعا – المقـالات:</u>

- ٢٤- الدكتور/ أحمد الشريف.
- الذكاء (مفاهيمه ومقاييسه) – مجلة الأمن العام – العدد ٤٣- أكتوبر ١٩٦٨.

• ٢٥- الدكتور/ سيد صبحي.
- الصحة النفسية في المجال الشرطي – مجلة كلية الدراسات العليا – القاهرة – أكاديمية مبارك للأمن – العدد الحادي عشر – يوليو ٢٠٠٤.
• ٢٦- الدكتور/ فرج عبد القادر طه.
- بحث عن الإطار المعياري للشخصية السوية – القاهرة – مجلة الدراسات النفسية – العدد الرابع – أكتوبر ١٩٩٥.

خامسا – المراجع باللغة الإنجليزية:

-ALEXANDER (c.): " The law of arrest in criminal and proceedings ", New Uork 1949.
-Adler, A: The differences between d Winston, 1961. individual psychology and psychoanalysis – superiority and social interest: A collection of Adler's later writings, New York: Norton, 1979,b.

-BAKER (E.R.) and DODGE (F.B): " criminal evidence and procedure " London, Butter worths , 6 tn 1987.
-Braham. R., Byne.D,: social psychology (8th ed.) London: Allyn and Bacon. 1997.
- Brenner, c. An elementary textbook of psychoanalysis (Rev-ed.) New York: Anchor Books, 1974.
- Buss, a. h. and plomin ,r: atemperament theory of personality develop ment , new York: wiley 1975.
-BUTTER (Publishers): " The search for evidence – London, 1985.

-English,H.B. and English, A.C.A comprehensive dictionary of psychological and psychoanalytical terms: a guide to usage, New York: Longmans, 1958.
-Eysenck, H. j: the structure of human personality, London, Methuen, 2 nd. ed., 1960 (A).
-Eysenck, h. J. classification and the problem of diagnosis, in: Eysenck, H. J (Ed.) Handbook of abnormal psychology, New York: Basic Books, 1960 (b).

- Froud, S: In trodutory lectures on Psychoanalysis (Rev. ed) New York: Norton, 1966.
- Fromm, E: The heart of man. Its genius for good orevil. New York. Perennial, 1971,b.
- Fromm, E: The anatomy of hurman destructiveness. New York: Holt, Rinehart, Winston, 1973.
- Fromm. E: The same society .New York . Fawcett, 1976.b.
- Girdano, D., Everly, G, DUSEK, D: Controlling stress and tension (5th ed) Boston: Allyn and Bacon. 1997.

- Guntrip,H.J.S: Psychoanalytic Theory, and the self. London: Hogarth Press. 1971.
-Hall, K., Lindizy, c: Theories of personality, 3 ed, New York, Wiley, 1978.

-HAMPTON (celia): "criminal procedure london sweet, maxweel. scond edition 1977.
-Hergen hahn, B.R: An Introduction to theories of personality, prentice – Hallinc – Engle Wood cliffs. 1980.
-Harold. R. Wallace, L. Ann masters: personal Development for LIEF and WORK. (8 TH Edition) south. WESTERN – Thomoson lea Rning. London WCI. V7. AA. 2001.

- Jung, C. G: In stinct and the unconscious (in): The portable Jung. New York: Viking Press, 1971 C.
- Jung, C. G: on The psychology of the unconscious (in) essays on analytical psychology Princeton, N. J: Princeton university press, 1972 b.
-Jung, C. G: Psychological Types: Princeton University Press, 1976.
-Levy,L.H: Conceptions of personality–Theory and Research.New York: Random House. 1970.

- Nelson, D.quick, J:Organizational behavior: The Essen tials. New York: W west publishing Co.1996.

- Patterson, c, H: Theories of Counseling and psychotherapy, 4 th Ed. Harper Raw, Publishers, New York. 1986.
-Parkinson, B. Colman, A. Emotion and motivation, London: Longman. 1995.
-Putwain, D.And Sammons, A., Psychology and Crime, Routledge Modular Psychology, London, 2002.

-Rosen Han. D. and London, P. character, in: London, p. and Rosen Han, D. (Eds.), foundations of abnormal psychology, New York: holt, Rinehart and Winston, 1968.
-Rosen (Alan): "Crisis management in the community"– medical Journal of Australia, 1998.

-Spencer, A. Rathus: psychology in the new Millennium (EIGHTH EDITION). Thomson wads worth. London, Wci. V 7. AA. 2002.
-Steve(Albert): "Crisis management for corporate self defence' Macom, New York, 1996 .

-Wiggins,J.S. Personality and Prediction, Principles of Personality assessment, Massachusetts Addison - Wesley, 1977.

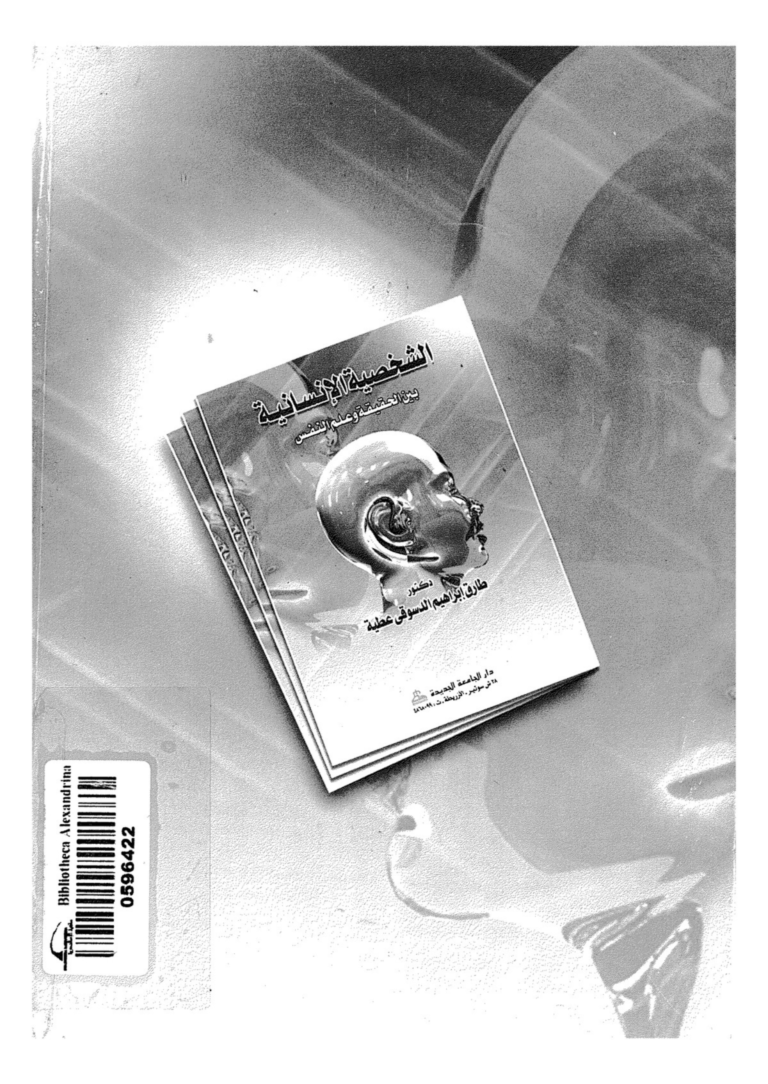
-Wolman,B.B (Ed.) Dictionary of behavioral science, London: Mac millan, 1973.

الفهـرس

الصفحة

الصفحة

رقم الإيــــداع :	٢٠٠٧/٢١٤٠
الترقيم الدولي :	*I.S.B.N*


الشخصية الإنسانية
بين الحقيقة وعلم النفس
دكتور
طارق إبراهيم الدسوقي عطية
دار الجامعة الجديدة